البيان

مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت
العدد 485 ديسمبر 2010

يعقوب السبيعي شاعر الزمان والمكان

د. عبد الله المهنا - د. نسيمة الغيث - د.سعاد عبد الوهاب - د.موسى ربابعة - د.أحمد عبد التواب

الثقافة بين الفعل والإدعاء
سليمان داود الحزامي

صفحة من ذاكرتي مع السقاف
فاضل خلف

مسرحية «بداية النهاية وعناصرها الفنية»
د. سيد إبراهيم آرمن، زهرة بندبي

ماريو فارجاس يوسا: محاولة للإنخداع والتأثر بالمبدعين
ترجمة: حسين عيد

الرجل والمرأة..في نصوص فاطمة العلي
سمير أحمد الشريف

البيان
العدد 485 ديسمبر 2010
تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت

صدر

منى الشافعي

حديثاً

وزارة الإعلام – مطبعة حكومة دولة الكويت

Bayan Dec Cover 2010.indd 1
9/5/11 9:26:29 AM

صدر

حديثاً

صدر

حديثاً

Bayan Dec Cover 2010.indd 2
9/5/11 9:26:33 AM

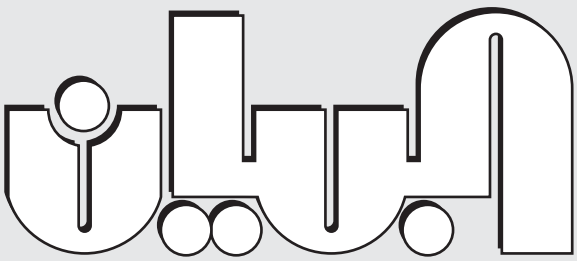

العدد 485 ديسمبر 2010

مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت

(صدر العدد الأول في أبريل 1966)

ثمن العدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: 750 فلسا، قطر: 8 ريالات، دولة الامارات العربية المتحدة: 8 دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: 8 ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: 50 ليرة، مصر: 3 جنيهات، المغرب 10 دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت 10 دنانير.
للأفراد في الخارج 15 ديناراً أو ما يعادلها.
للمؤسسات والوزارات في الداخل 20 ديناراً كويتياً.
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت 25 ديناراً كويتياً أو ما يعادلها.

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان ص.ب34043 العديلية - الكويت الرمز البريدي 73251 - هاتف المجلة: 22518286 965+
هاتف الرابطة: 22518282/25106022 فاكس: 22510603

رئيس التحرير:
سليمان داود الحزامي

سكرتير التحرير:
عدنان فرزات

موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
WWW.KuwaitWriters.org

البريد الإلكتروني
ELBYAN@ hotmail.com

التدقيق اللغوي: خليل السلامة

تنضيد: عبد الحميد باشا

قواعد النشر في مجلة «البيان»:

مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية ، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 ـ أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.
2 ـ المواد المرسلة تكون مطبوعة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
3 ـ يفضل إرسال المادة محملة على CD أو بالإيميل.
4 ـ موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف ورقم الحساب المصرفي.
5 ـ المواد المنشورة تعبرّ عن آراء أصحابها فقط.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 1 9/5/11 9:27:15 AM

Al Bayan

LITERARY JOURNAL ISSUED
BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION
(485) December 2010

Editor in chief

S.D.Al Huzami

Correspondence Should be Addresses to:

The Editor,
Al Bayan Journal
P.O.Box: 34043 Audilyia - Kuwait
Code: 73251 - Fax: +965 22510603
Tel.: (Journel) +965 22518286 - 22518282 - 22510602

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 2 9/5/11 9:27:16 AM

للبيان كلمة

الثقافة بين الفعل والادعاء ..... سليمان الحزامي ٥

تكريم الشاعر يعقوب السبيعي

التقديم..... ٨
إيقاعات متنوعة.....د.عبد الله المهنا ٩
جماليات المكان في شعر يعقوب السبيعي..... د. نسيمة الغيث ١١
فلسفة الزمان .. في شعر يعقوب السبيعي .....د.سعاد عبد الوهاب ١٦
دلالات العنوان في شعر يعقوب السبيعي.....د. موسى ربابعة ٢٠
استيحاء التراث في ديوان..إضاءات الشيب الأسود ....د.أحمد عبد التواب عوض ٢٦
جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي د. تركي المغيض ٤٣

قراءات

الرجل والمرأة .. في نصوص فاطمة العلي.....سمير أحمد الشريف ٥٨
أسماء مستعارة للسحرة.. المغامرة والابتكار في نص سيف الرحبي... فيصل العبد الحسن ٦٩

مقالات

كلمة في وداع الأستاذ السقاف.....فاضل خلف ٧٤
الجنس الآخر.. رؤية وجودية للأنثى .....ناصر الملا ٧٩
جمر النكايات.. رسالة يوصلها المؤلف للقراء.....أمل العبد السلام ٨٣
أبو القاسم الشابي..... هداية سلطان السالم ٨٥

أعلام

شاعر الكويت فهد راشد بروسلي.....عبد الله الحاتم الخالد الحاتم ٩٠

المسرح

مسرحية بداية النهاية وعناصرها الفنية ....د.سيد إبراهيم آرمن، زهرة بندبي ٩٦

حوار

ماريو فارجاس يوسا .....حاوره: وليامز ريمون ليزلي ترجمة: حسين عيد ١٠٨

قصة

عندما يورق الشوق .....إسماعيل فهد إسماعيل ١١٦
المطر يموت متسولاً..... عبد الله خليفة ١١٩
اللهاث الأول.....إبتسام إبراهيم تريسي ١٢٧
الحلم..... حسنى نديم ١٣١

شعر

عزف على أوتار ميديا .....فاضل السفان ١٣٤
مومياء تحاوره وردة مراوغة ..... كريمة ثابت ١٣٧
قم نغني معاً ..... فهد العسكر ١٤١
لؤلؤة الخليج ..... محمود شوقي الأيوبي ١٤٥
المهلب..... د. خليفة الوقيان ١٤٧

إصدارات

دراسة عن عبد الرازق العدساني..... ١٤٩
المكينزي يصدر لا تحدث أحداً..... ١٥١

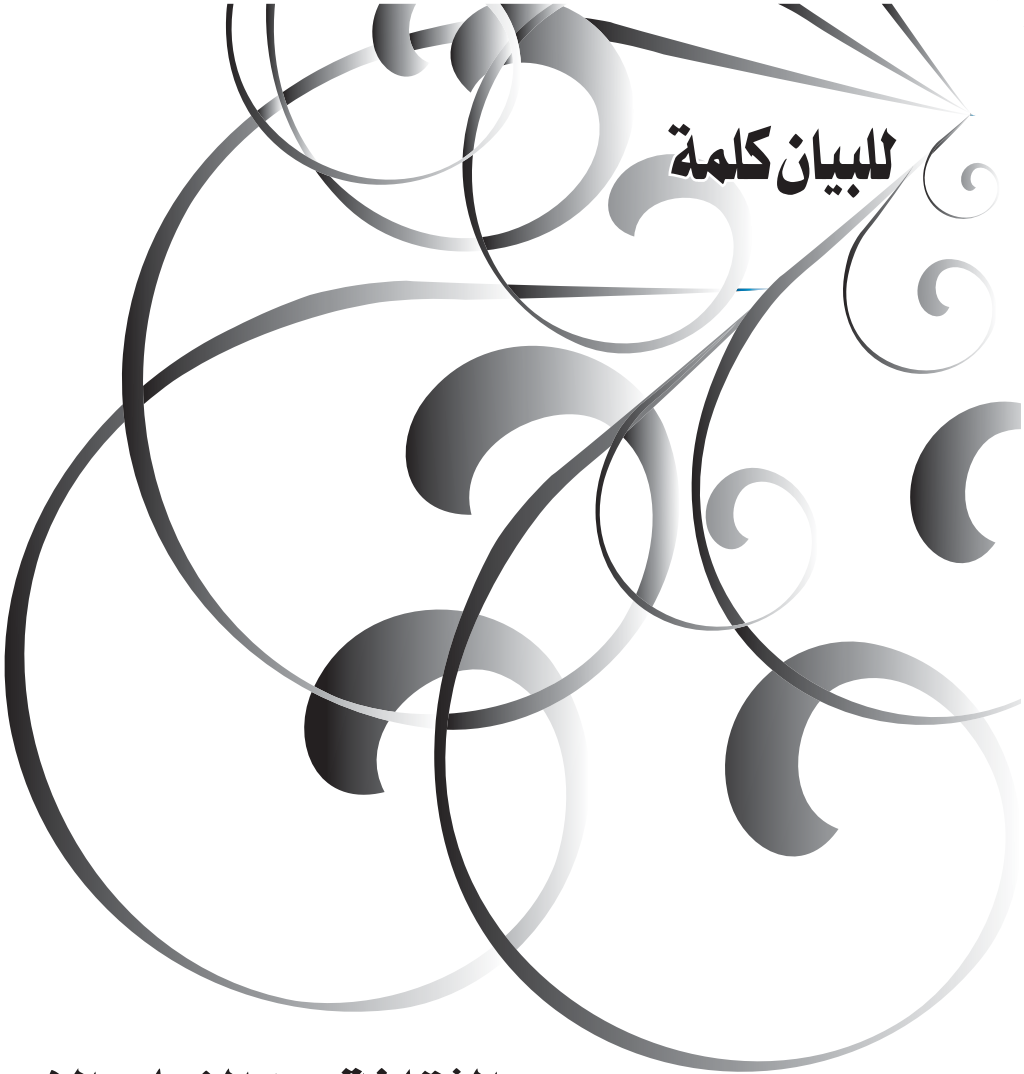

الثقافة بين الفعل والإدعاء

بقلم: سليمان الحزامي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 4 9/5/11 9:27:17 AM

للبيان كلمة

الثقافة بين الفعل والإدعاء

بقلم: سليمان الحزامي*

سبق وأن كتبنا في عدد سابق أن الثقافة هي التي تصنع الحضارات وأن المثقف هو البنّاء الحقيقي والصانع لمسار أي حضارة في العالم، والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة ولا نريد الخوض في هذا المجال، وبالمقابل فإن هناك من يعمل على هدم الحضارات، وأولى علامات الهدم هو اختفاء الثقافة في أي مجتمع من المجتمعات فانعدام الثقافة في حضارة ما، يعني أنها حضارة همجية ليس فيها شيء من التحضر ولا من العلم ولا من المعرفة.

وأيضاً، نعيد ونكرر، الأمثلة على ذلك كثيرة، وأيضاً لا نريد أن نخوض في ذكر هذه الأمثلة إلا أننا اليوم نجد أن الحضارات المادية وخاصة في المنطقة العربية نجدها اليوم حضارة هزيلة لأسباب كثيرة، بالطبع لا نريد الذهاب إلى ذكر الأسباب ولكن دعونا نذكر بعضاً منها، وهي أمراض تنهك الجسم وتعطل العقل وتسد الشهية فيتحول الإنسان إلى كائن متحرك في اتجاهات مظلمة لا أنوار فيها ولا دليل.

لعل من أبرز هذه الأمراض أدعياء الثقافة، نعم أدعياء الثقافة، فنحن نعيش في مجتمع به أعداد كثيرة من أدعياء الثقافة فمنهم من قد قرأ عنواناً لكتاب ما، قد تكون رواية، وقد تكون دراسة، وقد يكون ديوان شعر، فيدعي هذا المثقف المزور أنه يعرف شعر المتنبي وأنه يعرف شعر المعلقات وأنه وأنه وأنه .... وعندما تجلس معه تجد أنه لا يعرف عن المتنبي إلا بيتاً واحداً أو عنواناً لقصيدة، ولا يعرف حتى اسم المتنبي الحقيقي، فهو يعرف أنه الشاعر المتنبي أبو الطيب، ولكن لو سألته: من هو أبو الطيب؟ سوف ينظر إليك بابتسامة باهتة: أبو الطيب هو المتنبي والمتنبي هو أبو الطيب! وعلى هذا القياس نستطيع أن نذهب إلى من يدعي أنه يعرف نجيب محفوظ وأنه درس نجيب محفوظ أو أنه درس تولستوي، الكاتب الروسي الكبير، أو أنه يعرف إيليا أبو ماضي من شعراء المهجر، وتجده يبحر في ذكر أسماء مسرحيات شكسبير دون أن يعرف مضمون هذه المسرحية من تلك، فهو يذكر لك تاجر البندقية، ويذكر لك عطيل، ويذكر لك روميو وجوليوت دون أن يعرف أحداث هذه المسرحية من تلك، فمرضى أدعياء الثقافة كثيرون ومع الأسف الشديد نجدهم في المحافل وفي بعض الندوات، ويدعون العلم والمعرفة دون أن يكون لديهم الرصيد الذي يعطيهم حق كلمة "مثقف".

وهناك نوع آخر وهو من يبني الثقافة لنفسه، أي أنه يبني صرحاً ثقافياً ويضع اسمه عليه، ويدعي أنه ركيزة من ركائز الثقافة في المجتمع، وأنه يعمل على نشر الثقافة

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 5 9/5/11 9:27:18 AM

سواء كانت أدباً أو مسرحاً أو شعراً إلى آخره، ويدعي أنه كاتباً مرموقاً أو شاعراً معروفاً أو روائياً يأتي بالنص النادر والفكرة الذائعة الصيت، وفي الحقيقة تجد أن هذا النوع من أدعياء الثقافة يصنعون ثقافتهم بأموالهم، وهنا تكمن المخاطرة، وهنا تكمن السلبيات في بناء الثقافة الحقيقية للمجتمع، فهذا الإنسان أو غيره يدعي أنه علماً من أعلام الثقافة من خلال ما يصرف من أموال على تلميع نفسه، وهؤلاء أيضاً في المنطقة العربية مع الأسف نجدهم ليسوا بقلة.

لعل من أبرز هذه الأمراض أدعياء الثقافة، نعم أدعياء الثقافة، فنحن نعيش في مجتمع به أعداد كثيرة من أدعياء الثقافة فمنهم من قد قرأ عنواناً لكتاب ما، قد تكون رواية، وقد تكون دراسة، وقد يكون ديوان شعر، فيدعي هذا المثقف المزور أنه يعرف شعر المتنبي وأنه يعرف شعر المعلقات

ولعل النوع الثالث من أدعياء الثقافة هو من يضع حوله جيشاً من المدّاحين الذين يكتبون عنه وعن نتاجه، وأن نتاجه بلغ الذروة، ويستشهد بأن فلان كتب عنه، وفلان قال عنه، والحقيقة أن كل هذه الأمور تكون مدفوعة الثمن.

إنها أمراض الثقافة في الوطن العربي، إذا استطعنا أن نتخلص منها ولا أقول نحاربها، ولكن نتخلص منها، نستطيع أن نصنع ثقافة وحضارة مبنية على الصدق وليس على الادعاء، مبنية على الفعل الحقيقي للمعنى الثقافي وللبناء الحضاري.

إنها صرخة قد تؤلم البعض، لكن لعل هذا الألم يدفعنا لأن نصحو على فعل حقيقي لصناعة الثقافة عند الإنسان العربي.

وللبيان كلمة

* رئيس التحرير

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 6 9/5/11 9:27:18 AM

تكريم الشاعر يعقوب السبيعي

إيقاعات متنوعة

د.عبد الله المهنا

جماليات المكان في شعر يعقوب السبيعي

د. نسيمة الغيث

فلسفة الزمان .. في شعر يعقوب السبيعي

د.سعاد عبد الوهاب

دلالات العنوان في شعر يعقوب السبيعي

د. موسى ربابعة

استيحاء التراث في ديوان.. إضاءات الشيب الأسود

د. أحمد عبد التواب عوض

جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي

د. تركي المغيض

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 7 9/5/11 9:27:19 AM

تحت شعار "رياضة القوافي العصيّة"

قسم اللغة العربية بكلية الآداب يكرم الشاعر يعقوب السبيعي في يوم الأديب الكويتي

كرم قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة الكويت، الشاعر يعقوب السبيعي. وذلك يوم ٢١ من إبريل ٢٠١٠ في قاعة السيمينار بمبنى عبد الله العتيبي بكلية الآداب في كيفان، ويأتي هذا التكريم ضمن احتفالية القسم السنوية بـ : يوم الأديب الكويتي "وأقيمت الاحتفالية تحت رعاية عميدة الكلية الأستاذة الدكتورة/ ميمونة خليفة العذبي الصباح التي ألقت كلمة بهذه المناسبة، كما ألقيت كلمات أخرى لكل من رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها الأستاذة الدكتورة/ فاطمة راشد الراجحي ومقرر اللجنة الثقافية الأستاذ الدكتور/ عبدالله المهنا، وكلمة المحتفى به / الشاعر يعقوب السبيعي.

وتأتي احتفالية السبيعي تحت شعار "رياضة القوافي العصية" حاضر فيها كل من الدكتورة/ سعاد عبد الوهاب ببحث عنوانه "فلسفة الزمن في شعر يعقوب السبيعي" وبحث للدكتورة/ نسيمة الغيث تحت عنوان "ا لمكان في شعر يعقوب السبيعي"، وبحث الأستاذ الدكتور موسى ربابعة بعنوان "دلالات العنوان في شعر يعقوب السبيعي" وبحث قدمه الأستاذ الدكتور/ تركي المغيض" جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي". وبحث الدكتور/ أحمد عبد التواب بعنوان" استيحاء التراث في شعر يعقوب السبيعي.

يذكر أن قسم اللغة العربية دأب على إقامة هذه الاحتفالية وجرى فيها تكريم العديد من الأدباء الكويتيين في شتى مجالات الأدب ممن أثروا وطنهم بتجارب راسخة.

ونظراً لأهمية هذه الأبحاث تقوم مجلة "البيان" بنشرها.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 8 9/5/11 9:27:19 AM

إيقاعات متنوعة

بقلم: د. عبد الله المهنا *

إنها لحظات غامرة مفعمة بالحب والتقدير والوفاء حين نجتمع في رحاب هذه الكلية العريقة لنكرم علماً من أعلام الشعر في الكويت، أعطى الشعر جهده ووقته على مدى أكثر من ثلث قرن فأبدع فيه أيما إبداع حتى استوت له فيه لغة خاصة مفعمة بشعرية الكلمة، وجمالية التعبير،وشفاهية الرؤية التصويرية، والإيقاعات الموسيقية المتنوعة، التي تشف عن رفاهة الحس الموسيقي عند شاعر هذه الاحتفالية الشاعر المبدع يعقوب السبيعي.

إن احتفالية قسم اللغة العربية في كل عام بيوم المبدع الكويتي تأتي تقديراً واعترافاً من قسم اللغة العربية بخاصة، ومن كلية الآداب بعامة بفضل هذا الأديب أو ذاك في مسيرة الثقافة، واحتفاء بمنجزه الإبداعي، الذي نوليه في هذه الاحتفالية عناية خاصة من خلال الدراسات النقدية المصاحبة، التي تكشف عن قيمة هذا الإبداع وتميز صاحبه فيه.

د. ميمونة الصباح والشاعر يعقوب السبيعي و د. عبدالله المهنا ود. فاطمة الراجحي

* أكاديمي وباحث من الكويت- مقرر اللجنة الثقافية.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 9 9/5/11 9:27:20 AM

وقد مرَّ عبر هذه الاحتفالية منذ عام ١٩٩٨ حتى هذه اللحظة عدد من المبدعين وصل إلى سبعة عشر أديباً وشاعراً، منهم من اختاره الله لجواره، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً، بل ساروا على الدرب يواصلون إنجازاتهم الثقافية على نحو لا يعرف الكل أو الملل مستشعرين المسؤولية الثقافية التي حملوا رايتها.

وإنني في هذا السياق أهيب بقسم اللغة العربية أن يعمل على توثيق مسيرة من احتفى بهم عبر ثلاثة عشر عاماً من خلال توثيق إنجازاتهم، والدراسات النقدية المصاحبة لهذه الاحتفاليات، بوصفها قيمة حضارية لا ينبغي تجاهلها أو التهاون بها.

أيها الأخوة والأخوات:

إن قائمة المبدعين الذين يستحقون التكريم في هذا البلد طويلة، ويتواصل طولها فترة من فترة، وإنه إذا توقفنا عند حدود الاحتفالية السنوية فحسب فقد يفوتنا الاحتفال بالكثيرين منهم، لذا أتمنى على القسم أن يجعل هذه الاحتفالية فصلية وان يكون للمبدعات الكويتيات، وما أكثرهن، نصيب في مثل هذه الاحتفالية.

بقيت كلمة أخيرة أود أن أقولها وينبغي أن أقولها قبل أن أغادر هذه المنصة إذ أشعر في هذه اللحظات أننا جميعاً مدينون بعد الله بالفضل، والشكر على صاحبة فكرة هذه الاحتفالية التي ظلت تتابعها، ولا تزال، منذ أن كانت مجرد فكرة، حتى استوت على سوقها قائمة ثابتة الأركان بإذن الله، عبر أكثر من عقد من الزمان، إنها الزميلة الفاضلة الأستاذة الدكتورة/ نسيمة الغيث.

تحية تقدير ووفاء للأستاذة الدكتورة/ نسيمة الغيث على إنجازها الحضاري الذي نتذكره دائماً مع كل احتفالية بيوم الأديب الكويتي.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 10 9/5/11 9:27:21 AM

جماليات المكان في شعر يعقوب السبيعي

بقلم: د. نسيمة الغيث *

في مدخل هذه الورقة الموجزة عن جماليات المكان في شعر يعقوب السبيعي، من المهم أن أشير إلى أن مصطلح "جماليات المكان" ينتسب إلى الناقد الفرنسي" باشلار"، الذي ألف كتاباً بهذا العنوان، ونبه فيه إلى الأهمية التي تضفيها العناية بالمكان على أي إبداع أدبي، لأن " المكان" – حتى وإن كان متخيلاً، فيه قوة الإقناع بواقعية العمل. لقد تحدث باشلار وأطال عن المكان المغلق والمكان المفتوح، والمكان الثابت، والمكان المتحرك، وحتى المكان الثابت في متحرك كالجلوس في مقعد في قطار أو سيارة مثلاً، وقد يكون اهتمام باشلار بالمكان راجعاً إلى اتجاهه إلى فنون السرد أكثر مما أخذ أمثلته من الشعر، ولكن الجانب المهم في عنايته بالمكان أنه شرط لاستدعائه في سياق العمل الفني أن تكون له دلالة عاطفية، مثل الارتباط بالذكريات وصور الحياة الماضية، أو أن يكون المكان تجسيداً لأفكار مجردة ورمزاً لتصورات متخيلة تحاول أن تبدو مألوفة. وننبه مرة أخرى إلى ما يعرفه كل ناقد عن لغة الشعر، وهي أنها لغة حسية، ذات نزوع مادي، تنفر من التجريد كما تضعف بالتعويل على البراهين الذهنية وما يجرى مجراها، ولهذا "قد": يتداخل المكان مع نزوعات أسلوبية أخرى لا تأخذ سمت المكان ولكنها لا تناقضه ولا تهرب منه، مثل "الأشياء" والربط بين الأشياء والمكان ليس فيه أي تعسف أو إكراه، ولعلنا نتذكر ما ردده الروائي الفرنسي "ألن روب جرييه"، في كتابه : "نحو رواية جديدة"، وقد ربط هذه الرواية الجديدة بالمكان، كما أطلق عليها صفة الشيئية، أي العناية بالأشياء المادية، ونحن ندرك أن المادة، أو الشيء، يقاس بالحيز الذي يشغله.. أي: المكان ومرة أخرى- أو أخيرة- نقول إن أحدث صرعات التجديد في الأسلوب، وهو كتابة الجسد، ليست بعيدة عن الطابع المكاني، لأن المشترك الحسي يجمع بينهما.

في شعر يعقوب السبيعي سنجد مفردات ذات طابع حسيّ/ مكاني تتكرر في قصائده بما يدل على أن معجمه الشعري شديد الارتباط بأحاسيسه الذاتية أكثر مما هو مرتبط بأفكار أو تأملات، وهذا ليس ينال من موهبة الشاعر، فالشعر منذ زمن أفلاطون، وإلى اليوم، ينبع من إحساس مادي بالأشياء وبالعالم. في قصائد شاعرنا تنتشر مفردات: الأقمار، الشهب، الشمس، السحاب، الماء، العشب، الأضلع، الصدر، الغيوم، النجم، الليل، الأرجاء، السبل، الطرقات، الدرب، وهذه المفردة: الدرب، من بين الأماكن جميعاً تكررت بالإفراد والجمع والتثنية، والإضافة، والوصف والتمييز، بما يجعلها تمثل محوراً أساسياً في التصور المكاني للشاعر وهيمنة لغة الكويت

* أكاديمية وباحثة من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 11 9/5/11 9:27:22 AM

وجغرافيتها في زمن الدرب والفريج والبراحة، لا تزال حاضرة في مخزون ذاكرته. بل إنه قد يصف الدرب بصفات الإنسان، فيقول، في قصيدة: "الزجاجة" – (من ديوان مسافات الروح).

ويصدّ عن طرق الكلام

يخاف درباً أخرسا

وفي هذه القصيدة ذاتها يصف العمر بصفات مكانية لا يسهل تصورها مجردة في الزمان، إذ يقول:

ما أضيق العمر المديد

إذا انحنى وتقوسا

فالضيق والانحناء والتقوس من صفات المكان، وليست من صفات الزمان الذي ينتمي إليه العمر!!

ومن هذا المنطلق نفسه يقول في مطلع قصيدة "غريب"– من الديوان نفسه:

غريب شوقه الأبد

ودرب ماله أمد

فالأبد والأمد لقياس الزمن، نهاية وبداية، ولكن الشاعر وصف بهما المكان والأشواق، وهذا حقه، لأن للشاعر لغته الخاصة، بل مطلوب منه أن يجدد في علاقات الألفاظ وإلاّ خمدت جذوة الإبداع.

إن يعقوب السبيعي شاعر يعرف مواطن الجودة في موهبته، وإنها – كما أتصورها– تسفر عن نفسها في مثل هذه التراكيب التي تمزج الحسي– المكاني بصفة خاصة، بالمجرد، إنه يخاطب محبوبته في "عطر الحديث" – (من ديوان السقوط إلى الأعلى) فيقول:

ملكت فيك شموساً منك مشرقها

إن العوالم بعض من مقاديري

وفي هذا البيت يصدر الشاعر عن حقيقة فلكية وهي ماثلة في جمع الشموس، والعوالم، بما يعني أنه بامتلاك محبوبته لم يملك عالمنا الأرضي وحسب، وإنما ملك المجرات جميعاً، ما اكتشفه الفلكيون، وما سيكتشفونه أيضاً،

جانب من الحضور

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 12 9/5/11 9:27:22 AM

فهذا بعض مقاديره، أو قدراته، حسب تعبيره. وفي قصيدة "كويتية" التي افتتح بها ديوانه الأول: السقوط إلى الأعلى: يسيطر الحسّ المكاني في تصوير علاقة حب مع هذه الكويتية، إذ يقول:

نثرت بليلك الشهبا

وسقطت لعشبك السحبا

وعينيك كلما ظمئت

عصرت لأجلها العصبا

....

وإن مرت يداك على

غيومي أمطرت ذهبا

...

لثمت النجوم مشبوباً

ومحترقاً وحين خبا

وقاومت انكماش النور في الأرجاء منسحبا

وجاذبت احتمالي

لاحتضان الليل فانجذبا

وجاء الليل يدفعني

إلى الأحلام مغترباً

إن وصف المحسوسات، ورصد الحركة هما اللذان يعمقان ديناميكية هذا المشهد الغزلي على إطلاقه، بمعنى سواء كانت "هدى" – المتغزل بها– واحدة من النساء، أو كانت المرأة الرمز للوطن أو للحياة. من أفعال الحركة: نثرت، وسقت، وعصرت، ولثمت، وقاومت، وجاذبت، ويدفعني، ومن المحسوسات المكانية مثل الشهب، والعشب، والسحب، والغيوم، والذهب.. إلخ، تؤكده قوة الشعور بالمكان وإعادة تشكيله بحيث يوصل رسالته الانفعالية المؤثرة التي تستحيل إلى مشاعر عشق واضحة. وفي عناوين هذا الديوان الأول يتسيد الجوهر المكاني بدءاً من عنوان الديوان: "السقوط إلى الأعلى"، وكلك في عدد من القصائد مثل: السماوات الأنيقة، عيناك عرشي، الدرب الآخر، دموع السماء، الوصول.

ونحن نعرف أن "العنوان" في المنهج البنيوي أحد ركائز التشكيل الجمالي للنص، بدعوى أنه يحتضن في أطوائه كل خصائص العمل الإبداعي، مضمرة، كما تضمر الخلية كل أسرار تركيب الجسد الحي الذي ينطوي على ملايين الخلايا.

قد تسافر جماليات الوصف المكاني عن دلالات نفسية، وتكشف عن طبائع تحتاج إلى صبر على التأمل، كما نجد في ختام قصيدة: "عيناك عرشي"، وقد وجدنا من الصعب اجتزاء بيت أو بيتين، وهذا دليل على قوة السبك في هذا المقطع الذي يقول:

آه لو تدرين ماذا

تركت عيناك عندي

غابة تنبت أشوا

قاً بأحلامي وسهدي

وبودّي، آه لو تدرين كم كان بودّي

أن أرى عينيك عرشي وأرى ثغرك مجدي

وأرى عمرك ورداً

وأنا أسقيه وحدي

غير أني، يحيي متى شاء ويردي

ضاع بين الكبرياء المرّ عمري والتحدّي

فذوي بعدك وردي

وزها روضك بعدي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 13 9/5/11 9:27:23 AM

في بداية القطعة تتصدر الإشارة إلى "غابة"، وفي الغابة معنى البكارة وعظمة الطبيعة والغموض الصانع للدهشة، وتنتهي إلى قسمة بينه وبين محبوبته، فله الورد الذاوي، ولها الروضة الزاهية. إن هذا الترابط بين الغابة والروضة يتوحد في إطار " حقل دلالي" ومرجعية شاملة، إذ يهيمن المكان، والنبات، والألوان، وفي اختلاف المصيرين. يتجلى الصدق النفسي، وإن كان صدقاً يضمر إدانة للمرأة بأنها أقدر على إعادة التكيف، فقد زها روضها، في حين ذوى ورده. أما الصدق المتسرب في تطلع" الرجل" الشرقي إلى أن يكون صاحب سلطة مطلقة على المرأة فهذا ما تبوح به هذه القطعة النادرة.

هذه بعض ملامح المكان وجماليته في شعر يعقوب السبيعي، وإذا لم يكن من حق النقد أن يمدّ خبرته الخاصة إلى ما يجب أن يقوله الشاعر أو ما لا يجوز، فإنه يكتفي بوصف الظواهر الفنية في حدود الموضوعات التي تناولها. وكما رأينا فإن شاعرنا السبيعي مشغوف بالحب، مشغول بالإقبال والصدود، بالتمني والمحاولة وما تسفر عنه.. إلى آخره. فإذا غادر هذه الدائرة فإن علاقة الصداقة مع عزيزيه أو أعزائه من أعضاء رابطة الأدباء هم المآل الذي تلتحم به الدائرة وتتفاعل فيه أفكاره وأشعاره مع أشعار الدكتور خليفة الوقيان، والدكتور المرحوم عبدالله العتيبي، وبتحليل الخطاب في هذه القصائد المتبادلة مع الصديقين سنجد الهم الوطني والقومي هو الشاغل، موضع التساؤل، والبحث عن إجابات لأسئلة معلقة.. ولكن، ولا مفر من هذا الاستدراك، سنجد المكان الكويتي، المكان الوطن، المكان الأرض والناس، المكان الذكريات والتطلعات.. هذا المكان قد تأخر ظهوره وظل كامناً، أو لنقل إن الشاعر لم يكن يضعه في

الشاعر يعقوب السبيعي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 14 9/5/11 9:27:24 AM

مستوى وعيه حتى دهمته، كما دهمتنا جميعاً أحداث الثاني من أغسطس ١٩٩٠. ومن الإنصاف للشاعر، ولنا، وللحقيقة أن الديوان الثالث ليعقوب السبيعي، وهو بعنوان : "الصمت مزرعة الظنون"، وقد صدر عام ١٩٨٩- أي قبل أحداث أغسطس ربما بعام كامل قد تضمن هذا الديوان قصيدة افتتاحية ربما نكتفي منها بعنوانها، وهو "قبلتان للوطن"، أما مطلع القبلة الأولى فإن فيه جلالاً وروحانية سامية:

لك في القلوب محبة لا توصف

يا منهل الحب الذي نترشف

لك يا كويت المجد في روحي هوى

متحيز لك دائماً، متطرف

يا خير دار في الوجود تواصلت

أرحامها، وأضاء فيها المصحف

في سياق القصيدة سيحتمي الشاعر بمخزونه المكاني الأثير فيذكر: السماء، والشموس، والنجوم. ومع هذا الجهد في إعلاء شأن الوطن، وهو ما لا نختلف عليه، لا نجد إشباعاً لصورة الكويت، وكشفاً عن جمالياتها الكثيرة، الجديرة بأن تذكر. وقد لا تختلف القبلة الثانية، بعنوان : "بلادي" عن سابقتها في شيء. وهذا الجانب هو ما حاول الشاعر استدراكه في ديوانه الأخير بعنوان: "إضاءات الشيب الأسود" الصادر عام ١٩٩٧م، وقد تصدرته قصائد تثبت أهم أركان المشهد الدرامي الذي كان، فمن قصيدة "علمتنا الكويت" إلى قصيدة " وطني المفدى"، إلى قصيدة " أنشودة عائد"، إلى قصيدة " الذهاب إلى الآتي" ومن بعدها قصيدة" الشهيدة س"، تتبعها قصيدة" عن الأسرى" ويختم هذا السيل الدافق بقصيدة" هيمنة أسير"، أما قصيدة "الملفع" فهي القصيدة الوحيدة التي سجلت أماكن كويتية في مطلعها وغنت لها:

بروحي رملة الفنطاس

والمطلاع والمقوع

وآمالاً بها كانت

لنا من ظلنا أطوع

وأياماً بنا تزهو

فلا أحلى ولا أروع

وتمتد القصائد التي تبدو كانبعاثات وأصداء لأحداث أغسطس، مثل: النيل يصب في الكويت، وغيرها. فيمكن أن نقول إن الشاعر السبيعي تدراك هذا الجانب المهم الذي لا يرتوي إلا عن طريق الشعر، وأعني: الغناء للوطن، وإعلاء ذكره، وتحفيز النفوس للالتفاف حول رايته التي ندعو الله أن تظل خفاقة دائماً.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 15 9/5/11 9:27:25 AM

فلسفة الزمن في شعر يعقوب السبيعي

بقلم: د.سعاد عبد الوهاب *

للزمن عند الشاعر حساسيته الخاصة، التي قد تصل حد الشعور المأساوي، لأن الشاعر- وهو يتسنم ذروة العالم- تتكشف له حقائق الأشياء، ومصائر الموجودات على تعاقب الأزمنة، وما يتهدد عالمه الأثير من حتمية التغيير والإطفاء، والشاعر- برغم طاقته الخيالية السحرية- يقف عاجزاً عن إيقاف زحف اختلاف المشهد، واختفاء الموجود، فلا يملك إلا أن يأسى، وأن يتنهد، وأن يحاول تصوير الحاضر باللغة حفاظاً على البديل. هناك وجه آخر للدخول إلى حلبة الزمن لدى الشاعر، وهو أخص من الموقف التأملي السابق، وأعني به استخدام صيغ الأفعال ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وقد استقر العرف البلاغي على أن استخدام الشاعر للفعل الحاضر، أو ما يطلق عليه الفعل المضارع، أقرب إلى الشعر وتأكيد وظيفته من استخدام الماضي أو المستقبل، والسبب متفق عليه في الدراسات الأسلوبية بصفة خاصة، لأن صيغة المضارع أو الحاضر تستحضر الصورة وتضعها في موازاة إدراك المتلقي، والصورة ورسم المشاهد ووصف الحركة أهم خصائص الشعر وأفضليته على النثر، ويمكن أن نراقب مطلع قصيدة بعنوان "استبدال" وهي آخر ما كتب الشاعر السبيعي ولم تنشر بعد، لنرى كيف بدأ قصيدته باستخدام ما يرشح الزمن الماضي، ولماذا انتقل عنه إلى الفعل المضارع، فهكذا بدأت القصيدة.

أَبَعْدَ تجنبي سبل الشجون — وإيثاري لداعية السكون

وتعويدي على الطاعات نفسي — وإبدالي التنسك بالمجون

لقد افتتح المعنى بكلمة " بعد" فدلّ على الماضي، وقدمتها أداة الاستفهام فأكدت أسئلة الماضي ومهدت تطلع المتلقي إلى استقبال ما ترتب على هذا الماضي وتناقضه معه، ويلاحظ أيضاً في البيتين السابقين اللجوء المتكرر إلى المفعول المطلق، وهو صيغة خالية من معنى الزمن، ولهذا تقبلت الانحياز إلى الماضي بتأثير كلمة "بعد"، والبعدية زمانية، وتصلح للمكانية أيضاً. هكذا تعاقبت المفعولات المطلقة: تجنبي- إيثاري- تعويدي- إبدالي. ليوقف الشاعر هذا الدفق الوصفي لما كان ليتعقب صورة ما ترتب عليه مما هو راهن، من ثم سيطرت الأفعال الحاضرة على سياق القصيدة:

تباغتني عيون هدى بليل — لتطف من محاجرها عيوني

ويرتد الطريق بكل عمري — إلى بدء الصبابة والجنون

* أكاديمية وباحثة من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 16 9/5/11 9:27:25 AM

وتلوي قامة الأعوام قلبي

ليهرب من مطاردة السنين

ويسبح في صبابات تولتْ

ليقضي من مآربها ديوني

فالأفعال: تباغت، تخطف، يرتد، تلوي، يهرب، يسبح، يقضي.. كلها أفعال حاضرة، ولهذا استطاعت أن تجسد مشهد معاناة العاشق وصبابته، على الرغم مما أخذ على نفسه من عهود، وما ألزمها من اتباع التمسك.. إلخ.

هذه مجرد إشارة لتبيان ما يعنيه زمن الفعل في صياغة القصيدة، وهناك استخدامات أخرى للزمن لا تخطئها الملاحظة لشدة وضوحها، وهي تدخل في صميم التشكيل البلاغي للأسلوب، كأن يضع الشاعر لفظ" الليل" في مقابل" النهار"، فهذا الاستخدام يدخل الزمن في علاقة تضفي على المعنى خصوصية فلسفية بما تحمل من معنى التقلب أو التعاقب، كما تضفي خصوصية جمالية تسميها البلاغة الطباق أو المقابلة.

فلنقرأ معاً مطلع قصيدة "خلفيات" – (من ديوان : السقوط إلى الأعلى)، يقول:

شتاؤك مجنونٌ، وصيفك يابس

وليلك مهموم، وصبحك عابس

وكيف أرد القلب عنك مكابراً

وأنت ارتفاع النار، والبرد قارس

وأنت الهوى، ألقاك في كل منظر

بدنياي أو يشقى بصدري هاجس

لنتأمل صيغ الزمان، أو الوقت، وقد بدأ بالشتاء، وقابله بالصيف، ولكن الشاعر يدرك أن العام – في استدارته- يتجاوز الشتاء والصيف إلى الربيع والخريف، وهنا يحاذر أن تتحول قصيدته إلى منظومة في الجغرافيا هدفها تعليم الفصول، فينتقل في الشطر الثاني إلى وحدة زمنية مختلفة، هي الليل والصبح، وهكذا أحاط بكل فصول السنة من تلك الزاوية، ولنا هنا ملاحظتان على استخدام

وأنت الهوى ألقاك في كل منظر

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 17 9/5/11 9:27:26 AM

الزمن الأولي أن الشاعر في حرصه على المطابقة بين الشتاء والصيف، لم يحرص على المطابقة في وصف كل منهما (والخبر وصف في المعنى- كما نعرف) فوصف الشتاء بأنه مجنون، وتجنب أن يصف الصيف بأنه عاقل، وإنما استمد له صفة تناسب هجيرة وقسوته، وهي اليابس. وكذلك الأمر في الشطر الثاني والعلاقة بين "مهموم" و "عابس"

أما الملاحظة الثانية فإنه لم يحرص على دقة المطابقة في الشطر الثاني، إذ قابل بين الليل والصبح، إذ قال: وليلك مهمومٌ، وصبحكِ عابس.

وكان مقتضى المقابلة أن يقول: ليلك ونهارك، أو مساؤك وصبحك، ولكن المغايرة في هذه المقابلة- دون أن تتخلى عن مبدأ المطابقة تماماً- تحقق دقة في المعنى، لأن الصبح يرتبط عادة بالرضا والتفاؤل والأمل ببدء جديد، فحتى ليل الهموم يوصّل بمجرد رحيله إلى صبح باسم وسعيد، فإذا قال الشاعر إن صبحها عابس، فقد بين أن ما ألحقت به من الآلام قد أطبق عليه من كل جانب، وفي كل حين.

هذه مجرد إشارات خاطفة لاستخدامات الزمن في شعر يعقوب السبيعي، ويمكن أن نضيف إليها ما يدخل في نهج التحليل الأسلوبي من مبدأ التكرار لمفردات زمنية معينة، ويكفي – في هذه العجالة- أن أشير إلى كلمة واحدة، في ديوانه الأول، وهي كلمة "الليل" وأول ما نلاحظ أنها تصدرت مرتين في عنوانين لقصيدتين: قصيدة "أنا والليل" وقصيدة "الليل الأزرق" في القصيدة الأولى تكررت "الليل" ثماني مرات صراحة غير الضمير العائد، وفي القصيدة الثانية ذكرت ست مرات، غير الضمير العائد. ونرى أن تعقب مفردة "الليل" في شعر السبيعي يمكن أن يسفر عن تصورات ذات جذور أسطورية وميتافيزيقية، وعن استخدامات تراثية نادرة وطريفة، تنتهي في جملتها إلى أن للشاعر موقفاً من الليل، لا يوصف بأنه سعيد أو مطمئن، أو حتى في موقف الانتظار، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل لا يتسع له الوقت المتاح لهذه الورقة.

أخيراً أشير إلى أن للزمن قياسات مختلفة، حتى وإن كان من الناحية الطبيعية الفيزيقية زمن واحد، له قياسه الموضوعي المحدد. إن هذا الزمن الخارجي، أو الموضوعي الذي يقاس بحركة الأرض موجود في شعر الشاعر، وهو متاح ووصفه يسير، ولكنه تجاوزه إلى ثلاثة مستويات أو قياسات هي الأدخل في مفاهيم الفلسفة، وسأشير إلى كل منها، وأمثل لها من شعره بقدرما أستطيع من الاختصار: هناك – بعد الزمن الموضوعي الخارجي- الزمن المقابل له وهو الذاتي، الداخلي، ويعتمد على شعور الشاعر بالزمن، فقد تمضي الساعات وكأنها دقيقة، عند الشعور بالسعادة، ويحدث العكس في وقت المعاناة.

يتضح هذا في قصيدة: "السماوات الأنيقة"، إذ يقول:

رُبّ ذكرى لأويقات صديقه

حملتني لسماوات أنيقه

فإذا عدت إلى ثقل الحقيقه

عدت بالنشوة إذا كنت لديك

فهنا- في هذين البيتين- مقابلة بين زمن

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 18 9/5/11 9:27:27 AM

متخيل، ذكرى، تغير فيها المشهد بأن استحال إلى سماوت أنيقة، في مقابل الزمن الموضوعي الذي عبر عنه بأنه ثقل الحقيقة!! المنظور الثالث للزمن هو الزمن الوجودي، الزمن الذي تفترضه الذات وتحقق رؤيتها بأنها صانعته وصانعة مكوناته، وفي هذا الزمن الوجودي يمارس خيال الشاعر أشهى ما يأمل من حياته وما يرغب في حيازته. وقصيدة "دعوات في ملتقى الفجر" - (من ديوانه: مسافات الروح) تبدأ برسم معالم هذا الزمن الوجودي الصادر عن خيال شاطح بلا حدود، إنه يخاطب محبوبته قائلاً:

قفي تقف الأرض والأزمنة

وتسعى لموقف الأمكنه

قفي تزهر الدرب في لحظة

وتغرق في عطرها سوسنه

ويتكرر الفعل الطلبي (قفي) يحمل خطاب الرجاء خمس مرات تتصدر خمسة أبيات، ليصل- فيما بعد- إلى الكلمة "المفتاح"، وهي : الوجود، أو وجوده هو شخصياً، فيقول:

وأسعى لمرآك من منتهى

وجودي ومن آخر الأزمنة

تدل عليك المنى مثلما

تدل على نهارها الأدخنه

ويخضع لي الدهر في رحلتي لأقطع في كل يوم سنه

وهنا نصل إلى المنظور الرابع والأخير للزمن، وهو الزمن العبثي، إذ تختلط فيه ألماً قبل بألم بعد، كما تختلط الأشياء، وتضطرب المعاني، إنه زمن بلا معالم، تغيب عنه الموضوعية وتختلط الرؤى.

في ضوء هذا التصور العبثي للزمن نقرأ هذه الأبيات من قصيدة " مطاردة الأيام"، وهذا العنوان يكثف الدلالة ويجسد الدليل، تقول الأبيات:

عفا الله عن حال دعتني لمثلها

مطاردة الأيام، والدفع، والجذب

غداة أدير العمر من حيث لا تعي

دهورٌ، وللرجعي بأزمنتي وثب

وفي قصيدة "ليلى" يتساءل:

لماذا تهرب الأوقات مني

وتبقيني بدورتها سجيناً؟

وللشاعرة قصيدة بعنوان : "سقوط الزمن" ولكن قصيدة "الغيبوبة" هي التي تصف عبثية الزمن وسقوطه، ومسخ الوجود والإنسان معاً، وهذا مطلع "الغيبوبة".

معصورةٌ مشروبه أعمارنا المنهوبه

مجرورة على الأذى

والذل والأكذوبه

لكنها لكل ما

يشينها منصوبه

تسعى إلى الخلف بنا

أيامنا المقلوبه

وبعد..

فهذه إشارات لمحاور مهمة تدخل في إطار فلسفة الزمن في الشعر، وفي شعر شاعرنا يعقوب السبيعي بصفة خاصة، ولعلي أجد من الزمن عوناً لأعود إلى ما أوجزت بشيء من التفصيل الذي يعطي شعره الرائع حقه من التحليل.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 19 9/5/11 9:27:27 AM

دلالات العنوان في شعر يعقوب السبيعي

بقلم: د. موسى ربابعة *

مما لا شك فيه أن العنوان علامة لغوية تحتل مكانها في واجهة النص لتنهض ببعض الوظائف التي تتعلق بالنص وانطولوجيته ورؤيته ونفعيته، إذ تبرز العنونة على أنها إشكالية نصية، لأنها تؤلف فضاء دلالياً مستقلاً، فالعنوانات تبهر المتلقي ببريقها المجازي فهي تشكل في كثير من الأحيان بلاغة من نوع خاص، تسعى إلى الإيقاع المبكر في القارئ، لما تخفيه من طاقة إغراء وجذب.

ويغدو العنوان علامة سيميائية تتأسس على إنتاج التدليل، فهذا الجزء المهم والدال من النص يحمل في طياته معنى ما، ويسهم في إنتاج الدلالة، ومن هنا فإن العنوان يمثل حالة من قلق الأسئلة التي تشكل أفق توقع القارئ فقد تخطت العنونة في كثير من الأحيان الدلالات الواضحة والكاشفة لتصبح منقادة إلى الغموض الذي يقود في بعض الأحيان إلى الفضاءات التي يتشكل منها النص لفك مغاليقه والكشف عن أسراره.

ستعاين هذه الدراسة دلالات العنوان في شعر السبيعي وفق العناصر الآتية، عنوانات الدواوين، ومجالات العنوان، والعنوان والنص.

أولاً : عنوانات الدواوين:

يمثل العنوان في الدرس النقدي الحديث جزءاً أساسياً مما أسماه جيرار جينيت المتعاليات النصية التي جعل النص الموازي أحد أشكالها الأساسية، وتحت هذا المفهوم يندرج العنوان ليشكل العتبة النصية،والعتبات النصية تشمل عناصر متعددة متعلقة بالعمل الأدبي بشكل عام. جاءت عنوانات الدواوين على النحو الآتي: السقوط إلى أعلى، ومسافات الروح، والصمت مزرعة الظنون، وإضاءات الشيب الأسود.

إن مقاربة هذه العنوانات لا يمكن أن تتخطى الآليات والأدوات التي تقارب بها، فهي عنوانات مسكونة بالمفارقة والفانتازيا والإدهاش والتغريب، كل هذه العنوانات مختارة بعناية فائقة، وهي تمثل في تشكيلها الفني قدرة على إثارة وعي المتلقي واستفزاز إدراكه، فالسقوط إلى الأعلى حالة غريبة وعجيبة، والغرائبي والعجائبي حالتان تسكنان نفس المتلقي وهو يجول بعينيه في هذه العنوانات.

فالسقوط إلى الأعلى بناء يتأسس على الغريب والمدهش، لأن المألوف والعادي أن يكون السقوط نحو الهاوية، لكن أن يكون إلى الأعلى فإنه يمثل حالة وجدانية تمثل البعد المكاني الساعي إلى حالة من الاستغراق الوجداني والاستيهام العاطفي،

* أكاديمي وباحث أردني مقيم في الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 20 9/5/11 9:27:28 AM

فالشاعر جعل عنوان ديوانه مأخذواً من عنوان القصيدة الموجودة في الديوان ص ١٠٤، إذ يقول:

وعليلين تهاوينا إلى الأعلى لنشفى.

قد سئمنا العشق زرعا

وعشقنا الحب قطفا

نقطف النصف ونبقي

للضمير العف نصفا (ص١٠٦).

ويبدو أن هذا العنوان قد يمثل حالة من التأجج الشعوري الذي ينداح عاطفة متوهجة تعطي النص محمولاته ومدلولاته التي لا تأتي في سهولة ويسر، إن القراءة الأولية للعنوان يمكن أن تبتعد عن الإمساك بالدلالة، لأن القارئ يحمل في وعيه ومعرفته الأولية أن السقوط لا يمكن أن يكون إلى الأعلى، لكن القراءة الشارحة للعنوان الموضحة له تكشف كيف يمكن أن يكون العنوان مراوغاً وعنيداً إن التهاوي إلى الأعلى محاولة للتخلص من التهاوي إلى النقيض. فحلم السقوط إلى الأعلى يتحول إلى حالة شعورية متدفقة.

ولا يقل عنوان مسافات الروح عن عنوان الديوان الأول في شعريته، فالروح لها مسافات تطل من خلالها على العالم لتعبر عن هواجس النفس الإنسانية، فما الذي يجمع بين الروح والمسافات، لو لم تكن نفس الشاعر مسكونة بالبعد الوجداني الطاغي حتى على عنوانات قصائد الديوان التي تمثل حالة من الاستغراق الموحي بالهاجس الذي تنطق به هذه القصائد، فمنطوقها قائم على أساس روحي تتسع لتشمل مشاعر إنسانية فياضة، والدليل على هذا أن عنوان الديوان غاب عن عنوانات القصائد، وهو مؤشر على أن القصائد جميعها تتجمع وتتكثف حول هذا العنوان الذي يعبر عن

.. وعشنا الحب قطفاً

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 21 9/5/11 9:27:28 AM

موقف إنساني يقرأ صفحة الروح بشكل فاعل ومؤثر.

والصمت مزرعة الظنون، عنوان رئيسي، لكنه غاب عن أن يكون عنواناً لقصيدة، ويبدو أن الشاعر لم يجعل عنوان الديوان مأخوذاً من عنوان إحدى قصائده، لكنه استخدم هذا العنوان في قصيدة (لبيك. لكن). التي يقول فيها:

والصمت مزرعة الظنون وإن لي

فيها حصيد تحركي وتوقفي

فالعنوان في تشكيله البلاغي يمنح اللغة بعداً دالاً على التألق والتوهج، ليصبح الصمت مزرعة للظنون، فالعنوان يتأسس على الانزياح الذي يدعو إلى إيقاظ وعي المتلقي، الذي لا يفتأ يفك أسرار اللغة الصادمة عندما يقرأ القصيدة، التي تبين موقف الشاعر من الآخر، فالصمت عند السبيعي يتحول إلى عالم شعري، لأن هذه المفردة سجلت حضوراً لا يمكن تجاهله.

إن عنوانات أعمال السبيعي الشعرية تختزن طاقات إغراء وجذب، ويتجلى هذا أيضاً في ديوانه المعنون بـ (إضاءات الشيب الأسود)، فالعنوان يتأسس على المفارقة والباروديا التي يمكن أن تستهزئ بالمألوف والقار في وعي المتلقي، فالمفارقة كامنة في قوله لا يمكن أن يستقيم إلا بالالتفات إلى فاعلية الانزياح وقدرته على تشكيل درجة الشعرية، إن بلاغة العنوان تتمثل بهذا النسيج غير المتآلف للكلمات الثلاثة: إضاءات والشيب والأسود، هل يمكن أن يكون مبعث هذا الاختيار كامناً في تشكيل التمائم ضد الزمن، إن لعبة اللون ولعبة الزمن شيئان متلازمان هنا، وتلازمهما حالة تتلبس القارئ الذي لا يمكنه أن يفلت من الدهشة الآسرة، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الشاعر لم يجعل عنوان الديوان عنواناً لإحدى قصائده، ولكن الذي يقرأ الديوان يصادف قصيدة "الأربعون" التي تحمل تذويباً للعنوان وتجلية له.

ثانياً: مجالات العنوان

وعند اكتناه المجالات التي تتمحور حولها عنوانات القصائد، يمكن تصنيف ذلك وفق عدة مجالات هي: الوطن، الذي يشي بالعلاقة المشيمية بين الشاعر والمكان، فثمة قصائد ركزت على الفضاء المكاني مثل: علمتنا الكويت، وطني المفدى، وقلب الكويت، والنيل يصب في الكويت، قبلتان للوطن، أغنية للسيدة الكويتية بالإضافة إلى القصائد التي عبرت عن الغزو وآثاره النفسية والاجتماعية الصادمة، وهناك قصائد أخرى جسدت الفضاء الزماني مثل: الأربعون، وسقوط الزمن، وأنا والليل، والخروج من الزمن، والليل الأزرق، وعروق الليل، ومطاردة الأيام، وثمة عنوانات دارت حول اللون مثل: رمادية، والعطش الأسود، والليل الأزرق وهناك عنوان واحد استحضر فيه السبيعي شخصية تاريخية هي شخصية أبي محجن الثقفي. ولكن العنوانات التي دارت حول ثيمة الحب أكثر من أن تحصى مثل: سدرة الحب، وحضرة الحب، وجمرة الاحتمال، وعطر الحديث، وكسرة حب، وغيرها من القصائد التي تعبر عن الهاجس العاطفي، ولذلك فإن القارئ يجد أن هذا النوع من القصائد يحتل نصيب الأسد في التعبير عن النزعة الوجدانية التي تتحول إلى حالة شعرية أو إلى كون شعري يميز شعر السبيعي.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 22 9/5/11 9:27:29 AM

ولا يمكن تجاوز هذه المجالات دون ربطها بعنوانات الدواوين الرئيسية التي تمثل حالة من النزوع الوجداني الذاتي ا لذي يهجس ببوح الذات عبر لغة لا تتوقف عند حدود المعقول، وإنما تتجاوز ذلك إلى تقنيات أسلوبية مثل المفارقة وتراسل الحواس والصورة الشعرية التي تتميز بالجدة والطرافة.

وستقف الدراسة عند قصيدتين لتعاين العنوان وعلاقته العضوية في النص، القصيدة الأولى جاءت بعنوان ٤٠-٠ = لقد ماز هذا العنوان عن غيره من العنوانات الأخرى أنه جاء رقماً، وهذا بحد ذاته مخالف لما درج عليه الأدباء في وضع العنوانات وصناعتها، ولذا لابد من مقاربة العنوان الرقم الذي ينفتح على تعدد الدلالات، ولذلك لا يمكن أن يتكشف العنوان للقارئ دون أن يدرس العلاقة العضوية بين العنوان والنص، يقول الشاعر:

لا أبالي....
.... بالذي ود اشتعالي.....!
..... والذي هم ولم يقو على غير اعتزالي!
لا أبالي.....
بالذي أغمض عينيه على غير خيالي
أيها الذاهب عني.....
..... عش كما شئت بعيداً وصحيحاً...
واحتجب في كوكب العطر ثلاثين خريفاً..
.... واصنع الدهر
الكسيحا.....،
وامنع الأقمار عن كل الليالي....،
واسحق الفجر.. إذا الفجر سعى لي،
واجعل القلب لما فيه ضريحاً
..... لا أبالي.....

د. ميمونة الصباح والشاعر يعقوب السبيعي ود. فاطمة الراجحي و لحظة تكريم

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 23 9/5/11 9:27:30 AM

تتمحور هذه القصيدة حول اللامبالاة التي يقيم عليها الشاعر فكرة قصيدته، إذ تتحول اللامبالاة إلى ثيمة شعرية تجسد العلاقة بين الشاعر والآخر، وهي علاقة تتأسس على التوتر، وهذه اللامبالاة تتجسد في نكران الآخر للشاعر، الذي ود اشتعاله وأغمض عينيه دون أن يستحضر طيفه، فهو يعيش في كوكب العطر، يمنع الأقمار، ويسحق الفجر ويجعل القلب ضريحاً.

لا يمكن تجاوز دوائر القهر التي يتعرض لها الشاعر، وهي دوائر تنبثق من نقطة ما وتتسع لتشكل الموقف السلبي الذي يقف الآخر من الشاعر، ولكن هذا الموقف الذي ينطلق من الاشتعال والنسيان ومنع الأقمار وسحق الفجر وتصيير القلب ضريحاً تمتلك ذروة التصعيد التي تقود الشاعر إلى إعلان اللامبالاة؛ يقول:

لن تراني..... أصفر الوجه
ذبيحاً...،
..... أرتمي في لجة الأحزان مغلوباً.
أسيفا،
أرسل الأحرف كي تدنيك مني..
أيها الذاهب عني
إن في دورق قلبي قطرات
بللت ما جف من روحي.. فحاذر
أن تعيد الأمس كي يلوي اعتدالي
لن تجد مفصل ما أحياه رخوا..
لن تجدني أقتفي ذكراك.. سهوا
سوف أبقي ذلك الوجد المكابر
أزرع الريش بحقل الريح والعطر المسافر
وسأعطي ذهب القلب لمن شئت... وإني
لا أبالي.

تنطلق القصيدة عبر حركتين متضادتين تجسدان الموقفين الضديين، موقف الآخر وموقف الشاعر، فإذا كان الشاعر قد أعلن اللامبالاة منذ بداية القصيدة، وهذا ما جسدته الحركة الأولى، إلا أن الحركة الثانية تبدأ بإعلان الموقف الذي يتصدى فيه الشاعر للحركة الأولى، فهو لا يمكن أن يبدو أصفر الوجه مغلوباً أسيفاً. إن القصيدة التي تدور في فلك هاتين الحركتين المتضادتين تجسيد حقيقي لرفض موقف الآخر حبيباً كان أم زمناً، ومن هنا فإن الإنطلاق إلى تأويل النص يجب ألا يتخطى العنوان الذي يشكل العتبة الأولى من عتابات النص الشعري في دواوين السبيعي.

إن العنوان الذي تشكل من الأرقام، لا يمكن أن يأتي دون أن يكون مرتبطاً بالنص، ولذلك فإن ترك الجواب هنا إشارة واضحة إلى النتيجة، وهي نتيجة تمثلت في رفض الشاعر، فالأرقام هنا جاءت لتعوض عن التصريح باللفظ، ولذلك نابت عنه لتجسد الرؤية القائمة على اللامبالاة في الموقف من الآخر والأشياء التي ترتبط به أو تنتمي إلى عالمه.

أما عنوان القصيدة الأخرى فهو " الأربعون" وهو عنوان يشير إلى معطى زمني، يجسد الإحساس الإنساني بحركة الزمن التي تكشف عن عاطفة إنسانية متقدة، وهذا لا يعني أن العنوان جاء مباشراً، فقبل قراءة النص يمكن أن يقف القارئ أمام عالم الاحتمالات والتوقعات، لكنه عندما يقرأ النص يجد أن العنوان معطى زمني ليس إلا، يقول الشاعر:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 24 9/5/11 9:27:31 AM

أعيد إلى الدهر ما لا يعاد

وأطلب من شوطه الارتداد

وليس يعير الزمان اهتماماً

ويمضي حثيثاً ما أراد

وماذا يريد الزمان المبيد؟

وماذا أراد الزمان المباد

وأخشى لعنف الجواب السؤال

إلى أين يا دهر قسرا أقاد

هي الأربعون وفي نظرتي

لما بعدها رجفة وارتعاد

يغالط عيني طبع الزمان

لكي لا أرى في البياض السواد

يتمركز هذا النص حول الهاجس الإنساني في رحلته مع الزمن، وهي رحلة فيها كثير من التوجع والأسى، ولكن المحاولة الإنسانية الطامحة على تخطي العجز وتجاوزه أمام حركية الزمن باءت بالفشل الذريع، ولكن التعبير عن هذا الإحساس لم يتوقف، ولذلك تتمحور المفردات وتتشكل الأساليب للتعبير عن هذا الهاجس الذي يمثل حالة العجز الإنساني في الإمساك بالزمن، حتى إن الشاعر لم يغفل اللعبة التي سبقه إليها الشعراء للعلاقة الجدلية بين الأبيض الزماني والأسود الزماني، لتنفتح إحساسه على حالة من القلق الوجودي، إنه قلق الإحساس بتقدم الزمن نحو الأمام.

إن التعبير عن الإحساس الإنساني بالزمن تجسد عبر لغة محملة بالشحن العاطفي والتدفق الشعوري، ولذلك تزاحمت الأسئلة وتألفت الصور الشعرية لتعبر عن هذا الإحساس الإنساني ولذلك ليس من الغريب أن تتحول كلمة "الأربعون" التي كانت رأس النص ومركزه إلى كلمة مفتاح، يقول الشاعر بعد أن ذكر الكلمة في الأبيات السابقة:

هي الأربعون لها كل يوم

وساوس تضعف نبض الفؤاد

هي الأربعون ذوي بعضها

وبعض أتى زرعهن الجراد

يمثل العنوان عتبة نصية يفضي إلى الفضاء الداخلي للنص، فالعلاقة بين العنوان والنص علاقة عضوية، وتتجلى هذه العلاقة في الكلمة المفتاح التي كان لها حضور واضح في ثنايا النص، إن موقف الشاعر من الزمن موقف يجسد حالة من قلق الأسئلة تمثلت في الارتسامات الغنائية المناسبة عبر نسيج لغوي مختار بعناية، وهي لغة محملة بالشحن العاطفي والوجداني.

سعت هذه الدراسة لتبين أن الأمر معقود على العنوان الموجز والمكثف، والمطول والممتد والمفصل في النص، فهو يقوم بعملية التدشين للنص، أي أنه تعريف أولي بمضمونه يهدف إلى استقطاب القارئ ليقوده إلى لذة القراءة ومتعتها.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 25 9/5/11 9:27:31 AM

استيحاء التراث في ديوان: إضاءات الشيب الأسود ليعقوب السبيعي

بقلم: د.أحمد عبد التواب عوض *

(٠-٠) مهاد:

(٠-١) الاتصال بين القديم والحديث:

إن تأسيس العمل الفني وبناء هيكله لا ينشأ من فراغ، ومنذ بداية الاهتمام بالنص الأدبي تأكد مبدآن أساسيان هما لدى المبدعين والنقاد: الكتابة والقراءة، وبهما يتحقق الاتصال بين القديم والجديد، فبالقراءة يتواصل الحاضر مع الماضي، وبالكتابة يتواصل المستقبل مع الحاضر، والماضي.

(٠-٢) عند العرب القدماء:

من خلال الوقوف على النص المكتوب يظهر لنا مدى تفاعله مع النصوص الأخرى الغائبة، فالتفاعل مع النصوص والمواقف السابقة ومحاورتها سواء تم ذلك عن قصد أو عن غير قصد من المخزون الثقافي المكون لثقافة المبدع يثري أدبه، وقد انتبه لهذه المسألة القدماء فذكروها في شعرهم، وسطروها في كتبهم فمن ذلك:

(٠-٢-١) **انتباه الشعراء العرب القدماء إلى أخذ اللاحق من السابق.**.وتعبيرهم عن ذلك في شعرهم، وخواطرهم، فعبر الشاعر الجاهلي عن هذا الأمر برأيين مختلفين:

الأول: الإقرار بأخذ اللاحق من السابق، حيث كان اعتماد المقدمة الطللية منهجا متبعا في استهلال القصيدة الجاهلية، وهو ما عبر عنه امرؤ القيس بقوله:

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام (١)

بل إن الشعور بإعادة إنتاج ما سبق إنتاجه استشعره الشعراء منذ العصر الجاهلي وما بعده وعبروا عنه في شعرهم مثل قول الشاعر:

مـا أرانا نـقـول إلا مـعـارا أو معـادا من قولنا مكـرورا (٢)

---

* أكاديمي مصري مقيم في الكويت.

(1) ديوان امرئ القيس، ص 114. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.ط 2، دار المعارف مصر، دت.

(2) نسب البيت إلى كعب بن زهير، ونسب أيضا إلى زهير، انظر: ديوان امرئ القيس، هامش الصفحة 13.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 26 9/5/11 9:27:32 AM

أو قول عنترة بن شداد(٣):

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم.

وقول كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا

أو معادا من قولنا مكرورا.

...وغير ذلك كثير في شعرهم.

(٠-٢-٢) اهتمامَ النقاد بهذه القضية.

اهتم النقاد والأدباء القدماء بقضية أخذ اللاحق عن السابق، من ذلك ما ذكره ابن سلام الجمحي(١٣٢هـ) عن حماد الراوية: "... كان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره. ويزيد في الأشعار"(٤) ، وهذا من أعمال الرواة، أم الأخذ عند الشعراء فقد ذكره الحاتمي (ت: ٣٨٨هـ) في حلية المحاضرة، قال: "وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد النوفلي يقول: سمعت أحمد بن أبي طاهر يقول: "كلام العرب ملتبس بعضه ببعض، وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدع منه والمخترع قليل، إذا تصفحته وامتحنته، والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعراً من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذاً من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل طريق الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ، وأفلت من شباك التداخل، فكيف يكون ذلك مع المتكلف المتصنع والمعتمد القاصد"(٥).

فيرى أن اللاحق لابد أن يأخذ ممن

(3) البيت من مطلع معلقة عنترة بن شداد. انظر: المعلقات السبع، برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، إعداد ومراجعة/ عبد العزيز محمد جمعة، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، سنة 1424هـ =2003م، ص59. وانظر ديوانه.

4 طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي،

(5) الكلام لأحمد بن طاهر. انظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي أبو على الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام،الجمهورية العراقية،1979، في مقدمة الفصل الخامس ص 203.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 27 9/5/11 9:27:32 AM

سبقه، وأن الكلام والمعاني تتكرر ويتداخل بعضها في بعض.

(٠-٢-٣) وظهرت في التراث قضية السرقات الأدبية، وتناولها الأدباء والنقاد؛ فيرى ابن رشيق أن باب السرقات الشعرية لا يقدر أن يدَّعي السلامة منه أحد(٦). ولا شك أنه يزعم أن كلا تشابه سرقة، ولكن مع إيحاءات لفظ السرقة، وما يُدخله في النفس من شناعة، فقد هذبت الدراسات المصطلح حسب نوع السرقة الأدبية، ووضع اللفظ المناسب له حسب شناعته أو إباحته وحسن تأتيه، فظهرت مصطلحات لكل نوع منها.. صنفوها تحت عنوان السرقات الأدبية، فوجدنا للسرقات درجات في مفهوم النقد العربي القديم، منها: الانتحال(٧) – الإنحال(٨) – الإغارة(٩) – المواردة(١٠) – المرافدة(١١)

(6) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، في باب السرقات وما شاكلها،

(7) الانتحال: وهو، أن يدعي الشاعر شعر غيره، وذكر النقاد أمثلة عليه بعضها لا يخلو من مقال، ومن أمثلة ما ذكروه عن أوائل الانتحال ما قاله الحاتمي: " ...وقد أجمع العلماء بالشعر على أن امرأ القيس أول من بكى الديار، وأبّن الآثار، وإذا تصفحت شعره استدللت ببعضه على بطلان هذا الإجماع، ألا ترى إلى قوله:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حمامِ

قال ابن الكلبي: فإذا سئل علماء كلب عما وصف به ابن حمام الدِيار أنشدوا من "قفا نبك" وذكروا أن امرأ القيس انتحلها فسارت له وخمل ابن حمام".

(8) الإنحال: وهو ما نحله العلماءُ الشعراءَ، ومن ذلك ما ذكره ابن سلام الجمحي(132هـ) عن حماد الراوية: "... كان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره. ويزيد في الأشعار"، وقيل أن حمادا زعم أن قصيدة أعشى همدان التي أولها: إن الخليط أجدَّ منتقله. ولذاك زُمّت غدوة إبلهْ

هي لطرفة قالها في بني سعد بن مالك.

(9) الإغارة: وهي أخذ الشاعر شعر غيره، وادعاؤه إياه بالقوة والسطوة، وذلك بأن يسمع الشاعر الفحل الأبيات الرائقة لشاعر آخر فيستنزله عنها قوة وقهرا يغتصبها عنوة وقسرا، فيسلمها قائلها إليه، وقيل إن الفرزدق كان من أكثر الشعراء الذين يغيرون على أشعار غيرهم. قال ابن سلام: "قال ذو الرمة يوما: لقد قلت أبياتا إن لها لعروضا، وإن لها لمرادا، ومعنى بعيدا، فقال له الفرزدق: وما قلت؟

قال: قلت: أحين أعاذت بي تميم نساءها وجُرِّدت تجريد اليماني من الغمدِ
ومدّت بضبعيّ الرباب ومالكٌ وعمروٌ وشالت من ورائي بنو سعدِ
ومن آل يربوع زهاءٌ كأنه دجى الليل محمودُ النكاية الوردِ

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها؛ فأنا أحق بها منك"

(10) المواردة: هي أن يقول الشاعران البيت الواحد لم يسمعه أحدهما من الآخر أو عنه.

(11) المرافدة: وهي أن ينظم الشاعر بيتا أو أبياتا ويعطيها شاعرا آخر يناضل به قرنه.

ومن ذلك ما أرفد الفرزدق أبياتا لعمر بن لجأ مثل هذين البيتين:

لقد كذبت وشر القول أكذبه.... ما خاطرت بك عن أحسابها مضرُ
ألست نزوة خوّار على أمة... لبئست الخلّتان: اللؤم والخورُ.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 28 9/5/11 9:27:33 AM

– الاجتلاب(١٢) – النسخ(١٣) – الإلمام(٢٢) – الملاحظة(٢٣) – المشترك – الاستلحاق(١٤) – الاصطراف(١٥) . المبتذل – المعاني العقم – الادعاء(٢٤) – الاهتدام(١٦) – الالتقاط(١٧) – الموازنة(٢٥) – الأخذ – الحل – السلخ(١٨) – التلفيق(١٩) – المسخ الاقتباس – التضمين – العقد – التلميح – الغصب(٢٠) – الاختلاس(٢١) – . الخلع(٢٦).

---

(12) الاجتلاب: وهو أن يجلب الشاعر بيتا من شعر غيره تمثلا به لا ادعاء تأليفه.

(13) الاستلحاق: إعجاب الشاعر ببيت من الشعر وإلحاقه بشعره.

(14) الاجتلاب: وهو أن يأخذ الشاعر بيتا على سبيل التمثيل، فيدخله شعره اجتلابا واستلحاقا. وبعض علماء الشعر كانوا لا يرون ذلك عيبا مثل يونس بن حبيب. وأما أبو عمرو بن العلاء فيرى أن الاجتلاب سرق، وذهب مذهبه ابن آيدمر والحاتمي من قبله.

(15) الاصطراف: وهو صرف الشاعر إلى قصيدته بيتا أو أكثر يستضيفها إلى نفسه، ويصرفها عن قائلها.

(16) الاهتدام: و هو أن يأخذ الشاعر بعض معنى البيت دون لفظه ويهتدم باقي البيت.

(17) الالتقاط: وهو أن يلتقط الشاعر عدة أبيات ويؤلف منها بيتا، كأن يأخذ أوله من بيت ووسطه من بيت آخر، وعجزه من بيت ثالث.

(18) السلخ: أخذ المعنى بلفظه مع تغيير بعض ألفاظه، أو تغيير بعض المعنى ليخفيه أو يقلبه.

(19) التلفيق: وهو ترقيع الألفاظ، وتلفيقها، واجتلاب الشاعر الكلام من أبيات أخر حتى ينظم بيتا.

(20) الغصب: أن يأخذ الشاعر بيتا من شاعر آخر عن طريق التهديد.

(21) الاختلاس: و هو تحويل المعنى من غرض لآخر.

(22) الإلمام: و هو ضرب من النظر، أو هو التغاير بمعنى أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعا.

(23) الملاحظة: و ذلك حين يتساوى المعنيان دون اللفظ مع خفاء الأخذ، أو تضاد المعنيين و دلالة أحدهما على الآخر.

(24) الادعاء: تنازع الشاعرين في الشعر، وادعاء كل منهما أنه من قبله دون صاحبه.

(25) الموازنة: و هي أخذ بنية الكلام أو قالبه.

(26) الخلع: هو أن يأخذ الشاعر بيتا لشاعر آخر لفظه ووزنه، ومعناه، وصيغته، فيركب عليه قافية غير قافيته الأولى، ويلحقه بشعره، فيصير له على مذهب العرب.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 29 9/5/11 9:27:34 AM

... وغيرها من المصطلحات. بعض هذه المصطلحات تشير إلى الذم والشناعة لفعل صاحبها، وبعضها تشير إلى توظيف صاحبها للتراث الذي سبقه، وتفرده بأسلوبه، فمنها الممدوح ومنها المذموم.

(٠-٣) أما النقاد والباحثون الغربيون:

تطور المصطلح على أيدي الباحثين الغربيين وأبعدوا عنه شناعته التي ارتبطت بلفظ السرقة، فولجوا الموضوع وألحوا على الأصول اللغوية وغير اللغوية السابقة للنص الأدبي، وكانت نظرتهم للنص الأدبي بأنه «ليس انعكاسًا لخارجه أو مرآة لقائله، وإنما فاعلية المخزون التذكري لنصوص مختلفة هي التي تشكل حقل التناص ومن ثم فالنص بلا حدود".

(٠-٣-١) فيرى تيري إجلتون أن قراءة نص أدبي، عملية إعادة كتابته بطريقة أخرى، مغايرة... كتابة تأويلية، تفسيرية...

من هنا يصبح النص الأدبي: "يعني أن كل قراءة لا يمكن أن تكون إلا إعادة كتابة لجميع العناصر اللغوية، وغير اللغوية المساهمة في بنائه"(٢٧).

وترى كاترين ديرفاي في كتابها (les réécritures)، أن كتابة أي نص إبداعي إنما تتم من خلال إعادة الكتابة. ولذا فالنص الأدبي، قراءته ينتج عنها كتابة أخرى، تتولد عن النظرة للنص، ومساءلته، وتأويله.. وخلق نوع من التفاعل والجدل معه... وبالتالي تصبح القراءة التأويلية كتابة ثانية.

هذا أدى إلى الاهتمام بالنص الغائب داخل النص الأدبي، وتفاعله مع نصوص أخرى.. فنتج عن ذلك، ظهور مصطلح نقدي هو: (التناص) (intertextualité)، والذي يحصل عن التفاعل النصي وتداخله.

وكانت جوليا كريستيفا من أوائل الذين اهتموا بالتناص كمفهوم ومصطلح، مرتبط "بالنص المولد الذي يهتم بالكيفية التي يتم بها توالد النصوص، وخلقها وفق عمل منبني على بناء سابق أو مسبق، ولهذا فإن النص الشعري بالنسبة إليها إنما ينتج ضمن حركة معقدة، ومركبة من إثبات النصوص الأخرى، ونفيها في آن...

بل إنه فوق ذلك عبارة عن إنتاجية ومبادلة بين النصوص، إذ إنه داخل فضاء النص الواحد نجد عددا من الملفوظات، إنما أخذت من نصوص أخرى، فتقاطعت معه، وتفاعلت"(٢٨).

وبالتالي تحولت النظرة إلى التناص باعتباره أداة مرتبطة بالتلقي وجماليته.. وأنه علاقة تفاعلية تتحكم في النص الأدبي. بل تعدى ذلك ليعتبره البعض أمثال ميشال ريفاتير آلية، خاصة مرتبطة بالقراءة الأدبية، وبالتأويل الأدبي.. هذا

(27) ما هو الأدب؟، تيري إجلتون، مجلة علامات، ع 8، 1997، مكناس، ص: 86

(28) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، د.عبد القادر بقش. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د- ط)،2007، ص 19.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 30 9/5/11 9:27:34 AM

ما دفع به إلى اعتبار التناص إدراك القارئ للعلاقة بين نص ونصوص أخرى، كيفما كان زمنها.. وجدل بينه وبين النص.

أمام هذا التحول، أكدت جوليا كريستيفا أن كل نص هو امتصاص، وتحويل، وإثبات، ونفي لنصوص أخرى(٢٩). وأنه لوحة فسيفسائية من الاقتباسات.. وأن كل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.

وتلقف هذه الرؤية، الباحث: لوران جيني، الذي خرج برؤية متقاربة، تؤكد أن التناص، هو:"عمل تحويل وتشرب لعدة نصوص، يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى"٣٠.

هذا التحويل الذي يمارس على النص هدما، وقلبا، يأخذ حسب لوران جيني، أشكالا محددة. فقد يكون تذكرا، أو تلميحا، أو اقتباسا لوحدة نصية، مجردة ومنتزعة من سياقها الأصلي، أو استلهاما بتحويل اتجاه معنى ما.٣١

فالنص هو عبارة عن تفاعل مع نصوص أخرى، إذ" الأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين، و(النص) تشكيل لنصوص سابقة (...)، أعيدت صياغتها بشكل جديد... وليست هناك حدود بين نص و آخر، وإنما يأخذ النص من نصوص أخرى، ويعطيها في آن"٣٢

(٠-٣-٢) هكذا النص الأدبي لا يخلو من نصوص غائبة.. ونعرف أن العرب كانت تشترط لتعلم الشعر، حفظ كثير من الشعر، وهذا المحفوظ من الشعر يغذي عطاءاته الشعرية... التي يخرجها في قالب فني جديد.

وهذا التفاعل ما بين النص الغائب والنص الجديد، يخلق تناصا، والذي هو في مفهومه، يعني التفاعل النصي، والمتعاليات النصية. إنه "علاقة تفاعل بين نصوص سابقة، ونص حاضر، أو هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"٣٣.

وهذا ما أكده ليتش Leitch، حيث اعتبر النص سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى٣٤

(29) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، د.عبد القادر بقش، ص24

(30) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، د.عبد القادر بقش، ص25.

(31) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، د.عبد القادر بقش، ص 25

(32) النص الغائب: تجليات التناص في الشعر ا لعربي، محمد عزام،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د- ط)، 2004، ص: 11

(33) النص الغائب: تجليات التناص في الشعر ا لعربي، ص: 29.

(34) الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي، عبد الله الغدامي،جدة، 1985، ص: 321

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 31 9/5/11 9:27:35 AM

(٠-٤) وللتناص قوانين ثلاثة، تحدد علاقة النص الغائب بالنص الحاضر، وهي٣٥

١. الاجترار: وفيه يستمد الأديب من عصور سابقة، ويتعامل مع النص الغائب بوعي سكوني، فينتج عن ذلك انفصال بين عناصر الإبداع السابقة، واللاحقة، ويمجد السابق حتى لو كان مجرد (شكل) فارغ.

٢.الامتصاص:وهو أعلى درجة من سابقه، وفيه ينطلق الأديب من الإقرار بأهمية النص الغائب، وضرورة (امتصاصه)، ضمن النص الماثل، كاستمرار متجدد.

٣. الحوار: وهو أعلى المستويات، ويعتمد على القراءة الواعية المعمقة، التي ترفد النص الماثل ببنيات نصوص سابقة، معاصرة، أو تراثية. وتتفاعل فيه النصوص الغائبة، والماثلة في ضوء قوانين الوعي واللاوعي.

وعندما نقف إلى شعر يعقوب السبيعي نجده حافلا بالتناصات المتعددة، والمتنوعة.

(٠-٤-١) قال بول فاليري: ما الأسد إلا جملة خراف مهضومة.. فالله سبحانه أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، ثم كانت رحلة الكلام. الكلام الذي تعلمناه ورددناه كالببغاء في البدء ثم عقلنا. فتعلقت معانيه بجدران العقل ، وتسربت أسراره في حنايا القلب.. ثم كانت القراءة: النافذة المضيئة على خلايا الجماجم عبر العصور في نقوش وحروف.

(١-٠) مفهوم التراث:

إن التراث في أدنى الدرجات، يشبه الصورة المركبة التي يتحدثون عنها في علم النفس. والإفادة من التراث يجمع بين من يفيدون منه على سمات مشتركة وخصائص عامة، بل يصور الشخصية، ويبرز الهوية، ويوضح الفضائل والعيوب، وكلمتا "القديم" و"التراث"، يرى بعض الباحثين أنهما تتشابهان، ويرى بعضهم أنهما تختلفان، وعلاقتهما كعلاقة الخاص بالعام، فالتراث جزء من القديم، وليس هو كل القديم، والقديم منه تراث ومنه ما ليس تراثا، فالقديم يطلق على كل ما تركه لنا السابقون. ولكن التراث هو ذلك الجزء الحي من القديم الذي يستطيع أن يؤثر في الحاضر. فنستطيع

(35) النص الغائب: تجليات التناص في الشعر ا لعربي، محمد عزام، ص: 54

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 32 9/5/11 9:27:35 AM

أن نقول إنه ليس كل ما أنتجته الأجيال السابقة تراثا، ولكن التراث هو ما يملك القدرة على تحريك الواقع المعاش أدبياً وشعرياً، فالقديم تراكم عشوائي، أما التراث فهو ما يحرك الواقع الحاضر من القديم.

القديم يتحدد بالزمن لا بالفاعلية، والتراث هو الذي يتغير بتغير الزمن. وهكذا نكون أمام ما سميناه "التراث الحي" الذي يفعل فعله في حاضرنا.

(١-٠) نتاج الشاعر الشعري:

طبع ديوان: إضاءات الشيب الأسود، للشاعر يعقوب السبيعي، سنة ١٩٩٧م، بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. وهو يعتبر أحدث إصدارات الشاعر يعقوب السبيعي:

فقد صدر ديوانه الأول: السقوط إلى الأعلى، سنة ١٩٧٩م.

وديوانه الثاني: مسافات الروح، سنة ١٩٨٥م،

وديوانه الثالث: الصمت مزرعة الظنون سنة ١٩٨٩م.

وديوانه محل الدراسة كان الديوان الرابع.

وله قصائد أخرى لم تُجْمع في ديوان، منها ما هو مبثوث في الجرائد والمجلات، ومنها ما هو بالكتب المدرسية، ولكنها لم تُجْمع بعد في ديوان.

(١-١) علاقة نصوص شعره في ديوان إضاءات الشيب الأسود، مع التراث:

وسأحاول أن ألحظ هذه العلاقة مع التراث في ديوانه، لأرى هل كانت علاقته معه مجرد:

اجترار: فاستمد الشاعر ما سبقه بوعي مسلم وممجد له فقط، أتعامل مع النص الغائب مكتوف الأيدي، أم أنه امتص النص وفهمه وانطلق مؤمنا بأهمية النص الغائب في سياقه، وأخرجه بأسلوب الشاعر، فيعتبر تجدد واستمرار، أم أنه حاوره بعد قراءته قراءة واعية وتفاعل معه، فأخرج لنا نصا جديدا بالاعتماد على النص التراثي.

وسأفصّل القول في أحد مصادر التراث التي أثرت في شعره ألا وهو القرآن الكريم وقد تأثر به تأثرا كبيرا، وهو خير مثال للتفصيل، ثم أضرب أمثلة لكل نوع من الأمثلة الأخرى حرصا على عدم التفصيل، فأستغني بالشاهد والمثل عن الإحصاء والتقصي، ويقاس الشيء بنظيره.

فعندما نقف على شعر يعقوب السبيعي في ديوانه إضاءات الشيب الأسود، نجده حافلا بالتناصات المتعددة، والمتنوعة.

(١-٢) الاستيحاء من القرآن الكريم:

القرآن الكريم له تأثيره واضح في شعر يعقوب السبيعي كله، وننظر كيف تعامل مع ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه في ديوانه:

(١-٢- ١) في قصيدته الشهيدة (س) التي كتبها في (مارس ١٩٩١م): عبارة الحمأ المسنون، في قوله:

هَيِّئي لِلْحَمَأ المَسْنُونِ عِطْرًا لقَصيدَة
كَتَبَتْها لَكِ في رُوحي سَمَاوَاتٌ فَقيدَة،
كُلُّ حَرْفٍ صارَ فِيها لَكِ عُمْرًا يا شَهيدَة

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 33 9/5/11 9:27:36 AM

وَثُقُوبُ الصَمْتِ فيها لَكَ آراءٌ سَديدَة...

وهو استيحاء من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ سورة الحجر / ٢٦.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ سورة الحجر/٣٣.

ذكر المفسرون أن : الصلصال: الطين الجاف، الحمأ: طين أسود منسق، والمسنون: المتغير.

فطينة الإنسان لم تكن مقدسة تستدعي السجود من قبل الملائكة بل إن كرامته من الله، وبقدر طاعته لله؛ لأن طينته كانت من طين يابس متخذ من طين متعفن، و قد نفرت منه بعض قوى الطبيعة لزعمها أنها أفضل منها.

فيذكر الشهيدة بأصله، وأنه ليس مقدسا، ولا مفضلا بذاته، بل بأعماله، فعملها البطولي وشهادتها دفاعا عن أرضها هو الذي يزكي ذلك الأصل المحتقر للإنسان، فرفعته بعمله وليس بأصله. فوظف هذا المعنى باستيحائه هذا اللفظ من القرآن الكريم. فأخذ اللفظ ووظفه في سياق مختلف وموضوع جديد، فامتصه وحاوره، ولم يكن اجترارا لما ذكر فقط، . مع تقديسنا لكلام ربنا . بل أخرجه مخرجا خاصا بالشاعر.

(١-٢- ٢): **في قصيدته هَيْمَنةُ أَسير(ص ٤١) في يوليو ١٩٩١:**

... لِتَقِيني فِتَنَ الخَنَّاسِ والعَيْنَ الحَسود.

فيستوحي من معاني وألفاظ المعوذتين من القرآن في قوله، حيث يستحضر لفظا من سورة الناس من الآية: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، و ويستوحي لفظا من سورة الفلق: من آية ﴿ومن شر حاسد إذا حسد.

فيدمج معاني وألفاظ السورتين في هذا الشطر من بيت شعر في قصيدته، ويضيفه إلى الفتنة في نصه الذي ينسب إليه، فنحن نستعيذ بالله من شر الوسواس الخناس ومن شر حاسد إذا حسد، فأخذ هذا المعنى وذكر سبب الوقاية من هذه الفتن الذي يستعيذ الله بربه من شرورها، وهو يريد تعويذ أمه له بقراءة هاتين السورتين، لتعوذه من فتنهما، وفيها أيضا استيحاء لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في تعويذ الحسن والحسين بهما.

(١-٢- ٣) **قصيدة: قلب الكويت (أكتوبر١٩٩١م) ص ٤٥**

كُلُّنا فَوْقَ جَمْرَةِ الصَّبْرِ نَدْعُو

لَكَ ذا الْعَرْشِ سُجَّدًا وَقِياما

فيستدعي آيات من سورة الفرقان في صفة عباد الرحمن

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا × وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾الفرقان/٦٤.

ولكنه يوظفها في بيته، توظيفا يؤدي المعني الذي يريده، فقامت، وإن كانت الآية يغلب معنى العبادة والصلاة والخضوع، في آية سورة الفرقان، وفي توظيف اللفظة في الشعر عند يعقوب السبيعي اختصت اللفظة بالدعاء، فإن الدعاء هو العبادة، أو هو مخ العبادة كما ورد في الحديث الشريف، فالمعنى موظف بثقافة عالية جمعت الآية مع الحديث، وفي الدعاء قمة الخضوع والخشوع، ولذلك سميت

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 34 9/5/11 9:27:36 AM

الشاعر يعقوب السبيعي ود. ليلى السبعان ود. سعاد عبدالوهاب

الصلاة دعاء، وإن كان لفظ الدعاء في البيت يحمل معنى الصلاة وليس الدعاء المجرد، لأن في البيت "ندعو لك" أي نصلي لك، ولو كان المراد الدعاء المجرد بدون صلاة، لكانت العبارة "ندعوك". فهناك فرق بين الأسلوبين، فخالف في بعض الألفاظ واستغل ثقافته في الربط بين الحديث والآية وربط معانيها باللغة، فظهرت ثقافته التراثية في هذا الربط.

(١-٢- ٤) قصيدة: قلب الكويت (أكتوبر١٩٩١م) ص ٤٥

وفي قوله: وَرِجَالٌ قَدْ عَاهَدُوا الله حَتَّى تَتَمَلَّاكَ أَعْيُنٌ لَنْ تَنَاما

يستدعي قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب/٢٣.

فبدلا من ذكر صفاتهم التي وصفهم الله بها في القرآن أشار إلى هذا الوصف لهم في القرآن، وكانت هذه الإشارة بها إيجاز لكي تنظر صفاتهم في القرآن وإخلاصهم لله ثم تكلم عنهم، واكتفى بعلم المخاطب بصفاتهم في كتاب ربنا، فوظّف ثقافته القرآنية لاختصار كلامه وإعطائه الخلفية الثقافية الإسلامية.

(١-٢-٥) وفي قصيدة: الأربعون:

تَحَوَّلْنَ عَنِّي، بَناتُ الفُؤَاد

وَأَنْكَرْنَ . بَعْدَ انْدِفاعي . اتئَاد

وَكُنْتُ إذا افْتَقَرَتْ لي المُنَى

وَهَبْتُ لَها الصَّافناتِ الجِياد، ص ٦٥

اللفظ مأخوذ من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ × إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ × فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ × رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ سورة ص/٢٩-٣٣.

والصافنات: تكلم في معناها أهل اللغة وأهل التفسير وأكثروا من الكلام فيها فمن ذلك أن الصافنات: جمع الصافن

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 35 9/5/11 9:27:37 AM

من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه.

ويقول الطبري في تفسيره: وزعم الفرّاء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صَفَنَت الخيل تَصْفِن صُفُونًا. ومن جنس الصافنات الجياد البراق الذي أتى به جبريل للرسول محمد في رحلة الإسراء والمعراج ووصفه الرسول محمد بأنه دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه واسم البراق قريب من البرق في سرعته، وأعلى من الصافنات الجياد، والبراق في السرعة ما اختص الله به الملائكة من أجنحة مثنى وثلاث ورباع ويزيد الله في الخلق ما يشاء، وقد رأى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الصورة الملائكية لجبريل عليه السلام وأجنحته العظيمة.

ولقد كانت الصافنات الجياد من الجند التي لا قِبَلَ لِبَشَر بها، وهي من المعني بقول سليمان لرسول بلقيس ملكة سبأ حينما أرسلت لسليمان هدية، فقال لمن جاء بالهدية ﴿ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها﴾. فقد كانت الصافنات الجياد من وسائل النقل والمواصلات التي اختصَّ الله بها سليمان عليه السلام وجنده دون سائر البشر، ولم يعرف لغيره مثل هذا الفضل إضافة لتسخير الرياح والجن.

وعن الصافنات الجياد أتت فكرة بساط الريح وفكرة الطيران ورسم الحيوانات المجنحة، وحتى اليوم يتخذ الحصان المجنح والثور المجنح شعارا لبعض الشركات.

ومن الثوابت التاريخية أن أول الحضارات التي رسمت الحيوانات المجنحة كانت حضارة العراقيين القدماء، وقد رسموا الثور المجنح والخيل المجنحة، وعنهم نقل المصريين القدماء فن رسم الحيوانات المجنحة، حيث حدث التأثير الحضاري المتبادل في فترات حكم المصريين للعراق القديم وحكم الآشوريين لمصر، وعن المصريين نقل أفلاطون الذي تعلم علوم المصريين القدماء فكرة الطيران التي أخذت في النمو فيما بعد بمحاولات عباس بن فرناس المخفقة للطيران ثم المحاولات الناجحة للأخوان رايت حتى كُتب للبشرية ركوب الريح بالطائرات والمناطيد والمظلات وسفن الفضاء وتحقق حلم البشرية بالتحليق في الفضاء.

ومهما كان الأمر فالصافنات الجياد: هي الخيل الجيدة، أي أجود الخيل، التي تَقَرَّبَ بها سليمان إلى ربه، لَمَّا أَلْهَتْهُ عن ذكر ربه(٣٦).

فوظف الشاعر قصة سليمان مع خيله الجيدة، ويقصد الشاعر أنه يهب أفضل ما عنده.

(١-٢-٦) في قصيدة الأربعون ص ٦٦، (يناير ١٩٩٠)

أقولُ إذا الشَيْبُ أَدْمَى يَدي

لي اللهُ... فالأَرْبَعونَ الرَّشاد

١. المعنى مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ

(36) وذلك حسب قول معظم المفسرين.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 36 9/5/11 9:27:38 AM

د. خليفة الوقيان و يعقوب السبيعي ود. مرسل العجمي

ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وفي سورة الأنبياء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ الأنبياء./٥١.

فيستوحي المعنى من القرآن، وإن لم يأخذ اللفظ مباشرة، فآثر الشاعر لفظا خاصا به، مشهورا في العامية والثقافة القومية، وهو سن الرشد أو سن الرشاد، وربط بين الآيتين، وإن كان سن الرشد في الثقافة القانونية يكون عن الثامنة عشرة أو عند سن الواحد والعشرين، ولكن ربما كان الرشاد غير الرشد، وهو يقصد بلوغ الأشد الذي ذكره القرآن، وفسره ببلوغ الرشد الذي وصف به الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببلوغ رشده.

(١-٢- ٧) قصيدة: لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

كَمْ أَظْمَأَ اللَّيلُ أَرْوَاحًا فَصِرْتَ لَها

سَحابَ كَوثَرَ بالأَنْوَارِ سَاقِيها. ص ٧٢.

استوحى سورة الكوثر: قوله تعالى:﴿ إنا إعطيناك الكوثر﴾ الكوثر/ ١.

وهو الحوض الذي أعطاه ربنا لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا. فوظّف هذا اللفظ في إعطاء الأفضال لممدوحة الذي يشكره.

(١-٢-٨) قصيدة: قوة الضعف:

كُلَّما هَزَّكَ قُرْبِي سَاقَطَت

حَرَكاتٌ رُطَبًا مِنْكَ جَنِيّا. ص ٩١.

يستوحي ألفاظ ومعاني سورة مريم في الآية ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ مريم/٢٥.

فذكر المعنى وألفاظا منها، لكنه ذكره في تركيب خاص بالشاعر.

(١-٢- ٩) قصيدة: إن لها رفاقا: حيث يقول:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 37 9/5/11 9:27:39 AM

يَشُدُّ عَلَيْك في قَلْبي الوثاقا

غَرَامٌ جاوَزَ السَّبْعَ الطِّباقا. ص١٦٣.

وبه استيحاء من قوله تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ من تَّفَاوُت فَارْجِع الْبَصَرَ هَلْ تَرَى من فُطُور﴾ سورة المُلك/٣، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَات طبَاقًا × وَجَعَلَ الْقَمَرَ فيهنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سرَاجًا ﴾ سورة نوح/١٥-١٦.

وفي سورة الرحمن/٣٣: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجنِّ وَالإنس إن اسْتَطَعْتُمْ أن تَنفُذُوا منْ أَقْطَارِ السَّمَاوَات وَالأَرْض فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إلاَّ بسُلْطَانٍ﴾

فكأن غرامه وصل المستحيل.

(١-٢- ١٠) في قصيدته هيمنة أسير: التي كتبها في يوليو/ ١٩٩١،

وقوله: وشيوخ الجن تدعوني إلى حفل هيولي. ص٣٩.

فيستحضر معاني سورة الجن، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلكَ جَعَلْنَا لكُلِّ نبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطينَ الإنسِ وَالْجنِّ يُوحي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْض زُخْرُفَ الْقَوْل غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ١١٢﴾

وقوله في سورة الأنعام أيضا: ﴿وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَميعًا يَا مَعْشَرَ الْجنِّ قَد اسْتَكْثَرْتُم منَ الإنس وَقَالَ أَوْليَآؤُهُم منَ الإنس رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا ببَعْض وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالدينَ فيهَا إلاَّ مَا شَاء اللّهُ إنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ ١٢٨﴾

ومسألة شيوخ الجن يقصد المقدمين منهم فلعله أخذ المعنى من قوله تعالى في سورة النمل: ﴿قَالَ عفْريتٌ منَ الْجنِّ أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أن تَقُومَ منْ مَّقَامكَ وَإنِّي عَلَيْه لَقَويٌّ أَمينٌ﴾.

فوظف إيمانه بالجن وبآيات القرآن وما ذكره القرآن عن الجن في هذا الأسلوب الذي استخدمه في شعره.

(١-٣) الاستيحاء من الحديث الشريف:

(١-٣-١) يستوحي من الحديث الشريف: قصيدة: (الملفع)

سأزرع موت أعدائي

وأحصد حالما أزرع

يستدعي صفة أهل الجنة يزرعون ويحصدون إذا اشتهى أحد أهل الجنة أن يزرع، أو الصورة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمثيل صورة الشهداء في إحدى روايات الحديث الذي يذكر رحلة الإسراء والمعراج.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في آية الإسراء: أنه أتي بفرس فحمل عليه قال كل خطوة عند منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل، من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ﴿ وما أنفقتهم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾(٣٧).

(١-٣-٢) قصيدة: لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

(37) ضعيف الترغيب، للألباني، برقم: 467، وقال ضعيف.

(38) وهو حديث صحيح صححه الألباني، رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد و أبو داود وابن حبان والطيالسي.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 38 9/5/11 9:27:40 AM

عنوان القصيدة مأخوذ من الحديث الشريف: الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"(٣٨).

يوظف الحديث ويجعله عنوان قصيدة لانطباقه عليه، ولكن القصيدة ليست دعوية جافة، ولكنها فنية، وقد أجاد توظيف العنوان وأجاد فنيته تحت العنوان.

قال الخطابي رحمه الله: هذا يتأول على وجهين:

أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم.

وهذا الحديث فيه ذم لمن لم يشكر الناس على إحسانهم، وفيه أيضا الحث على شكر الناس على إحسانهم.

(١-٤) الاستيحاء من التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية:

فيستوحي من السيرة النبوية:

في قصيدته: علمتنا الكويت.

يقول: ليلة قد تبرأ الله مما دار فيها وقد أعاذ نبيه

فيعقد مقارنة بالضد بين ليلة الغزو، وليلة الهجرة، كيف أن ليلة الغزو كانت ليلة هدم، وليلة الهجرة ليلة بناء، وفي كلتا الليلتين كان الغدر من الأكثرية ضد الأقلية، ثم يأتي بنتيجة المكر الأول لأعداء النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله تعالى قد أعاذ نبيه مما أعده له الأعداء، وفيه معنى أن الله تعالى سينصر أهل الكويت على من اغتصب أرضهم، كما نصر نبيه ونجاه من كيدهم.

(١-٥) استيحاء تعاليم الدين الإسلامي وشعائره

(١-٥-أ) استيحاء من الأذان: حي على الفلاح

في قصيدته الشهيدة (س): ينص على التاريخ، بقوله:

شيدي في جبهة التاريخ مما صار برجا.

فيضمن شعره نصا من الأذان، وهو قوله: حي على الفلاح.

(١-٦) استيحاء من حياة النصارى:

في قصيدته الشهيدة (س):

يا انسجام الصمت والضوضاء في خلوة راهب.

وقوله: وشيوخ الجن تدعوني إلى حفل هيولي

هيولي: الخلية، ويقصد بها السيتوبلازم في الخلية، فيستدعي المعلومات العلمية

(١-٧) استيحاء من الشعر القديم والحديث

(١-٧-١) استوحى صورة الليل لامرئ القيس:

فيقول: فالليل أطول ما يكون سواده والنجم قد هجر السماء غابا

والصبح عينا أرمد قد فاضتا بالدمع مما لا يراه صوابا

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 39 9/5/11 9:27:40 AM

ومن قصيدة الشاعر الجزائري عز الدين ميهوبي:

الليل أطول ما يكون
والأرض أصدق ما يقول الطيبون
وأنا أحبك هكذا ملء الفجيعة والجنون
قدري أنا ، إن كنت أنت
فإنني حتماً أكون
الليل أشبه ما يكون بلا انتهاء
والأرض أصغر من شفاه الأنبياء
وأنا الوحيد كما يريد الطيبون

(١-٧-٢) قصيدة: شكرا

فقال: خيرتك فاخترت الأقسى شكرا..
فدعيني كي أنسى
يستدعي قول نزار
إني خيرتك فاختاري
أنى خيرتك.. فاختاري
مابين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
اختاري الحب.. أو اللاحب
فجبن أن لا تختاري
لا توجد منطقه وسطى
مابين الجنة والنار...

(١-٧-٣) في قصيدته

من كهوف الظلام من جحر حيه سال سم
على الرمال النقيه

فقول السبيعي: (كهوف الظلام) تناص فيها مع بدر شاكر السياب، حيث إن السياب استخدم تعبيرات الكهوف والظلام في أكثر من موضع في ديوانه ، منها ما ذكره في قصيدته : الأسلحة والأطفال، حيث يقول:

كان السنا في الحروف
تخطى إليها ظلام الكهوف
بآمال إنسانها الأول
و ما اختط من صورة في الحجار
تحدى بها الموت فهي انتصار
و توق إلى العالم الأفضل
حديد
رصاص
حديد عتيق
رصاص ليخلو هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافيه
و خفق الخطى و الهتاف الطروب
فمن يملا الدار عند الغروب

وكأنه يقول له ما قاله السياب في القصيدة نفسها :

لمن كل هذا الرصاص
لأطفال كورية البائسين
وعمال مرسيليا الجائعين
وأبناء بغداد والآخرين
إذا ما أرادوا الخلاص
حديد
رصاص
رصاص
رصاص
حديد

وواضح جدا الربط بين القصيدتين، وجو الحرب والظلم القائم بين القصيدتين، في ذكره ليلة الغزو، وظلمها وترويعها للأطفال والنساء والآمنين.

أما استخدامه (جحر حية) فتناص فيها مع استخدام نجيب سرور لهذه الألفاظ قبله ، حيث يقول في قصيدته: بروتوكولات أ

(صوت يصرخ
خيّالك ليس هنا
يا آنستى لست أريد صغار القوم

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 40 9/5/11 9:27:41 AM

من غلمان الكاهن والكوهين
مخدوعين ومحترفين ،،
إنى أتبع ذيل الحية
حتى الجحر
والجحر ملئ بالحيات
والمخدوعون صغار
فى تيه يمين ويسار
وأنا فى تيه التيه
آلاف الأميال مشيت)

وهكذا يقول الشاعر أقولا تناصها مع الشعراء قبله، توضح معانيه التي لم يقلها، ويعطيها بعدا وفهما يتجذر عند الآخرين، بل نجد التناص يزيد فهم النصوص عنده، وكأنه شرح لمقصده وتفسير لشعره، فيشير للفظة في شعر غيره، كأنه يشير إلى تفسيرها.

(١-٧) **أقوال الحكماء والفلاسفة:**

قصيدة: جامعة الكويت:

فتظل تصغى للحديث لعلمها إن الحديث يضيء في إنصاتها

يستدعي قوله الشاعر: وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا.

إن هذه الأمثلة عن حكمة وحنكة الإسكندر فضلا عن مباركة الآلهة له وفق المنطق الأسطوري يجعل منه أهلا لتولي القيادة، ولأن يكون نموذجا لإعطاء الحكمة وتقديم المواعظ ولذلك فقد أورد الكاتب ذلك القول المأثور في وصف الإسكندر بعد وفاته والذي مفاده الملك كان يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه حيا".

وهذا القول ينسب إلى أرسطو الذي رثى الإسكندر، وهو المعني الذي أخذه الشاعر أبو العتاهية فقال في رثاء رجل آخر: وكانت في حياتك لي عظات
فأنت اليوم أوعظ منك حيا[٣٩]

فجعل إضاءة الحديث في الإنصات، كما جعل أبو العتاهية الوعظ في عدم الحياة.

(١-٩) **استيحاء من البيئة التي يختارها:**

(١-٩. ١)وأضرب لذلك مثالا باستخدامه اللهجة العراقية:

في قوله في قصيدته: علمتنا الكويت عبارة (ليلة سرسرية)

وهي باللهجة العراقية: السرسرية باللهجة العراقية: الكذابون والمنافقون، وذوي الأخلاق غير السوية، والذين لا يملكون الأخلاق.

(١-٩- ٢) **ويستدعي صور الغزو التي عاشها:**

فيقول في قصيدته (الذهاب إلى الآتي):

وطني قناديل خوت.. والعيد زيت

وقوله: في القصيدة نفسها،:

اثنان لن يتوقفا: ماء السعادة والحريق.
لكن عيدي لا يزال مبرقعا الأدخنة.

مأخوذ من صور الغزو العراقي والحرائق التي اشتعلت في آبار البترول.

(٢-٠) وفي نهاية البحث:

---

(39) العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1934 ص2/278

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 41 9/5/11 9:27:41 AM

نجد أن الشاعر لم يجتر التراث اجترارا، ولكنه امتصه وحاوره محاورة الفاهم له فاستوحى معانيه وألفاظه، ووظفها لما يريد من المعاني في شعره، فظهرت في حلة قشيبة وأسلوب خاص بالشاعر، ووظف التناص لفهم نصه وتفسيره وشرحه.

(٣-٠) من أهم المراجع والمصادر:

١. القرآن الكر يم.

٢. التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، د.عبد القادر بقش. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د- ط)،٢٠٠٧.

٣. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو على الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام،الجمهورية العراقية،١٩٧٩.

٤. الخطيئة والتكفير، عبد الله الغدامي،النادي الأدبي، جدة، ١٩٨٥.

٥. ديوان، إضاءات الشيب الأسود، يعقوب السبيعي، طبع الديوان سنة ١٩٩٧م، بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٦. ديوان امرئ القيس،. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.ط ٢، دار المعارف مصر، دت.

٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني، ط المكتب الإسلامي

٨ سلسلة الأحاديث الصحية، للألباني، المكتب الإسلامي.

٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.

١٠. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر مكتبة المدني، جدة ، سنة ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م.

١١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤

١٢. ما هو الأدب؟، تيري إجلتون، مجلة علامات، ع ٨، ١٩٩٧، مكناس.

١٣. المعلقات السبع، برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، إعداد ومراجعة/ عبد العزيز محمد جمعة، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، سنة ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م،

١٤. النص الغائب: تجليات التناص في الشعر ا لعربي، محمد عزام،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د- ط)، ٢٠٠٤.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 42 9/5/11 9:27:42 AM

جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي

بقلم : د. تركي المغيض *

إضاءة :

الجدلية هنا تأتي في مفهومها الفلسفي الذي يعني العلاقة الدياليكتيكية الاتحادية المتبادلة التي تربط بين طرفي معادلة . والمعادلة هنا : الإنسان والمكان . والمكان هنا هو المعادل الموضوعي للوطن . وتتجلى جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي بأكمل صورها وأبهاها من خلال العلاقة الاتحادية بين الإنسان والمكان ، فهذه العلاقة تبلور الجاذبية التي تُحدد الهوية الإنسانية وتعكس نمط العلاقة التي قد تصل إلى درجة العشق الصوفي .

فالشاعر يعقوب السبيعي يحدد القيمة الجمالية الانتمائية للمكان – الوطن الذي يتمسك به ويعشقه ويضحي من أجله ضد القوى المعادية ، فهو ممتدح عنده لأنه يمثل هويته ويرتبط به من خلال قيمتين هما : قيمة الحماية وقيمة تحقيق الذات . فالمكان – الوطن لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والأحجام – ولكنه بالإضافة إلى ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة ومن موجودات الوطن ومنجزاته من إنسان وطبيعة ، بقدر ما يستمد من الجهد الذهني المجرد .

فالإحساس بالمكان – الوطن – إحساس له أصالة وعمق في الوجدان البشري ، لأن المكان – الوطن يصبح هنا هوية تاريخية ووطنية ونفسية ، لأنه يمثل حلقة الوصل المشيمية برحم الأرض ـ الوطن – الأم ، ويرتبط بوداعة الطفولة وذكريات الصبا وغرامياته . ويزداد الإحساس بالمكان – الوطن تجذراً وعمقاً وانتماءً إذا ما تعرض الوطن للخطر أو الضياع أو الانصهار (١) .

لقد تجلت جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي من خلال مرحلتين :

* أكاديمية و باحث فلسطيني مقيم في الكويت

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 43 9/5/11 9:27:42 AM

١- مرحلة ما قبل الغزو .

٢- مرحلة الغزو وما بعده .

١- مرحلة ما قبل الغزو :

يلاحظ المرء أن قصائد هذه المرحلة انبثقت من وعي الشاعر يعقوب السبيعي بالمكان - الوطن ، ومن موقفه الذي يجسد رؤية وطنية سامية منتمية ، وكأنه ينطلق من مقولة " إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية ، فهو يفتقد خصوصيته ، وبالتالي أصالته " (٢)

وقد عبرت القصائد في هذه المرحلة عن المواطن الصالح المنتمي كنموذج إنساني منبثق من معادلة الإنسان والمكان ، والتي جاءت منسجمة في هذا السياق مع تنظيرات الفلاسفة عن المواطن والمواطنة وجدلية العلاقة بين الوطن والمواطن . فقد أعلن روسو الذي اهتم بالمواطن السياسي والمواطن الأخلاقي بأنه " قبل أن نصبح رجالاً لا بد أن نكون قد أصبحنا مواطنين ، فالمواطن هذا ذو خصائص أخلاية أولاً " وعلى الفرد أن يصبح عضواً في الجسد الاجتماعي . وفي هذا الاندماج بين الفرد والمجتمع ككل تتحقق نظرية المواطنة . فالمواطن يتحدد وجوده في الدولة التي ساهم في تشكلها ، وعليه فالمواطنة هي شكل تعاقد الفرد والدولة " فعقد الاتحاد بين أفراد المجتمع ينطوي على التزام متبادل بين مجموع الأفراد ، وأن كل فرد وكأنه يتعاقد مع نفسه ، وبالتالي يحمل وصفاً مزدوجاً بوصفه عضواً في المجتمع صاحب السيادة " (٣).

وفي هذا الأفق الفكري جاءت رؤية الشاعر يعقوب السبيعي في تجسيد جدلية الإنسان والمكان ، إذ كشف من خلال قصائده هذا التعاقد الاجتماعي بين الإنسان = المواطن والمكان = الوطن . وبدا الإنسان الكويتي عضواً في جسد الوطن . وفي هذا السياق جاءت قصائده في هذه المرحلة في ديوانه " الصمت مزرعة الظنون " (٤)، وهي : " قبلتان للوطن " : أ- الكويت (ص ٩- ١٢) ب- بلادي (ص١٥-١٨) و " إلى شفة الكويت " (مهداة للأخ د. عبدالله العتيبي ص ٣٣-٣٧) ، و " أغنية للسيدة الكويتية " (ص ٤٧-٤٩) . وفي ديوان: " السقوط إلى الأعلى " (٥) قصيدة بعنوان : كويتية (ص ٩-١٠) .

إن يعقوب السبيعي شاعر عرف بشعره في عشق الكويت وعشق إنسانها رجلاً وامرأة ، فجاء شعره مليئاً بالعاطفة الانتمائية والوطنية . فالوطن في شعره وسع من دائرة الانتماء . في نفسه وقوّى من أبنية الوعي الانتمائي لديه ، وشحذ

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 44 9/5/11 9:27:43 AM

في داخله مشاعر الحس الوطني . ففي قصيدته " قبلتان للوطن – الكويت " يقول :

لكِ في القلوب محبةٌ لا توصفُ

يا منهل الحبِّ الذي نترشّفُ

لكِ يا كويتَ المجدِ في روحي هوىً

متحيّزٌ لكِ دائماً ... مُتطرّفُ

يا خيرَ دارٍ في الوجود تواصلت

أرحامُها ، وأضاء فيها المُصحفُ

عربيّةٌ تهبُ الزمانَ مفاخراً

لا تنتهي أبداً ولا تتوقفُ

ملأت محبتُها السماءَ فأصبحت

مِثلي الشموسُ بحبِّها تتشرّفُ

... ماذا أقول ؟ يجلّ حبُّكِ عن مدى

قولي وإنّي في المحبةِ مُسْرفُ (6)

إنّ السياق الشعري الذي أفرغ فيه الشاعر حبّه وعاطفته تجاه الكويت منبثق من المخيلة الشعرية بغية تحذير الوعي الانتمائي وإبراز الذات الكويتية وامتدادها العربي . واستخدم الشاعر يعقوب السبيعي أسلوب الإنشاء البياني لبناء صورة حية وفاعلة هدفها تجييش الذاكرة الوطنية وكشف العلاقة الاتحادية بين الوطن والمواطن . وهذه الصورة لا تهدف إلى رسم مخطط للأبعاد الهندسية أو الطبوغرافية للمكان الكويتي ، وإنما تهدف إلى إظهار الفاعلية المعنوية والفاعلية النفسية للمكان ، لأن " المبالغة هي قمة الصورة الحية " (٧) . والإسراف في الحب عند الشاعر يعقوب السبيعي هو إفراز من الخيال الشعري الذي « يتجاوز طبيعة الأشياء « وفعل منبثق من الفاعلية الوطنية عنده .

فهنا نحن أمام صورة مكانية من نوع خاص ، تقابل الإطار الفكري التأملي الذي يحمّل الشموس مفهوم الشرف ، وعندها تتحول التجربة الحسية إلى نوع من التأمل الذهني في المكان ، هذا التأمل الذي يُهيئ إمكانات انفتاح المخيّلة الشعرية والفاعلية النفسية على عوالم من المادة غير متوقعة التصور . (٨)

إن انتماء الشاعر للوطن لا يعني الانتماء إليه كأبعاد هندسية وجغرافية ، وإنما يعني الانتماء إليه وإلى جميع رموزه وموجوداته من إنسان وطبيعة وماء وتاريخ وأمجاد ، لذلك نرى الشاعر يعقوب السبيعي يقول في قصيدته « بلادي « :

بلادي كويت الله والنور والعلا

بها غيرها – إلاّ الذي قدّست – يُفدى

أُمرّغ خدّي في ثراها معانقاً

به نكهة الأجداد ، ما أسعد الخدّا

رجالٌ بها قادوا المكارمَ نحوها

فما أخلفوا وعداً ، ولانقضوا عهدا

مفاخرهم دينٌ وعزٌّ عُروبةٍ

وعلم بهم يرقى إلى عالم أهدى

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 45 9/5/11 9:27:43 AM

.. فحسبي من الدنيا بلادي وأهلها

فإنّ كويت المجد قد زانت المجدا (9)

إنّ اندماج الشاعر يعقوب السبيعي بالوطن يصل إلى درجة " الاتحاد " و " الحلول " في المكان حسب مصطلحات الصوفية . فهو متحدّ بثراه متناغم مع جوّه ومندغم في طبيعته . وهذا الالتحام بالوطن يعني في الوقت ذاته تحديداً للهوية الكويتية التي يعتز الشاعر بها ويفتخر .

وانطلاقاً من هذه الاندماجية بين الشاعر والوطن نراه يُلحّ على تلاحمية الروابط الوثيقة العرى بين المكان – المعادل الموضوعي للوطن ، والإنسان – المواطن المنتمي . وتبرز هذه التلاحمية في قصيدته : " إلى شفة الكويت " . وهي قصيدة مهداة إلى الدكتور عبد الله العتيبي ، يشكو فيها عُسْرَ أمره وعمق شوقه ، معتبراً إيّاه شفة الكويت ، مبيّنا أنّ الشعر مرآة الوطن وعنوانه ، فيقول :

أنعي إليك حمائمي وصقوري

ونسائمي وعواصفي وبحوري

عشرين عاماً – أو تكاد – قضيتها

أهدي إلى شفة الكويت زهوري

وأحيط بالحب العميق ملامحاً

تسقي بأخيلة الجمال جذوري

الشعر وجدي ، والقصيدة هاجسي

والحسن وردي ، والحسان عُطوري

حسبي أخا روحي ، وجودك بيننا

لأعيد فيك بشاشتي وسروري (١٠)

وفي قصيدته " أغنية للسيدة الكويتية " غزلٌ مندمجٌ بالوطن مُصاغة عباراته بسلاسة ورقة تشي بنبض قلب الشاعر الذي يخفق بحب المرأة والوطن ، إذ تتماهى المرأة مع الوطن ليشكلا لوحة واحدة من الفجر الزاهي والمستقبل المشرق ، فيقول :

.سيدة من بلدي

كفجره الزاهي الندي

تصنع لي يومي الذي

يُدني الشموسَ مِن يدي

أمٌ وأختٌ وابنة

صنعت أمسي وغدي

وزوجة تحنو على

صغارها ... وتفتدي

حبيبة ترعى الهوى

في غيبتي ومشهدي

... ليل الكويت نورُه

سيدةٌ من بلدي (١١)

ونلاحظ هنا أنّ العلاقة بين المرأة (الأم والزوجة والأخت والبنت والحبيبة) والوطن تصبح ثنائية تعالقية ، أي أن المرأة تتزيّن وتتجمّل بموجودات الوطن ، والوطن يكسب وجوده وحضوره واقعاً وخيالاً عبر وجود المرأة فيه . والشاعر أيضاً يحقق ذاته من خلال المرأة ، فقد عبّر بصورة واضحة عن الاندغام العلائقي : الوطن + المرأة + الشاعر (الإنسان) الذي يمنح الحياة والجمال والنور للكويت .

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 46 9/5/11 9:27:44 AM

٢- مرحلة الغزو وما بعده :

كان غزو العراق للكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ كارثة بكل المقاييس العربية والدولية ، إذ حطّم القيم والمبادئ العربية والإسلامية ، وفتّت شمل الأمة وبعثر جهدها ونضالها وضيّع تاريخها وفكّك وحدتها (١٢) .

وقد كان لهذا الحدث الإجرامي صدى كبير في الشعر العربي والشعر الكويتي . وفي هذه المرحلة تدخل جدلية الإنسان والوطن في حالة تماهٍ واندغام بالغة القوة . وهنا تبرز القيمة الجمالية الانتمائية للمكان – الوطن – الذي يتمسك به الشاعر ويعشقه ويضحي من أجله ضد القوى المعادية ، وتتوهج الفاعلية الوطنية عند الشاعر ويصبح الوطن الهاجس النفسي والشغل الشاغل للشاعر . ولهذا نجد الشاعر يعقوب السبيعي يُخصص معظم قصائد ديوانه : " إضاءات الشيب الأسود " (١٣) ، وهي: " علّمتنا الكويت " (ص٥ – ٨) و " وطني المفدّى " (ص١١-١٢) و " أنشودة عائد " (ص١٥-١٨) و " الذهاب إلى الآتي " (ص٢١-٢٤) و " الشهيدة (س) " (ص٢٧-٢٩) و " عن الأسرى " (ص٣٣-٣٥) و " هيمنة أسير " (ص٣٩-٤١) و " قلب الكويت " (ص٤٥-٤٧) و " المِلفع " (ص٥١-٥٣) و " النيل يصب في الكويت " (ص٥٧-٥٩) و " جامعة الكويت " (ص٧٥-٨٠) و " الأرج " (ص١٤٥-١٤٨) .

ففي قصيدة " علمتنا الكويت " يغدو الوطن المعلم الذي يعلم الإنسان مبادئ التضحية والثبات والفداء والحب والانتماء ، فيقول يعقوب السبيعي :

علّمتنا الكويت كيف نُغالي
في هواها وكيف تحلو المنيّه
علّمتنا الكويت كيف نُجازي
مَنْ يُعادي وكيف نردع غيّهْ
عامراتٌ قلوبُ أهلي وقومي
بكويت على الطغاة أبيّهْ
ولِعَيْن الكويت نبذل روحاً
ملأتْها كرامة وحميّهْ
فحرامٌ على الطواغيت شبرٌ
من بلادي وفي النفوس بقيّهْ (١٤)

وتتسع دائرة الانتماء والحب عند الشاعر يعقوب السبيعي وتنداح إلى دوائر التضحية والفداء والحرية فالحب في نظره هو بطولة في مواجهة الحياة وتغييرها إلى عالم يبحث عن الحرية والأمل والتفاؤل ، وهو أيضاً بطولة الإنسان في انتصاره على الشر والعدوان ، وهو كذلك فداء وتضحية من أجل الوطن ، فيقول في قصيدته " وطني المفدّى " :

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 47 9/5/11 9:27:44 AM

لكِ الأيامُ مرقى للمعالي

فليس ترينَ للعلياء بُدّا

توالد فوق أرضك كل مجد

وكنت – الدهر- للأمجاد مهدا

وإنْ سألتء أكفُّ الشر شيئاً

فَقَطْعُكِ للأكفِّ يكون ردّا

ودأبُ أميرنا حقٌ ومجدٌ

فمَنْ أولى بنا حقاً ومجدا

يقِلُّ لكِ الفداءُ ، وليس عندي

سوى روحي فدىً للوطن المفدّى (١٥)

وإذا اتخذنا عنوان القصيدة علامة دالة على البنية الكلية الخاصة بها نجد أن القصيدة بكلّيتها تجذر الوعي الانتمائي ، وتكشف مدى التلاحم بين الإنسان والوطن والإلحاح على أن تبقى وشائج الالتحام بالوطن قوية ومستمرة .

وعندما تعرضت الكويت للغزو العراقي الغاشم ، وأصبح الوطن في خطر ، ازدادت الفاعلية المعنوية الوطنية عند الشاعر يعقوب السبيعي ، وتمّ استدعاء الوطن هنا بعناصره المكانية الحسية وأبعاده الذهنية المجردة ، عبر اختراق خيالي هائل يستقطب إلى فضاء القصيدة عناصر بيانية ولغوية تشكل جسد النص ، ليس من حيث كثرة أشكال الخيال اللغوي الذي يتحقق من خلالها فحسب ، بل من حيث حشد الخيال البياني ، لغرض خدمة القضية والفكر ، لا للتزويق والزخرفة ، المنبثق من مرارة التجربة وقسوة الحدث وكارثية الغزو ونتائجه ، والقدرة على التعبير الموحي. ويُصبح المكان في النص ثيمة دينامية ، وبرهنة على الغيمة المطلقة للمكان – الوطن على نحو يُفضي إلى إلغاء السببية ليحل مكانها " التسامي المحض " . (١٦)

ففي قصيدة « أنشودة عائد « يثور الخيال اللغوي والمخيلة البيانية لدى الشاعر يعقوب السبيعي، ويمتح من المنهل الشعوري ذاته ، وهو منهل الشعور بالانتماء إلى المكان – الوطن بوصفه معادلاً شعرياً لفكرة الوطن في المنفى ، ويتحول إلى حالة ذهنية مسيطرة على وعي الشاعر وعلى لا وعيه في آنٍ معاً ، فيقول :

... يا نديمي هيّا معي إنّ عزمي

قمريٌ يشقُّ في الليل دربَه

أنتَ مثلي لك اقتدارٌ وعزمٌ

وطِماحٌ يجرُّ في الكون وثْبَهْ

نحن شعبٌ نفدي المحبة ألفاً

إنْ عَشِقنا وتفتدينا المحبة

مَنْ دعانا إلى المحبة جِئنا

بقلوبٍ إلى الهوى مُشْرئبهْ

غيرَ أنّا إذا اذلهمّت خطوبٌ

وأتتْنا بالشرِّ أخبثَ عُصْبَهْ

ثار فينا الفداء للأرض حتى

ترجِفُ الشمسُ تحت خوف المغبّهْ

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 48 9/5/11 9:27:45 AM

وتغورُ النجوم ، والأرضُ تغلي

والمنايا على النفوس مُكِبّه (١٧)

فهذه مراعة شعرية وظيفتها إثبات العلاقة الراسخة والثابتة في الشعور واللاشعور بين الإنسان والوطن ، فالإنسان متمسك بالوطن ولا يرضى بديلاً عنه . وهذا الاندغام العلائقي بينهما موجود في القصيدة كوظيفة ، ولهذه الوظيفة وجهان :

١- تربوي ، وغايته التدليل على أن الغزو دليل على النقص في الغزاة ، وأنهم بحاجة إلى المزيد المزيد من التربية ، وأن الأمور غير واضحة لهم تماماً ، على الرغم من وضوحها وشرعيتها في ذاتها .

٢- إقناعي برهاني ، وغايته توضيح زاوية الرؤية التي ينطلق منها الشاعر والتي استدعاها انحراف الغازي عن الحق ومعاداته لمنطق الأمور وشرعيتها ، كما يهدف أيضاً إلى تجييش الذاكرة الوطنية لكي تخدم بشكل أفضل طريقة الرد على الغازي المحتل ودحض فكره المنحرف .

ولهذا تقوّم القصيدة بأنها ناجحة في تعبيرها عن زاوية الرؤية الكويتية ، وتجييشها للذاكرة الوطنية وقدرتها على تعرية الغازي وكشف نقصه وانحرافه وظلامية رؤيته وفساد طويته . وبسبب من ذلك ، فالقصيدة نص تربوي وبرهاني ناجح ، فهي إذن نموذج شعري ناجح ، وهو نموذج – كما يرى الشاعر يعقوب السبيعي – يجب أن يُحتذى في نصرة الحق ، وإبراز العلاقة المشيمية بين الإنسان والوطن .

وتظهر نماذج إنسانية في مرحلة الغزو وما بعده ، مثل : العائد والأسير والشهيد والمقاوم والقائد استُمدت من الواقع ، وبما أنها جسّدت مبادئ الفداء والتضحية والانتماء وترجمتها ترجمة حية وفعلية على أرض الواقع أصبحت نماذج إنسانية مثلت رموزاً لقضايا حيوية وبنى فكرية ووطنية ، متجاوزة الأسماء الواقعية ودلالتها المحددة لتغدو رموزاً وطنية قوية الإيحاء في حقولها الدلالية .

فقصيدة " قلب الكويت " تعبّر عن الأسير وتصفه بقلب الكويت ، وهو رمز لتضحيات الكويتيين وصبرهم ، وتجسيد لمعاناتهم وتمجيد لبطولاتهم . والأسير إذن هو المعادل الموضوعي لقلب الكويت ، ففي هذا الأفق الفكري يدور الشاعر يعقوب السبيعي قائلاً :

يا أسيراً أدْمى القيود سلاما

من قلوبٍ تهفو إليك دواما

كلنا فوق جمرة الصبر ندعو

لكَ ذا العرش سُجّداً وقياما

إنّ نصر الكويت يمتد حتى

تحتويك الكويتُ عيداً تسامى

كل شيءٍ حَوَتْه أرضُ بلادي

يتشهى تلك الوجوه الكِراما

لكَ شوقاً أضحى الوجود انتظاراً

واشتياقا أمسى الترابُ غَماما

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 49 9/5/11 9:27:46 AM

يا أسيراً رفعت في الصبر رأساً

لك نحني كلّ الرؤوس احتراما (١٨)

فالشاعر هنا يُقدّم شهادة أمام التاريخ ، وهي رمز لتمجيد بطولة الأسير ووفائه للوطن ، وعشقه له وتضحيته من أجله ، واستخدام الشاعر للرمزية الحسية هنا هدفها تحويل المشاعر إلى صور . والرمزية الحسية عند ت.س.إليوت أغنى صورة من صُور الإدراك الإنساني وإخراجها في شكل منظم أساس فنية الشعر . (١٩)

وفي هذا الإطار تأتي أيضاً قصيدة « عن الأسرى « التي تكشف لوعة الشاعر وحرقته على الأسرى ودعوته إلى طرح اليأس واعتناق الأمل . والشاعر يعقوب السبيعي هنا لا يعني نفسه ، وإنما هو رمز قابل للتعميم على كل أبناء الكويت ، وبذلك يجعل من نفسه نموذجا يجسد العلاقة القوية بين أبناء الوطن ومن ثم ارتباطهم الإنتمائي بالوطن : فيقول :

أتسألني عن الأسرى

صبرت فلم أُطقْ صبرا

بروحي مَنْ إذا ذكروا

بكت من فورها الذكرى (٢٠)

ويبرز الشاعر يعقوب السبيعي شدة حرقة الكويتيين وفداحة الغزو وإجرامه من خلال استخدام تقنية فنية هي المفارقة التصويرية ، حيث يقول :

أُسارى عند من كانوا

لدى إحسانهم أسرى (٢١)

فالمفارقة في أن الذين كان ينبغي عليهم أن يكونوا درعاً حصيناً للكويت وأبنائه ، هم الذين قاموا بطعنه واحتلاله وأسر أبنائه ، رغم أنهم كانوا أسرى لاحسان الكويت لهم ومودتهم وكرمهم .

وبعد أن يبين الشاعر يعقوب السبيعي العذاب والقهر الذي ألم بالأسرى وبأهلهم يؤكد أن كل داجية لابد يوما لإشراق ، وأن ضياء الحرية آتٍ مهما طالت ظلمة العذاب والاضطهاد ، فيقول :

لأنّ الليل مهما طال

لا لنْ يمنع الفجرا

غدا يبني لعودتهم

إلينا ربُنا .. جسرا

غداً يأتون يا بلدي

ويمسي أسرهم فخرا

ويجمع شملنا وطنٌ

بهم يستكمل النصرا (٢٢)

ويمتح هنا الشاعر من المخيلة النفسية المليئة بالإيمان بعدالة القضية ، ومن المخيلة الشعرية المتوهجة والمتألقة بالشعور الانتمائي الذي يمثل هوية من يلتصق بالوطن من أجل ترسيخ روافد الخصوبة الانتمائية وأبنية الوعي الوطني مما يخلق من خلال اللغة الشعرية صورا تجعلنا نتحسس بوضوح العلاقة بين الإنسان والوطن . " فالصورة تتطابق مع الشعور تطابق هوية ، لأن الخيال الناسج للصور ، إنما يمتح مادته الخام من أعماق

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 50 9/5/11 9:27:46 AM

الذات التي هي بدورها صياغة جبلها الواقع " (٢٣) .

إن الشهداء هم قربان الحرية والاستقلال والنصر ، وهم المجد الذي يظل صداه يدوي في سماء الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعلى أجسادهم تبنى الأوطان وتدوم ، وتُثار روح الحمية والمروءة والشهادة بجذوة من أرواحهم الحية . وفي هذا الأفق الفكري والشعوري تدور قصيدة « الشهيدة (س) « .

إن القصيدة تتخذ من المرأة نموذجاً للشهادة لتوضح مدى نلاحم المدافعين عن الكويت رجالاً ونساءً . ويعبر الشاعر بافتخار عن صفات الشهيدة التي هي رمز لمجد الشهادة والشهداء لتبقى الكويت عزيزة آمنة عصية على كل معتد أثيم . ونرى الشاعر يطلب من الشهيدة بمناجاة صوفية أن تهيئ له صورا من ضياء عينيها وأن تمده بجذوة من إيمانها ، وأن تهيئ « بخور الشعر « قربانا للشعر الذي يمجد الشهادة ويخلد الشهداء ويعزف ألحان العز والكرامة والحق والحقيقة :

هيّئي لي من سنا عينيك زاداً لمسافر

واسكبي الإيمان في عينيّ إن الليل كافر ... هيئ للحمأ المسنون عطرا لقصيده

كتبتها لكِ في روحي سماواتٌ فقيده

كل حرف صار فيها لكِ عمرا يا شهيده

وثقوب الصمت فيها لكِ آراء سديده (٢٤) .

إن جسد الشهيد مسجى في ثرى المجد يشع بسناه مساحات الزمن ويشكل ضياؤه منارات للفداء والتضحية ويصبح رسمه عنوانا للنضال على جبهة الزمن ، وإكليلا من الفخار والكبرياء على هامة الوطن :

هيئي لي الموت يا بارقة الأشذاء برهه

كي أقضّي بين عين الله في عينيك .. نزهه

يا مُسجّاً في ثرى المجد لقد أمسيت كنهه

أيُّ هاماتكِ أعلى يا بلادي أيّ جبه ؟ (٢٥)

لقد رفعت أيدي الشهداء بنيان وطن تسامقت أركانه وتسامت مشاعر أبنائه ، وتعاظمت تضحيات رجاله ونسائه . وقد بشر ذلك بإشراقه فجر بهي اندمجت فيه مشاعر الشعب بأرواح الشهداء واندغمت مع فكرهم ورؤاهم ، وتوحدت مواقفهم ومشاعرهم ، وغدا الدفاع عن الوطن وعشق الموت من أجله عقيدة وأمنية لتبقى الكويت مرفوعة الهامة عصية على الغزاة والمعتدين .

ويندمج المكان = المعادل الموضوعي للوطن بالمرأة بحيث يشكلان(المرأة والوطن) إطارين جماليين ، إذ جعل الشاعر الإطار الأول يتزين ويندمج بالإطار الثاني . ويتضح ذلك من خلال قصيدة " الملفع " حيث يقول الشاعر :

بروحي رملة الفنطاس

والمطلاع والمَقوعْ (٢٦)

وآمالاً بها كانت

لنا من ظلنا أطوع

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 51 9/5/11 9:27:47 AM

وأياما بنا تزهو

فلا أحلى ولا أروع (٢٧)

وانطلاقا من العلاقة الاتحادية الجدلية يبرز الشاعر نموذج الإنسان المقاوم الذي يفتدي بروحه الكويت ، ويجمع فيه صفات تمثل علامات مميزة للشخصية الكويتية لكي يجعلها النموذج المحتذى ، فيقول :

كويت .. حبيبتي .. أمي

أتيت على الصدى الأسرع

أتيتكِ أفتدى دارا

وبابا للسنى مُشرع

سأزرع موت أعدائي

وأحصد حالما أزرع

فدتك حبيبتي روحٌ

تضم جهاتك الأربع

وتلثم رملك الأنقى

تقبله ولا تشبع

تصب دماءها حتى

يصون مصبها المنبع (٢٨)

ويتحدث الشاعر يعقوب السبيعي عن مكان من أمكنة الكويت التي تشع منها المعرفة ويتخرج منها الأجيال متسلحين بالعلم والمعرفة والخلق ، ألا وهي جامعة الكويت التي لم تسلم هي الأخرى من أذى وعدوان الغازي ووحشيته وأعماله الإجرامية . واعتداء الغازي الغاشم على صرح علمي مثل جامعة الكويت له دلالات سيميائية مثيرة تدل على طوية الغازي السيئة ونواياه الخبيثة وأخلاقه الفاسدة الحاقدة وتربيته الناقصة وكرهه للعلم ، ونفسيته البغيضة التي تعشق الجهل والظلام ، فيقول مترجما هذه الأفكار إلى صور مرعبة مخيفة من قصيدته المعنونة بـ " جامعة الكويت " :

... ناديتُ بالوجدان جامعتي التي

عبث الغزاةُ بحالها وحياتها

يا منبعَ العلم العظيم ومُستقى

أرواح أبناء لها .. وبناتها

يا مرتقى الأجيال مرت طغمة

آذى هواءَ الأرض ريحُ رفاتها

.. فالبغض ينهش حيها وجمادها

والجهل يبلع نور مختبراتها

والمقت ينهب نفسها ونفيسها

والحقد شوه حسنها وسماتها

في كل ركن ينزوي علم وقد

داسته أحذية كرأس غزاتها (٢٩)

وبما أن كرامة الوطن واستقلاله رهن بقوة قائده وأبنائه فقد توجه الشاعر يعقوب السبيعي في قصيدته إلى تسجيل بطولات المقاومة الكويتية ابتداء بالقائد سمو الأمير الراحل الشيخ جابر – رحمه الله – وانتهاء بالشباب الذين افتدوا الكويت وما ارتبط بها من إنسان ومراكز علم فيقول :

لكنّ ربّاً في السماء قضى لنا

أن نحصد الأرواح في ثكناتها

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 52 9/5/11 9:27:47 AM

فإذا بأعداء الضياء يفر من

موت إلى موت ثوى بنجاتها

وإذا بأرواح الشباب لها فدى

لترد بعض الفضل من خيراتها

... تهنيكِ جامعةَ الكويت رعايةٌ

من قائد يرعى بها قاداتها

هذا طويل العمر جابرها الذي

قد جاءها ليطيل من قاماتها

هذا أمير العلم جاء مهنئا

ومصفقا لشموخها وثباتها (٣٠)

والجدير بالذكر أن الشاعر يعقوب السبيعي هنا يعبر عن الوشائج الحميمية بين الوطن والقيادة والشعب ، تلك الوشائج التي تعكس الحضور الدائم للوطن في الذاكرة الوجدانية للشعب ، كما تعكس فاعلية القيادة وحضورها التي تشحن الشعب بالطاقة الإنتمائية وتدفعه إلى المقاومة والثبات والافتخار بالوطن والإشادة به وبقيادته ومنجزاته .

لقد ظهرت جدلية الإنسان والمكان في شعر يعقوب السبيعي بصورة واضحة في المرحلتين قبل الغزو وبعده ، وأبدت مدى تلاحم الإنسان بالمكان = المعادل الموضوعي للوطن وعلاقته المشيمية ، وأبرزت نماذج إنسانية بلغت درجة الرموز الدائمة الخالدة والقابلة للتعميم على أفراد المجتمع الذين عكسوا وحدتهم واندماجهم بوطنهم وقيادتهم ، وبرهنوا على أنهم أعضاء فاعلين في جسد المجتمع – حسب تعبير روسو – وكشفت هذه الجدلية في الوقت ذاته دور الشاعر يعقوب السبيعي المتمركز في الخطوط الأمامية من قضايا وطنه .

وقد جاءت نماذجه الإنسانية: القائد والمواطن الصالح والمقاوم الشجاع والعائد الشامخ والأسير المهيمن والشهيدة الحية خالدة تدور في أذهان الناس وخواطرهم على مر الأيام وتعاقب السنين لتخلق فاعلية نفسية ومعنوية وانتمائية وخصوبة وطنية تولّد في نفس المتلقي مشاعر الفداء والألق والفخر والانتماء والولاء ، وتبلور العلاقة الجدلية بين الإنسان والوطن تلك العلاقة التي لاينفصم عُراها ولا تخور قواها .

الهوامش

١- قارن ، حاتم الصكر واعتدال عثمان ، الشعر ومتغيرات المرحلة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط١ ١٩٨٦ ، ص٥١ .

٢- جاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ ، مقدمة المترجم ، ص٦ .

٣- جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي ، ترجمة ذوقان فرقوط ، دار القلم ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص٣٧ .

٤- يعقوب السبيعي ، ديوان الصمت مزرعة الظنون ، رابطة الأدباء – الكويت ، مؤسسة الرياضي للطباعة العامة ، ط١ ، ١٩٨٩ .

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 53 9/5/11 9:27:48 AM

٥- يعقوب السبيعي ، ديوان السقوط إلى الأعلى ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٩ .

٦- الصمت مزرعة الظنون ، ص٩ وما يليها .

٧- جاستون باشلار ، جماليات المكان ، ص١١١ .

٨- بتصرف ، ياسين النصير ، إشكالية المكان في النص الأدبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص١٩ .

٩- الصمت مزرعة الظنون ، ص١٦-١٨ .

١٠- المصدر نفسه ، ص٣٥-٣٧ .

١١- المصدر نفسه ، ص٤٧-٤٩ .

١٢- انظر ، د. عبد الله المهنا ، محنة الكويت في الشعر المعاصر (الرؤى والأدوات) ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٤٨ ، السنة ١٢ ، جامعة الكويت ، صيف ١٩٩٤ ، ص١٠ .

١٣- يعقوب السبيعي ، ديوان إضاءات الشيب الأسود ، طبع بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ ، ١٩٩٧ .

١٤- المصدر نفسه ، ص٧ وما يليها .

١٥- المصدر نفسه ، ص١١ وما يليها .

١٦- انظر ، جاستون باشلار ، جماليات المكان ، مقدمة المترجم ، ص٥-١٣ ، انظر د. اعتدال عثمان ، إضاءة النص ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص١٠ وما يليها .

١٧- إضاءات الشيب الأسود ، ص١٦ وما يليها .

١٨- المصدر نفسه ، ص٤٥-٤٧ .

١٩- نقلاً عن د. عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ط٢ ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣٢ .

٢٠ - إضاءات الشيب الأسود ، ص٣٣ .

٢١- المصدر نفسه ، ص٣٣ .

٢٢- المصدر نفسه ، ص٣٥ .

٢٣- يوسف اليوسف ، مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٩٥ .

٢٤- إضاءات الشيب الأسود ، ص٢٧ وما يليها .

٢٥- المصدر نفسه ، ص٢٩ .

٢٦- الفنطاس والمطلاع والمقوع أسماء أماكن في الكويت .

٢٧- إضاءات الشيب الأسود ، ص٥١ .

٢٨- المصدر نفسه ، ص٥٣ .

٢٩- المصدر نفسه ، ص٧٥-٧٧ .

٣٠- المصدر نفسه ، ص٧٨ ، ٨٠ .

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 54 9/5/11 9:27:48 AM

يعقوب السبيعي

- ولد يعقوب يوسف السبيعي في حي المرقاب في الكويت عام ١٩٤٥م.

- درس في مدارس الكويت حتى الثانوية العامة، وقد كان لوجوده في السكن الداخلي، أثناء دراسته في ثانوية الشويخ، الأثر الكبير في بناء أرضيته الثقافية، حتى انكب على قراءة كتب التراث العربي في المكتبة، خصوصاً مؤلفات المراجع الأدبية مثل: (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني، و (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، ومعظم كتب أبي عثمان الجاحظ، وكتب التاريخ كـ (مروج الذهب) للمسعودي.

- وجد في نفسه ميلاً كبيراً لهذه النوعية من القراءة، الأمر الذي أثرى أرضيته الأدبية، وساعده فيما بعد على إبراز موهبته الشعرية بوجه خاص، والأدبية عموماً.

- عمل في وزارة الداخلية في مجال التحقيق، ثم انتقل إلى أحد البنوك الوطنية، وأخيراً عمل في مكتب الأمين العام لجامعة الكويت.

- بدأ يعقوب السبيعي في كتابة أشعاره في بداية الستينات.

- في عام ١٩٧٠م انضمّ إلى رابطة الأدباء، ثم أصبح عضواً في مجلس إدارتها، ثم أميناً لسر الرابطة عام ٨٦-١٩٩٢م.

- عضو لجنة التحكيم لجائزة البابطين الشعرية، وعضو لجنة تشجيع المؤلفات الإبداعية في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- عضو لجنة النصوص في وزارة الإعلام، وعضو لجنة الاستماع إلى الأغاني في الوزارة ذاتها.

- له إسهامات بارزة في كتابة الأغنية الكويتية.

- كتب العديد من المقالات النقدية في الصحف المحلية والعربية.

- قررت وزارة التربية في دولة الكويت تدريس نتاج الشاعر على منهج طلبة المرحلة المتوسطة.

- شارك في العديد من المؤتمرات والمهرجانات الشعرية، محلياً وعربياً ودولياً، وشارك في الأسابيع الثقافية التي كانت الكويت تقيمها في الخارج.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 55 9/5/11 9:27:49 AM

- أحد شعراء الكويت المحدثين والمجددين للشعر المعاصر.

- يعقوب السبيعي عاشق للكويت، صوّرها وغناها في أفراحها الوطنية بصورة رائعة، غنى أرضها، ترابها، تراثها، إنسانها، وقد غنيت له العديد من القصائد مثل: في عيدها حبيبتي، عرس الخليج، يا وردتي يا ندية، موشح بحر الأماني، فرحة أعيادي، نشيد إطلالة الصباح، عصفورة ووردة، وأوبريت مسافات المحبة، الذي اختتم به مهرجان القرين الثقافي الأول ١٩٩٤م.

دواوينه الشعرية:

(١) ديوان (السقوط إلى الأعلى) عام ١٩٧٩م.

(٢) ديوان (مسافات الروح) صدر عام ١٩٨٥م.

(٣) ديوان (الصمت مزرعة الظنون) صدر عام ١٩٨٩م. وقد حاز هذا الديوان على الجائزة التشجيعية لأحسن ديوان آنذاك.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 56 9/5/11 9:27:49 AM

قراءات

الرجل والمرأة .. في نصوص فاطمة العلي

سمير أحمد الشريف

أسماء مستعارة للسحرة.. المغامرة والابتكار في نص سيف الرحبي.

فيصل العبد الحسن

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 57 9/5/11 9:27:50 AM

الرجل والمرأة في نصوص فاطمة العلي

بقلم:سمير أحمد الشريف *

إذا كان الأدب انعكاساً للواقع على الإحساس،فإننا بدخول عوالم القاصة "فاطمة العلي"،نطل على فضاءات تكون مسرحاً لاتجاهات قرائية،يشكلها فضاء اللغة والشخوص والرؤى والحدث وظلال السرد.

تتلمس النصوص تعدديتها،باختلاف القراءات وتنوعها،فتظهر مستويات كتابية جديدة، تضفي عليها آفاقاً تأويلية حسب مرجعية المتلقي،غير ناسين أن النصوص تشتمل على دوال تساعد على التفكيك والاستنطاق،تمكّن للقراءة الواعية،استحضار ما خلف النص من إحالات ومرجعيات، تثري النصوص وتحفز المتلقي،فتبدو النصوص،أكثر عمقاً.

إشكالات الواقع يجب أن تنعكس على مجمل النسيج الأدبي، دون أن يكون هذا الأدب أداة إعلامية لفكرة،حتى لا يسقط في الخطابية، ويفقد إشعاعه الأدبي،خاصة، وأن الأدب ليس صورة للواقع، بل انزياحاً لما نشاهد في الحياة.

قد يتحول فعل الكتابة لصرخة تشهرها أقلام المبدعين في وجه واقع مزيف يلبس أبهى الأزياء. ووجعا يسكن أعماق الكتّاب،تثخنهم جراحات الروح النازفة.

تشير نصوص "العلي"لبؤر العفونة والمسكوت عنه في مجتمعات غيبت الحوار،وتكشف بجسارة عن واقع تتأسس فيه العلاقات، وفق معادلة مشوهة وتتحول إلى خطاب يدين الأخلاقيات السالبة بدرجة قد يرى فيها البعض خروجاً عن طقوس الكتابة المدجنة.

في مجموعتها (تاء مربوطة)،نقف على عتبات النص الأول "خالتي موزة"وعلى انسيابية السرد وشفافية طرح خطاب مكثّف يقول، لا للبديهيات، دونما احتكام للتجربة، أما ذلك الالتباس الجميل بين الشجرة والخالة،فقد وضع المتلقي أمام حالة استثنائية من النهاية المفتوحة على تأويلات تحترم عقل القارئ.

في نصها "تاء مربوطة" يواجهنا نقد ساخر وتهكم مر، بفنية حوار مسرحي، بعيد عن الصراخ، لنيل المرأة حقها.

---

* كاتب من الأردن

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 58 9/5/11 9:27:50 AM

"ما فيها شيء"، نص التداعيات الذاتية لتجسيد اختلاف رؤى الأجيال،ونهاية وظفت فيها المفارقة المشغولة بإحكام،مع غوص في مشاعر المراهقة التي تصطلي بنيران الإعجاب بمعلّمها الذي لم يوافق نزواتها فذهبت لزيارة صديقتها وحيدة، تلتم على حزنها،غير قادرة على إخفاء دموعها أمام الصديقة المريضة التي ظنت أن زائرتها تبكيها، وهي تبكي خذلان الحبيب، وما كانت الزيارة غير تبرير من "مريم"لإصطحاب الأستاذ والاختلاء به وحيداً بحجة الزيارة.

"أنا وهو وهو "قصة تلتبس فيها العلاقة بين أنثى ورجلين،عنوانها دال كما بقية العناوين، وتكون مفتاحاً لمفاصل هامة في خطاب النص، في حين يمكن للمدقق أن يقول الكثير عن أنثى هذه القصة: مضطربة، سادية،تستمتع بإيذاء الآخرين، تحتاج من يواسيها،فمن المسؤول عما انتهت إليه!!

أمام جرأة اقتحام الممنوع،تضعنا الأنثى أمام كشف لمواجعها وحاجاتها النفسية والجسدية.فهل يراد من ذلك دعوة لتحطيم الحواجز بين الجنسين وصولاً لتحقيق سوية ذاتية،ومن ثم الانطلاق لآفاق حرية فردية لا تخوم لها، بعيداً عن مواضعات عرف اجتماعي أصبح وراء التاريخ وأمام متطلبات الجغرافيا الكونية الجديدة؟هل هو الإحساس الغامر بسعادة الأنثى التي تمارس فعلاً تتجاوز به السائد ظاهراً وعن سابق وعي؟

حالة نفسية

إننا أمام حالة مرضية وجوع نفسي يسعى إلى الإشباع.لماذا تعتري الأنثى حالة نفسية غير عادية إذا صدها الرجل،ولماذا ترغب فيه أكثر؟هل يخلق لديها ذلك تحد يصل حدود التفاني لإشباع حاجة الامتلاك أم أنها نوع من السادية التي تريح النفس عندما تجد من يعذبها؟

..."أدري ماذا يعتريني عندما أنفرد به وينفرد بي...أبدأ بالاقتراب..جرت العادة أنه المرهون تاريخياً بالاقتراب...لا أصنع طقوساً...أنا بالتحديد أخرج عن المألوف والدارج،أفرح كوني تجاوزت...أقترب منه...أتلمسه...متلهفة...بوعي وإصرار ورغبة...إنه بامتناعه يفتح شهيتي للفعل أكثر.." ص٤١.

إنه ضعف الأنثى عند الاستغراق في فعل المتعة وتشظيها بين القدرة على اتخاذ قرار يوازن بين رغبتها لرجلين، صراع أمام عجز الآخر الذي يحقق كينونتها،فتلجأ للثاني عسى أن تجد ضالتها.

هل اعتراف الآخر بعجزه ما يدفع بها للذهاب لغيره؟هل يعاني الرجل من عقدة تريحه وهو يرى المرأة مع غيره ؟هل مركب الأنوثة لديه طغى على ما لديه من رجولة حتى يستمتع بهذا الفعل؟

"هو في محاولاته يقربني من ذاك ويجعل داخلي يرفضه..كان يحرضني على الاقتراب...الدكتاتور الذي متى ما أرادني،أمرني بترك ما في يديّ..لم يكن يريد أن يعرف بأن علاقتي بالآخر لم تكن عسلا...أوقاته كانت تميتني... تتشلني حتى أعود إليه...نبتعد عن لوثة الخارج وصخبه و صراعه في علاقة حميمة...لا يكتب دواخله...يشعر أنه

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 59 9/5/11 9:27:51 AM

ملاذي ومعتزلي... أنا أسيرة من غير أسر" ص ٤٢-٤٣ .

توظيف التقاطع النصي،تتيحه قصة "هلا يا عيوني"وفيها ينفتح الفضاء القصصي على استحضار صورة "هتلر""كان "الفهرور"محتدم الوجه،يقف على المنصة،نظراته النارية تثير الصفوف المتراصة باتساع الميدان" ص٤٧..."جاسم وعدتني أن تتزوج "اوليفيا"، أنت تعد وتخلف...فرح كثيراً عندما سمع هتلر يخاطبه،لكن لم كان صوته يشبه الممثل حسين رياض في فيلم كان اسمه...لم يعثر على اسم الفلم، تضايق جدا، رفس برجله، أصابت حافة السرير..أوجعته.. استيقظ" ص ٤٨ .

تضعنا الكاتبة في تناص تاريخي يقطع الزمان والمكان للحظتي الكتابة والقراءة، تغير من إيقاع سردها وتنوعه.

...أين شاهد صورة القرصان؟ لا بد في أحد الأفلام،بلادنا لم تعرف القراصنة،مرة واحدة ذكر الشيخ عبد العزيز الرشيد قرصان كويتي اسمه "ارحمه"ولم تدم سيطرته على صفحة الخليج..لقد قتل.

تتثال الذكريات بضمير الغائب،يعطينا فسحة للتأمل بوسيط بيننا وبين الكاتب...هو لم يحلم أبداً بأن يكون قرصاناً، يريد أن يترك في وجدان الآخر انطباعاً بالوداعة... بأنه العاشق الحالم الذي لم يجد من يفهمه،هل يمكن أن تكون هذه الشعيرات النافرة، صيغة اعتراض على حلمه الذهبي النابع في قلبه ص ٦٠ .

يعجبك هذا التكوين الفني الذي تجترحه الكاتبة، التنويع في الأساليب، والحركة التي تؤطر فعل الأشخاص، ويساهم في تجسيد الصورة وإيصال الفعل..قام... ألقى نظرة جانبية على شعره الذي لمع بسواد رباني...أما الرجل المتهم،فأراه يطل علينا من خلال السطور بين نص وآخر...انحنى أمام زخة الرصاص المنهمر على رأسه... أخفى رأسه في الرمال كالنعام.

في الوقت الذي تهزأ فيه من صاحب الموقف الباهت، فإنها تتكر على الأنثى اهتمامها بالسياسة،من وجهة نظر بعض الرجال..."المشكلة أنني اكتشفت أن خطيبتي ضلت طريقها لما تريد،هزت رأسها،قلّبت كفيها،رشفت الفنجان،قالت: لم أفهم،حسنا،المسألة بسيطة...الآنسة معجونة بالسياسة،عقلها،دمها،أعصابه ا كلها...، لم يتبق لها إلا الحديث في الخصخصة والفرانكفونية، وتقدم طلبا للعمل في هيئة الأمم.

-:وماذا في ذلك؟؟هذا دليل على اتساع أفقها.

رمقها بنظرة متشككة، هل تثيره؟تستفزه ؟تريد أن تعرف ماذا في أعماقه؟ فكر، تمهل، قال:

- لا مانع، أنا كمثقف، أرحب بالزوجة المثقفة،ولكن الثقافة لا تصلح أساساً لبناء حياة زوجية سعيدة،ص٦٥ .

لا نفاجأ بالمثقف المتناقض،"ببساطة شديدة،أنا أريد أن أكون زوجاً سعيداً، وبعبارة مختصرة....هل أجد هذه السعادة عندك؟هذا ما أسعى إليه"ص، ٦٥،ابتسمت مجدداً... قالت:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 60 9/5/11 9:27:51 AM

– من حقك...السياسة مستوى من الفكر، والفكر مهم، طبعاً أنت تشاركني هذا!!

بادر متلهفاً: طبعاً....طبعاً ولكن...

– دع لكن لي...

– ولكن الزوجة الحقيقية، لابد أن تكون حذرة في طرح القضايا العامة مع زوجها.

تدخل بنا الكاتبة بلقطات مخطوفة لمعترك جديد"...احمر وجهها عند ذكر كلمة زوجها، تخيلت نفسها معه في الفراش،تشوقت في لمحة إلى هذه اللحظة "٦٦.توظيف للقطة استباقية تشي بأمنية عزيزة.

النص اتهام صريح للرجل المتردد، ويلجأ للتبرير، سعياً وراء البحث عن مجرد أنثى..

" نعم الرأي...هذا ما يعجبني فيك... أنت تعرفين تماماً ما هو المطلوب من زوجة محبة،فاهمة،تريد أن تعيش في سلام"٦٦، بعيداً عن مستوى تفكيرها ونظرتها ودرجة وعيها.

– أنت مختلفة تماما...أنا عانيت... تعذبت،تحملت...واحدة مغرمة بالسياسة والثانية مثل السفينة المربوطة في الميناء، لا تفكر إلا في أهلها، والثالثة،كانت تعبد أطفالها، أما البغل الذي يجر العربة (أنا) بالتحديد...لم تكن تعطيه أي اهتمام... إنني أحلم بزوجة...تؤكد لي كل يوم أنها زوجتي... ما رأيك أيتها الجميلة؟ ص ٧٠.

هذا النوع من الرجال، لم يقل لنا ما هي المواصفات التي تبقى في شخصية زوجة لا تهتم بالسياسة والفكر، وتهمل أهلها

إشكالات الواقع يجب أن تنعكس على مجمل النسيج الأدبي، دون أن يكون هذا الأدب أداة إعلامية لفكرة،حتى لا يسقط في الخطابية، ويفقد إشعاعه الأدبي،خاصة، وأن الأدب ليس صورة للواقع، بل انزياحاً لما نشاهد في الحياة.

وأولادها، وتمنح ذاتها لبغل !!

نفتح كتاب العانس،في قصة(فتاة وحيدة)،نتملى الأسئلة الفكرية..."هل يحاسبنا الله على خاطر شيطاني لم ينطق به اللسان؟...الوالد الذي غفل عن نفسه بصمت وكبرياء وسلبية،وحاول شراء زوج لها،مات .....هي لم تتمن له الموت أبدا....كانت تشعر دائما أنه الذي يعيد لها الحياة، ويجعلها قادرة على احتمال العنوسة...اكتشفت أن زهورا كثيرة فقدت أوراقها وتعرت..من تلك الهبة العابرة...لم يبق منها غير أعواد جافة كالحة اللون، ٧٥.

بأسى موجوع يحكي النص ظلم المرأة للمرأة والأم للابنة،فأي تعرية للواقع وعلاقاته نجد؟

وهي طفلة، حاولت تقليد أمها،ضربتها وقالت:

– أنت صغيرة على هذا،والبنت المهذبة تفعل ما يناسب عمرها.... عندما استدار صدرها وردفاها،سعت لاقتناء

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 61 9/5/11 9:27:52 AM

في مجموعتها (تاء مربوطة)،نقف على عتبات النص الأول "خالتي موزة" وعلى انسيابية السرد وشفافية طرح خطاب مكثّف يقول، لا للبديهيات، دونما احتكام للتجربة، أما ذلك الالتباس الجميل بين الشجرة والخالة،فقد وضع المتلقي أمام حالة استثنائية من النهاية المفتوحة على تأويلات تحترم عقل القارئ.

أدوات الزينة.. سخرت (الأم) منها بجملة قاطعة كحد السكين:

– ما عندك سالفة،وجهك مثل صحن الموش، وتحطين مكياج؟؟هل تشتغلين في السيرك إن شاء الله؟ص ٧٦– ٧٧.

إنه القمع،نشربه صغاراً، فتذوي براعمنا،ويغيض بريق الأمل في عيوننا،فهل يبقى في طفولتنا ملامح لشخصيات متوازنة،وهل نحن من ثم مؤهلون لنصبح أسوياء في مجتمعات تريد أن تبني أوطانها؟مالا يقوله النص، أن الأم، ما كانت لتتصرف بهذا تجاه طفلتها، لو لم تكن مريضة، محاولة بذلك أن تورث جينات القمع والتسلط.

"..استقرت مرارة الكلام في حلقها،لم تبرحه أبداً، حتى مع مرور خمسة عشر عاماً، فلا تجد من وجه الأم غير السخرية القاتلة.

حاولت أن تصالح أمها...تستعطفها– أنت أمي...علميني...كيف وكيف وكيف...في المدرسة، علموها أن الأمومة تضحية، حب وإيثار، لكن ما تشاهده، يصدم ما تعلمته،فكرت بالتعليم والأمومة،اعتزلت أمها، عاشت على ابتسامة والدها، وعلى تعاطي السجائر والحلم بزوج ينقذها.

أين هي الاستقلالية، إن لم تجدها في بيتها وبين أبويها،ماذا يكون حالها وشخصيتها تصادر في المكان الذي يجب أن تنمو فيه؟

يدين النص تدخل الآباء، وعدم تقديرهم رأي الفتاة. جاء الخاطب الأول، رحب به الأب، شجعه، قالت الأم:هذا حافي ما يصلح، طمعان في مالنا، ولم يسألها أحد رأيها في الخاطب الأول والثاني والأخير الذي هرب.

لماذا كان الوالد سلبياً؟ لماذا لم يضع حداً لسيطرة الأم!!

النظرة الطبقية لخلق الله،مفصل هام نحتكم إليه،ونصنف الناس على أساسه. قالت الأم:

– "وع....."بسري"..هذا اللي ناقص،ما أزوج الأصيلة ل "بسري".رد الأب

– كل الناس لآدم وآدم من تراب،شاب ناجح، ونجاحه يكفي.قالت الأم بشراسة:

– "نجاحه ما يحوله من بسري لأصيل "ص ٧٨..... نسيت الأم أصلها،وضاع العريس بغمضة عين.

مجتمعات مأزومة مسلكاً وفكراً وموقفا،وتغرس السلبية جذورها في

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 62 9/5/11 9:27:52 AM

تربتها. لماذا تكبل الفتاة سلبية قاتلة؟أما كان الأجدر أن تتجاوز ضعفها لتحقيق حقها ؟هل هو العدل الذي اقتص منها لعدم محاولتها تغيير وضعها ولو بأضعف الإيمان؟

النتائج المختلة تطغى على تفكير البنت،كرهت أمها وتعاطفت مع أبيها،ممثلة دور الضحية،فهل نلعن ظروفنا ونستكين لمصيرنا القاتل؟ الأب مظلوم من وجهة نظر البنت،والابنة مظلومة حسب قناعاتها،فمن ينصف الأم ويسمع شكواها ويعرف حجم القهر الذي عاشته ؟

توظيف التداعيات

تقنية وجهات النظر،جاءت موفقة،وكذلك التناول الفني للقصة الدائرية بتوظيف التداعيات من جانب الأم التي حملتنا تصرفاتها لتأويلات،ماذا يعني أخذ الأم في حقيبتها ثياب ابنتها الداخلية،وذهابها للعراف ؟هل تغار من ابنتها أم معجبة بجسدها ؟ هل كانت تحب ابنتها حد الجنون ولا ترغب التفريط بها، فحالت دون زواجها بتطفيش العرسان كي تحتفظ بها ؟!!هل مارست عليها نوعاً من السحر، أم تآمرت مع الساحر في غفلة من الزوج؟

(أوجاع امرأة) توظيف للكابوس وتقنية الاسترجاع،وإطلالة على تقنيات حديثة تعرّي واقعنا الذي يختبئ خلفه الأدعياء، لماذا يجد الرجال في بيتنا التسلية والشرب والرقص والمجون... ؟

تحاول الأم الدفاع عن موقفها الضعيف وصورتها المهزوزة في عينيّ ابنتها... تتمنى أن تصمت الابنة، و تقول هذا كذب، وأن خصوم الأم هم الدين يروجون الأكاذيب،غيرة من جمالها وثروتها وكتبها التي يقبل عليها القراء، بعد أن تشتريها من مؤلفيها،وتصبح حدث الصالونات والصحف.

يزداد الحفر في طبقات الواقع...."أخذ يطاردها بالهاتف حتى يفوز بموعد،التقطت نظراته الشرهة منذ اقترابه في الجمعية وشمّ رائحتها...كلهم مثله مع اختلاف الطريقة...تراوغه، تسخر من الوجه الذي يظهر في الصحف والتلفزيون، أخلاقياً وداعية...

استجابت له بقسم ظاهر على حلف مقدس...تفضح نفسها معه...ليست ساذجة حتى تحطم الزورق الأخير،إنها أفضل منه...لها وجه واحد...الناس لا يجرؤون على فتح الموضوع معها صراحة...جمالها وثروتها وسهراتها الليلية، تجعل الكل حريص على التقرب منها وتحويل قبحها إلى فضائل، أما هو فله وجوه أخرى: رفض الالتقاء بها داخل الحدود، واستبعد كل البلاد ذات الصلة، فمناطق آسيا جميلة....جوها دافئ،وغاباتها تنعش ميولها المتوحشة.

إنها الأنثى المأزومة، بين طموح الذات ورغبات الجسد وإشباع الميول المريضة ،قال لها طبيبها النفسي، إن الكتابة تخلصها من عقدها وتحفظ صفاء شكلها وراحتها....كلما توسعت في فضائحها تشعر بالراحة أكثر، وتحس بتحسن صحتها....إنها أنموذج المرأة المنطلقة، باحثة عن المغامرة والأضواء، رغم ما يكلفها ذلك ، لماذا تهفو للمتزوجين فقط،والسعداء منهم على

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 63 9/5/11 9:27:53 AM

وجه الخصوص؟ عنكبوت هي ، تحيك خيوطها حتى تقبض على من تريد بطريقة معسولة، ومهارة يختلط فيها العنف بالقوة والتهديد.، تحركها بوصلة اللذة والطموح ، لم تتوان عن عشق زوج أختها لتحقيق رغباتها الدفينة ، صحيح أنها تحرج مرافقها بصوتها العالي وصراخها المخجل الذي يكشف جهالتها وضحالة تعليمها، ومحاولاتها الهروب من مواجهة ذاتها الحقيقية،"رشيد"عرف مرضها وتعامل معها على هذا الأساس،قبل أن تغدق عليه الأموال والملابس والرحلات،رأى في جسدها ملعبا يليق بمن لا يراعي القواعد والحدود،يدفعها لهذه الممارسات،لتمدها بالخبرة والجرأة،حتى تعيش جو الكتابة التي كتب لها حكاياها.

رضيت بالدور،تعاملت مع جسده كما تعامل مع جسدها،بلا ممنوعات،ظلت طائراً يغرد بين الفنادق والعواصم والأحضان، تستعين بالمخدر دون الحصول على نوم هادئ عميق، تطاردها الكوابيس وتحاصرها العقد، أمنيتها أن تركن لصدر حقيقي ولو كان صعلوكاً.

جميعهم يريدونها محظية،مستعدين للشرب على موائدها،طالبين دفء سريرهادون زواج،ادعت التقدمية،تمسكت بالرفض،تمسحت بالكبار،حتى انكشفت جهالتها وتبخرت سنوات العمر،وحيدة على المسرح بعد أن غادرتها الأضواء وهرب عنها من يطاردون اللذة، غير قادرة على اجتذاب الآخرين بجمالها،/تحرقها الآلام الفقد،أسيرة كوابيس تطاردها في اليقظة- قولي يا "لبنى"زوجتك نفسي و...ينتهي الأمر!

يكر شريط الذاكرة...للأب الذي عاد في لحظة وعي...هي وأبيها متشابهان... قضى عمره يجمع الأموال بالخديعة... يعرف الناس أن له في كل بلد خليلة، ولا من ينتقد أو يتكلم...عاير أمها يوما..

-إن كنت زوجتي حقا،أين وثيقة زواجك؟

نكست الأم رأسها، ما أشبه اللحظة بالبارحة،ويقطع الذكرى إلحاح الأمنيات.

- قولي يا لبنى،زوجتك نفسي!!قولي... وقبل أن يكمل،دفعها على وجهها، ص١٠٠.

الثيمات تفرض نفسها على كل النصوص في تعرية وغوص في أبعاد المشكلة،دون الانشغال بظواهرها.

تعاني الأنثى من أمراض تعشعش داخلها وتظهر بتصرفاتها،تحب الحب ولذة الحب المرتبط بالقسوة،تتمسك حتى الجنون بمن يعذبها ويقسو عليها (دائما يقترن الحب بالقسوة)..يلح...أرجوك... خلاص..تبت... لا تذهبي...ص ١٠٦.

لم تهتم، مضت خطواتها تتراقص سعيدة بالحاحه، بذله، بإصراره (خليه يموت... ما عليّ؟)(تستاهل)، قالت في نفسها، وشعور آخر يغمر قلبها.... هل التمتع بعذاب الآخرين وتذللهم، ما يحقق وجودها ؟

نصوص (وجهها وطن)،تحمل فضاءات

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 64 9/5/11 9:27:53 AM

فنية مركبة،،منقبة في ثيمة إدانة الرجل من زوايا مختلفة.

(هو والعكاز) تشرّح الرجل "إنه زوجي وأنا أعرفه،مثل الطفل،يبكي حتى يحصل على اللعبة التي يريد ويكون أول من يكسرها ويلقي بها...لعل هذا التصور هو الذي هدّأ من قلقي.ص١٩.

هنا أنسنة للجماد وارتفاع بالعصا لمستوى إنساني وتعريج على غرائبية لذيذة، تمنحنا أفق التفكير المتعمق بالنهاية التي لم تقدم أجوبة جاهزة بقدر ما طرحت اسئلة تحتاج الى معاودة التفكير وتقليب الـــرأي،دون أن نسمح لأنفسنا بأخذ الكلمات على معانيها المباشرة.

نصوص نختلف على تحديد شرطها الفني، نواجه بها المرأة النرجسية التي يندغم على حدودها، العام بالذاتي وتشرح سيكولوجية الشخصية المتشظية....

في قصة "الجفاف"، نعود للرجل المتهم والنهاية التي تطل على آفاق غير محدودة من التأويل....

ناجح بمقاييس المجتمع،شكلاً وموضعاً... جميل غني من أسرة عريقة، يشغل منصباً سياسياً.

أخرج زوجته من حلبة البريق الاجتماعي،لا أحد يرى زوجته معه...أراد أن يكون الصورة الوحيدة في إطار العائلة.... ابتسمت الزوجة...لم يعرف لماذا،كانت تبتسم لوجه آخر، استحضرته من خلف الستار..ركبته على جسد زوجها... أعجبتها الصورة الملفقة...نهض،غادر الفيلا...شيعته بنظرة منسحبة.

– لا تريدين أن تسألي أين سأذهب؟ قالت ناعسة: ولماذا أسأل؟

– كأنك تعرفين!!

– حتى لو..لكني سألت منذ عامين... رفضتْ الجواب وكانت معركة خرجت منها موجوعة..في السيارة عاد إليه الماضي..أيام كان طالباً في الكلية،اعتبر أن الحديث عن زمالة الفتيات خرافة،لم يصدق أكذوبة الحياة الجامعية،لم يكلم فتاة،لم يسمح لواحدة أن تكلمه...رأى في تقارب زميلين موضع شبهة،وضع كل همه في المذاكرة، أطلقوا عليه "حمار شغل ودودة كتب"..يعرف كل شيء إلا الدنيا، فاز بالمرتبة الأولى، غادر الكلية... نظر لنساء أوروبا كساقطات، حركة المرأة ليست غير ستار للانحلال.لعب هناك ما شاء بدعوى: لا شيء حرام مع أولئك البغايا..يستطيع أن يفعل ما يشاء ويعود بقلبه النظيف، وليس له بصمات على أحد..

من أوصله لمثل هذه القناعات، أي تربية مسؤولة عما آل إليه ؟هل نرثي تربيتنا وإعلامنا ومناهجنا التي شوهت الجميل فينا، وجعلتنا نحيا بازدواجية قاتلة ؟

الشخصية المهزوزة غير السوية،لا تملك مقومات البقاء ولا تتقن خطابها الإنساني.

– البسي نظارة، لأنك لا تفهمين وظيفتك، بسرعة،انقلبت لهجته وتغيرت ملامحه وارتعشت يده، ووقف جامداً حتى حضر

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 65 9/5/11 9:27:54 AM

المدير،وسوّى الموقف.

في لقاءات أخرى، عرض على الموظفة الزواج،بلا معرفة أو تفاهم (كيف يمكن أن نحكم على الأشياء بعيداً عن تفاصيلها؟)

عرض عليها الزواج..قبلت..ما رغّبه فيها بياضها الشفاف،عيونها العسلية وابتسامتها العذبة،هذه مقوماتها، أما هو،فدكتور ينتمي لأسرة، تتمناه كل البنات...

مضت الأيام، انشغل بالسياسة،وعاش صراعات المناصب وقلق العلاقات الزوجية، شخصية،لازمها الخصاء النفسي والعضوي، تسعى لتحقيق نجاحات سياسية ومالية،على حساب زوجة بحثت عمن ينتقم لكرامتها، شعارها(ما ألذ الانتقام بنفس أدوات الجريمة)!!!

جمالية المدخل، شاعريته، والتهيئة له في قصة (عروس لم تظهر بعد) أخذتنا لفضاءات المرأة/ الثيمة التي تفرش ظلالها على النصوص برؤية جديدة. صوته الأجش يحاصرها: لاتتعبي نفسك، ماكو جواز، ماكو بيزات..تستجدي:

– إذا كنت زوجتك، من حقي أن أستريح عند أهلي، وإذا كنت خادمة،فمن حقي أن أترك الشغل!!

وتأتي عبارته قاطعة:الحمد لله، عرفت مقامك...خادمة تؤدي مهمة زوجة وما لك عندي غير....ص ٦٣...

معاناة أخرى تضاف لجرائم يرتكبها الرجل في حق المرأة، التي تطالب بحقها ولا تستكين.

على عتبة المطبخ،رأت سكيناً، اتجهت لغرفة النوم،رأته مستلقياً... تفحصت ملامحه....لم تجد ذلك الشاب المليح الذي اقتحم حياتها، يخور، تصطك أسنانه مع ذبذبات صوته الكريه وفقّاعة تلعب على جانب فمه،تعلو خيطاً من زبد يغيب في شعر الذقن الأشيب.

تطحنها الأفكار،تحرقها نيران الانتقام، صراع حاد عميق،يعتمل في داخلها.

البطن المتهدل يندلق بين الفخذين النحيلين.."من أين تواتيه القوة؟"هل إذا وضعتْ السكين وفصلتْ الأشلاء الكريهة ستجد من يتهمها بالقتل؟من اعترضه وهو يقتلها كل لحظة؟

أسئلة تنفجر،يكون فيها الخاسر،لكنها لا تستطيع الخروج بموقف يريح دماغها!!

بلقطات استباقية تشخص النتيجة، ترسم المشهد في خيالها.."فار الدم،اندلقت الأمعاء...سال مخاط أصفر لزج.. أحستْ بالتقزز..قفز طعم القهوة الى حلقها وقاومت القيء... امتلأت الغرفة برائحة العفن الذي خلّفته الخمرة التي شربها قبل النوم،وفاح السرير بروائح شتى"ص ٦٦.

أنثى،تعرف ما لها،تدير حساباتها بين ماض آمل وحاضر تعس،لا تجد ما يقنعها غير القتل الذي لن يشفي غليلها، ويعيد ما ضاع منها.... تريد أن ترى آثار الفعل،و تسترد حقها المسلوب...تستعيد،

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 66 9/5/11 9:27:54 AM

محطات حياتها...العلقم يلتصق بريقها من طعنات كرامتها...تنازلت عن حقها بعد أسبوع من زواجها،ما عاد يهتم. كانت مجرد محظية يسحبها حين يشاء إلى حيث يشاء.... مجرد تمثال خشبي.... هل تتنازل عن حقها الإنساني؟وهل من البساطة أن تتورط في جريمة قتل؟لماذا لا تبحث عن جواز سفرها وتحاول الهرب؟؟

زوجة مستوردة،من بلد بعيد، زوجة بالشراء، تحت صراخ الحاجة، أسيرة عقليات متحجرة ونفسيات مريضة.

وضعت السكين جانب الفراش، تمنت أن ينقلب على السكين فيقتل نفسه... حل يريحها من عذاب الضمير،ويطفئ جمرات الانتقام بين جوانحها.

تداعيات، استعرضت بها تفاصيل أوهامها وأمانيها ورغباتها الدفينة للخلاص، مجرد حلم عابر،مر على خاطرها وهي في مشفى الولادة... "... فتحت عينيها، وجه حزين صامت يحدق بها...كيس الجلوكوز معلق...الإبرة مغروزة في الوريد....تستقبل مولودتها ميتة.

قال الطبيب: احمدي الله على سلامتك،يعوضك الله،كانت عروساً جميلة.....

تألمت، ابتسمت من أعماقها،وحمدت الله، ليس على السلامة، ولكن على أن العروس الجميلة لم تظهر في هذا البيت الذي ظُلمت فيه الأم وامتهنت إنسانيتها.

يرتفع إيقاع السخرية في نص"البومة"الذي يحكي قصة انتقام المرأة من المرأة،وانتقام الصبية التي تنتظر أن تعثر على عريس يجعل منها ملكة بيتها-من الساحرة،التي ردت عنها الخطاب،فعاشت عانساً، تتقلب على جمر الانتظار القاتل.

هل نحتاج لصدمة توقظنا من سباتنا الفكري؟أي تشوه وصلت اليه الأنثى التي تفكر بإشعال النار في قبر ميت؟؟

لوحة احتجاج، يعرضها النص،ممزوجة بغرائبية زادت من التشويق، وقدرة على رصد كثير من المتغيرات.

قالت أم خزام /الساحرة:"إذا ما يعجبها "صايل"يأخذها "قتاد"، لا تقولون كان شاوي فريجنا، الأول تحول،وحنا عيال اليوم، وولدي دكانه بسوق الغربللي أحسن دكان، والبيزات تلعب بيده من غير حساب، وعندنا قسيمة ينبني عليها فيلا"ص ٨٠.

أي التباس يسكن الفتاة التي وقفت أمام والدتها،وأي تناقض وهي تغيّر قناعاتها وتتناسى إيمانها و تشعل قبر الساحرة، معتقدة أن انتظارها،بلا زواج جعلها تقبل بالانتقام،أملاً بانفكاك السحر وطمعاً في تبدل الحال؟؟

في نصوص "فاطمة العلي" توغل في أعماق الشخصيات، وكشف لرقيق المشاعر، وحفر في أعماق واقع ملتبس،برؤية ذات نزوع إنساني،ودفاع مستميت عن المرأة،ذاتاً إنسانية، وإعلاء من التفكير العلمي الذي يلغي الإيمان بالخرافة.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 67 9/5/11 9:27:55 AM

مرافعات وإدانات، ضد كل ما يقلل من كينونة الإنسان،معطية جانب الحب مساحة كبرى،كضرورة وجودية.

ركزت النصوص المشحونة بأبعاد تصويرية قابلة للتجسيد،على الزمن النفسي، عبر تقنيات الحلم الذي يعيد توازن الشخصية القلقة،وتوظيف لتيار الوعي بتداخل الاسترجاع بالاستحضار.

اختيرت عناوين النصوص بذكاء،وكانت مفاتيح تساعد على التأويل ودخول للفضاءات، و اشتملت على توهجات مثيرة لأسئلة بحوارات ذاتية غلبت على فضاء السرد.

شخصيات النصوص مركبة، تؤدي أدواراً غير عادية،مرسومة بإحكام،تطرح قضاياها بإقناع، وتمنح الأحداث ديمومة وديناميةً، ساعدت في بقاء المتلقي مشدوداً، بمساعدة القفلات المفتوحة على تأويلات، وتأملات شمولية أوسع.

الأدب ليس كل ما يمر على شاشة الذاكرة،وتنبض به دقات القلب،ليس تلاعباً بمفردات وتحريك شخوص،إنها ذلك، معجوناً برؤية وذوق،وأسلوب لا يشير إلا لصاحبه،في تلاحم بين الإحساس والإدراك لمجمل مفاصل العملية الإبداعية،التي تجسد نبض الحياة، دون أن ترسمها،وهذا ما نجحت به القاصة فيما اطلعنا عليه من نصوص.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 68 9/5/11 9:27:55 AM

"أسماء مستعارة للسحرة"..
المغامرة والابتكار في نص سيف الرحبي الشعري

بقلم: فيصل عبد الحسن *

مجموعة سيف الرحبي التي صدرت بعنوان "حيث السحرة ينادون بعضهم بأسماء مستعارة" قد يثير الكثير من الإشكاليات واللبس حول حداثة قصيدة النثر. والعنوان كذلك يثير الكثير من الأسئلة حول إشكالية العنوان الحداثي، كعتبة أولية للولوج إلى نصوص الكتاب، والتزود بمفتاح أو عنوان للشيفرة التي يستخدمها الكاتب وللتعامل معه، ومن شيفرة العنوان إلى أبدية الإهداء الذي استخدم للتقديم لدخول أنواء الديوان وتضاريسه:إلى الجبال الساجية،في ليلها السرمدي! والشاعر سيف الرحبي الذي عودنا في دواوينه السابقة، على استخدام الصور الشعرية المكثفة في كل نص، وعلى وقع آخر ما جاء في واقعنا العربي،من صراع ملحمي ورمزي،بين الإنسان والسلطة وبين مكونات كل مجتمع من مجتمعات عالمنا العربي،وبين البداوة والحضارة،والقديم والجديد،والجديد والحداثي! في ساحة الأدب والفنون.

إذ لم يعد الشعر مقصوراً على قوالب جامدة لا يمكن التعبير شعرياً إلا من خلالها، بل صار فناً من الفنون البصرية كالسينما والصورة الفوتوغرافية واللوحة التشكيلية،والفنون السمعية كالموسيقى والغناء والمسرح ،ومن نافلة القول أن الصور الشعرية التي استخدمها الشاعر في ديوانه الجديد تتفوق حتى على الواقعية السحرية التي ابتدعها شعراء من أمريكا اللاتينية، وأبدع من خلالها شعراء عالميون فاقوا مؤسسها الشاعر النيكاراجوي روبين داريو، الذي أسس مذهب الحداثة الشعرية وأحد كتّاب الواقعية السحرية،المشهورين،والكاتب الأرجنتيني إدواردو ماركينا، والشاعر بورخس -في الكثير من قصائده- وقصصه، قبل أن يستخدمها أستورياس وماركيز، وإيزابيل الليندي، وغيرهم من كتاب أمريكا اللاتينية في أشعارهم وقصصهم القصيرة ورواياتهم، وأدهشوا قرّاءهم بعوالمهم الخيالية، التي لا تستطيع أن تجزم بخياليتها أو واقعيتها، لأنها تبقي الواقع في أسوأ صوره،والحياة كما يراها خيال الشاعر في سوئها وحسناتها، وفيزيائها الخادعة،المصنوعة بمهارات سحرية مدهشة، وصور سيف الرحبي الشعرية مبنية بحذق شديد، كما في كثير من قصائد دواوينه السابقة المبنية على استخدام الطباق، والصور الغرائبية المدهشة، التي يجيد الشاعر تركيبها،

* كاتب وناقد عراقي مقيم في المغرب

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 69 9/5/11 9:27:56 AM

وإدهاش قارئه بتفصيلاتها الدقيقة، التي تزيد من وقع غرابتها وتأثيرها على خلق المناخ الشعري في كل نص شعري، ولنا أن نجتزئ من مجموعته الجديدة ما يؤيد هذا القول ففي قصيدة"كي تعود اليمامة" ينقلنا الرحبي إلى واقع سحري:

"عن الهواء المحقون بالوباء والكراهية

نتنفسه ليل نهار...

والأطفال الذين يبحثون عن المستقبل

في قعر القمامة...

عن الشاعر الذي يحتضن مخطوطه

كطفل

نجا بأعجوبة من براثن الأنقاض

والشاعر الأعمى الذي ينتظر الفجر

في القصيدة على ضوء شموع تهتز

على متن سفينة جانحة

في خياله ورؤاه؟

كان على رشفة الشاي أن تعبر

طريقا وعراً وطويلا

كي تصل إلى الفم..." ص١٦

وقوله في "ليل المقتولين على الضفاف" ص٢٢: "يتحدث الظلام عن نفسه قائلاً:/أنا تاريخ العالم وروحه وهواه/ وليس الضوء،إلا خدعة/اخترعتها لأضلل الأحياء عن حقيقة موتهم/وأعجن الجهات/أنا السيد أقود قطعان الضوء/ نحو المهاوي المعتمة."أو قوله في قصيدة "سلاحف رأس الحد" ص٤٣ :"وسط بساتين خيالية/نلمح السلاحف يقذفها المحيط/نحو اليابسة/صفوفاً تتقاطر كجنود ذاهبين إلى حرب/ بمعرفة ثاقبة وهدوء ناعس/ تمضي إلى مساكنها البرية/ بعد رحلاتها الطويلة في أعماق المحيطات." وفي النص الذي أخذت المجموعة اسمها منه نقرأ ص ٨١: " وكما تكر الفصول على الصحراء/ في شكل ذئب وحيد/ وفي شكل مئذنة، / تنحدر الرمال من الأفق الشرقي/المحاذي لبلاد الأحباش/حيث السحرة ينادون بعضهم/ بأسماء مستعارة./لا أكاد ألمح جزيرة النخل/قرب مهبط العقبان./لقد فتكت بها الرياح الهوجاء/وأمها البلى/كديار أحبة غربت للتو./أسمعهم ينادونني باسمى المستعار،/أن أغرب عن وجهنا./ لست منا ولسنا منك." والكثير الكثير مما جاء في الديوان يؤكد هذا المنحى المشتق من عوالم فوق واقعية ودون الخيالية في شعر الشاعر.

معجم الجحيم

وقد جاء في معظم دواوينه السابقة ذات المناخات الشعرية بصورة مبكرة،كبذور نمت ببطء وصارت فوق الأرض في ديوانه الجديد مثل "نورسة الجنون" ديوانه الأول وديوانه الثاني "الجبل الأخضر" اللذين صدرا في سوريا،ومختاراته الشعرية "معجم الجحيم"الذي ضم ثمانية دواوين شعرية، ونجد بذور ذلك أيضاً بشكل واضح في مجموعاته"جبال"و"منازل الخطوة الأولى"عام ١٩٩٣ و"رجل من الربع الخالي"عام١٩٩٤ وحتى في مجموعته "قطارات بولاق الدكرور".

وقد ضم الديوان الجديد أيضاً نصوصاً تقترب في تقنياتها إلى فن القص،والحكاية الشعرية،واحتملت التأويل أكثر مما تحتمله القصيدة الاعتيادية، فهو على سبيل المثال في نصه"قمر الهضاب"ص٣٥ ينقلنا إلى عالم نثري ثري،يجوس من

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 70 9/5/11 9:27:56 AM

خلاله حول مفردة قالتها الحبيبة عن قمر الشاعر الذي يسألها هاتفياً، إن كانت ترى القمر في بيتها مثلما يراه في بيته في هذه اللحظة؟!! فتجيبه أنه"ضاح" في البيت وعلى الشرفات وعلى هضاب المكان!مفردة "ضاح" العمانية العريقة تحيل الشاعر إلى عالمه السحري الطفولي،وتصير بؤرة مشعة ينطلق منها النص القصصي،لينقلنا إلى أقصى حالات الانفعال مع الرجل المتوحد مع صوت المرأة العريقة في الذاكرة -كما يسميها الشاعر- وفي نص"الأب في قبره ينام" ص٤٧ يورد النص:"أتذكر أبي وهو الآن في قبره ينام..في التسعينات من عمره كان يمشي في شارع الكورنيش. كانت تلك المشية الفصل الأخير من فصول المواجهة الطويلة القاسية لحياته وزمنه.التلويحة الأخيرة لذلك الأفق البحري المتلألئ بالسفن والنيازك وحطام الأحلام." وينقلنا الشاعر إلى بؤرة الشعر في النص حين يصل لمسة الأب للأحفاد!فهي لمسة "يشع لها كل النص القصصي" بروح الشعر الحقيقي:"قبل هذه النزهة البحرية الأخيرة أتذكره بجوار أحد أحفاده في أيامه الأخيرة،كان يداعبه..أتذكر تلك اللمسة الغريبة التي لا أستطيع وصفها بلمسة الملاك أم حنان الذئب نحو صغاره،من فرط سريتها وطقوسيتها، فكأنما يد الشيخ أرادت أن تودع شيئاً خفياً وخطيراً، قطرة الحياة الأخيرة،خلاصة المحن التي لا تبرح مخيلة الطفل في سنواته اللاحقة." أنا أسميت هذا النص محبة فيه بـ"قطرة الحياة الأخيرة" بدلاً من اسمه الدراماتيكي الذي اختاره له سيف الرحبي!

وفي نصوص سردية أخرى مثل "الأم" ص

ضم الديوان الجديد نصوصاً تقترب في تقنياتها إلى فن القص،والحكاية الشعرية،واحتملت التأويل أكثر مما تحتمله القصيدة الاعتيادية، فهو على سبيل المثال في نصه " قمر الهضاب " ينقلنا إلى عالم نشري ثري،يجوس من خلاله حول مفردة قالتها الحبيبة عن قمر الشاعر الذي يسألها هاتفياً، إن كانت ترى القمر في بيتها مثلما يراه في بيته في هذه اللحظة.

٤٩ و"عزلة الخليل الأردي"ص ٥٣ التي يسرد فيها رحلته إلى البصرة (مدينتي الرائعة)، حيث النخيل فوق النخيل،وشط العرب يسقي الخليج،والناس من أطيب ما خلق الله من عباده،يقول سيف الرحبي عن رحلته تلك:"في البصرة انتبذت ركناً قصياً على شط العرب وعشت عزلة الزهاد الذين صيرهم الإيمان أشبه بخيالات من فرط التوحد والتسبيح". ويصل بعد ذلك البؤرة الشعرية التي تشع على النص بأكمله،حين يورد ذكر "الشيخ محيي الدين بن عربي"،حيث يتحول السرد إلى نص شعري:"أسلمتك الرياضيات، مكنون سرها وصرامتها،وأسلمتك النيازك ضوءها الغامض قبل أن تنطفئ في دروب المجرات. لم تغرك نداءات أولي الأمر والشهرة والمال،ولا بطش الخلافة الآفلة.

-أنست بوحدتي ولزمت بيتي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 71 9/5/11 9:27:57 AM

فطاب الأنس لي ونما السرور
ولست بسائل يوما أناسا
أسار الجند أم ركب الأمير.-"ص٥٥

مجموعة الشاعر سيف الرحبي الجديدة،حظيت بمقدمتين،الأولى للشاعر المعروف سيف المري، وقد أجاد في ربط الهدف من إصدار المجموعة بهدف"احتفالية دبي الثقافية"التي صارت مكاناً للتعرف على الشاعر سيف الرحبي بعد التعرف عليه كمبدع منذ زمن طويل،ومد جسور تلك المعرفة لينهل القارئ العربي من ثمارها ديواناً مهماً سيضيف إثراء جديد لقصيدة النثر والشعر الحداثي العربي،أما المقدمة الثانية فقد جاءت بقلم المبدع ناصر عراق،الذي هجس روح المغامرة والابتكار فيما جاء في نصوص المجموعة، فرفع يده محيياً إبداع الشاعر، ومنبهاً القارئ لخطورة ما يقرأه،لما فيه من روح التمرد على القوالب الحجرية، المهيمنة على روح الإبداع الشعري العربي منذ زمن الشاعر"أبي العلاء المعري".

*** مجموعة "حيث السحرة ينادون بعضهم بأسماء مستعارة"/إصدار مجلة دبي الثقافية/ 2009/120 صفحة من القطع المتوسط**

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 72 9/5/11 9:27:57 AM

مقالات

كلمة في وداع الأستاذ السقاف

فاضل خلف

الجنس الآخر.. رؤية وجودية للأنثى

ناصر الملا

جمر النكايات.. رسالة يوصلها المؤلف للقراء

أمل العبد السلام

أبو القاسم الشابي

هداية سلطان السالم (من تاريخ البيان)

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 73 9/5/11 9:27:58 AM

كلمة في وداع الأستاذ السقاف

بقلم: فاضل خلف*

يقول الشاعر اللبناني بولس سلامة في مطلع إحدى قصائده :

قلمي أجلك أن تكون عليلا

مثلي فتنهد للبيان كليلا

ونهد هنا: برز، كما أن لها عدة معان أخرى لا تخفى على كل من يطيل النظر في كتب الأدب واللغة، وأما الأديب المصري محمود محمد شاكر فله تجربة مع قلمه ، وكان من كتاب مجلة الرسالة وصاحبها هو أحمد حسن الزيات الذي كان يتصل بأصدقائه قبل ميعاد العدد السنوي الممتاز ويكون في غرة أول الشهر الإسلامي ، للمشاركة في ذلك العدد ، فمنهم من يلبي الدعوة في الإبان ومنهم من يتأخر حتى لا تبقى إلا أيام على موعد صدوره . وفي مقدمة هؤلاء المتأخرين أديبنا "شاكر" ومن يتصفح " الرسالة " يجد أنه في عام ١٩٤٦ يوجه للزيات رسالة يقول فيها:

" أخي الأستاذ الزيات : السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد أكرمتني ودعوتني لكتابة مقالتي بعدد الهجرة من الرسالة،فجعلت أماطل كعادتي حتى تضطرني إلى مأزق لم أجد عنده مفراً من حمل القلم والانكباب على الورق، وترك الزمن يغدو علي وأنا قار في مكان لا يتغير وزمان لا يتحول ".(مجلة الرسالة يوم الاثنين ٣ صفر ١٣٦٥ و ٧ يناير ١٩٤٦ العدد ٦٥٣).

وكان هذا هو حالي عندما حدثني بالهاتف الدكتور خالد الشايجي للمشاركة في تأبين الراحل الكبير أحمد السقاف وكنت قد تلقيت ثلاث دعوات في آن واحد الأولى من سلطنة عمان للمشاركة في ندوة عن الشاعر الأديب عبد الله الطائي ، والثانية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عن الشاعر منصور الخرقاوي، إلى جانب

---

* كاتب وشاعر من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 74 9/5/11 9:27:59 AM

دعوة رابطة الأدباء.

وهكذا مرت الأيام دون أن أتناول القلم الكليل حتى اتصل بي الباحث الأديب عضو مجلس إدارة الرابطة صالح خالد المسباح واعتذرت بعد فوات الأوان للدكتور الشايجي ، ووعدته خيراً . وكان للنسيان الدور الأكبر في هذه المسألة ، وخاصة في هذا العمر الذي ينسى فيه الإنسان نفسه أحياناً، مع أمراض الشيخوخة التي تزحف بدون هوادة أو مهادنة.

سقت هذه المقدمة وأنا في غاية الإحراج ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني فأقول كلمتي في أستاذنا الراحل العزيز ، وسوف تكون هذه الكلمات من حديث الذكريات أو هي من السيرة الذاتية . فقد تعرفت على أستاذي عندما بدأ العمل في المدرسة الشرقية عام ١٩٤٥ وكان يضع أمام ناظريه ثلاث منارات تضيء برنامجه الإصلاحي . الأول التربية و التعليم والثاني الأدب والثقافة والثالث القومية العربية وما تتعرض له من متاعب في فلسطين وسوريا ولبنان وليبيا وتونس والمغرب واليمن والجزائر التي كان كفاحها مستمراً بدون انقطاع والتي اشتدت بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، عندما طلب الجزائريون الاستقلال ففتكت فرنسا بالمواطنين العزل في مدينة "سطيف" فقتلت أكثر من خمسين ألف شهيد . وقد مررت في طريقي من تونس إلى الجزائر بالسيارة بعد تحرير الجزائر من الهيمنة الأجنبية ، للتهنئة مع زملائي في السفارة .

وكان ذلك في أواخر شهر أكتوبر ١٩٦٢ ، فنزلنا من السيارة لقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء -يرحمهم الله- في أكبر ميدان من ميادين "سطيف" وسط الحشود التي كانت تمجد بطولة المجاهدين الأحرار .

إذن كانت تلك المنارات الثلاث تضيء طريق الأستاذ عندما عرفته في ذلك العام ١٩٤٥ ، وفي ليلة في أواخر الربيع أو أوائل الصيف ، زرته مع والدي فرحب بنا ولكنه ترحيب يشوبه شيء من الحزن ، ولما سأله الوالد عن تلك الظاهرة الغريبة ، سألنا قائلاً هل استمعتم إلى ما دار في دمشق بالأمس؟! قلت أنا: لقد استمعت إلى ما أذاعته الإذاعات ، فسألني هل عندكم راديو في المنزل؟ قلت: لا، ولكن زرت أحد أصدقائي وهو عبد المحسن المتروك وعنده راديو ، وعلمت كل شيء عن العدوان الفرنسي، وكيف قصفت دمشق بالطائرات القاذفة ، والتدمير الشامل الذي لحق بديار المواطنين السوريين ، فقال زدني بياناً، فأعطيته كل

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 75 9/5/11 9:27:59 AM

ما سمعته من الراديو فازداد ألماً وحسرة ، ثم سكت طويلاً، وقال بعد ذلك:

يا (فلان) أريد منك أن تكتب كل ما سمعته لأنني حاولت أن أكتب شيئاً في هذه المأساة فلم أستطع من شدة التأثر . قلت له أنا لم أكتب أي شيء في حياتي ، وأرى أن الكتابة في هذا الموضوع أو غيره عسير . قال لا تغير رأيي فيك وأريدك أن تصف إحساسك بهذه الكارثة التي حلت بدمشق ، وسوف أكتب إلى رئيس تحرير جريدة العراق وهو صديق عزيز أعرفه جيداً ويعرفني، وسوف ينشر مقالك بكل سرور، وأرجو أن تمضي قدماً في هذا المشروع لكي يكون هذا هو أول مقال تكتبه في حياتك .

وسوف يشجعك هذا المقال على الاستمرار في الكتابة مستقبلاً. وقال الوالد مثل قوله وبعد صمت من الجميع ، قال الأستاذ أريد المقال غداً وفي مثل هذا الوقت ليلاً، وسوف أكتب إلى رزوق غنام وهو رئيس تحرير الجريدة ، أعلمه بالأمر وهذا هو آخر ما عندي يا فلان ، وما عليك إلا أن تتوكل على الله قلت له موافق وأرجو من الله العلي القدير أن يأخذ بيدي وانتهى اللقاء على خير وودعنا الأستاذ ، وتناولت القلم والأوراق بمجرد وصولنا إلى البيت ، ولم أتوقف إلا بعد أن سمعت أذان الفجر ، ثم استسلمت إلى الرقاد بعد الصلاة حتى وقت الدوام الرسمي حيث كنت مدرساً وزميلاً للأستاذ في مدرسة أخرى.

وفي المساء كنت عند الأستاذ الذي تسلم الأمانة وأخذ يقرأ المقال بكل بهجة وهو يبدي إعجابه قائلاً "أنني لا أكاد أصدق ما قرأته لأنك أديت الأمانة بكل صدق وسوف أقوم في الغد بإرسال رسالتي إلى جريدة العراق موجهة إلى رئيس تحريرها رزوق غنام وما عليك إلا أن تقوم بإرسال المقال في الغد صباحاً، وسوف تراه منشوراً في الجريدة بعد أيام .

وتلقيت بعد أسبوع من أحد أصدقائي في بغداد وهو المحامي : عبد الله عباس القبان رزمة فيها عدة نسخ من الجريدة والمقال في مكان بارز وفي الطريق إلى الأستاذ ليلاً صادفت أحد أساتذتي الأجلاء وهو الأديب الباحث أحمد البشر الرومي الذي أعطيته نسخة من الجريدة وعندما قابل والدي بعد أيام في ديوانية السيد هاشم العقيل قال له قرأت مقال ابنك فلان وقل له استمر في الكتابة وإن لم يجد ما يكتبه فليكتب عن المرزام وهو الميزاب الذي يقذف بالماء الذي يتجمع فوق السطوح عند نزول الأمطار . وقد أعاد بعض المواطنين أمجاد المرزام عندما وضعوه على بعض منازلهم لكي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 76 9/5/11 9:28:00 AM

يذكروا شباب اليوم بتاريخ الآباء والأجداد الذين أناروا صفحات من تاريخ الكويت بمصابيحهم المشرقة.

وما هي إلا بضعة أيام حتى تسلمت رسالة من أستاذي فيصل العظمة وهو في دمشق وكان منذ ثلاث سنوات ناظراً للمدرسة الشرقية وكنت أحد طلابه ، ويقول في تلك الرسالة بعد الديباجة والتحيات " قرأت في جريدة (العراق) العراقية مقالك الوطني عن الاعتداء الغاشم على دمشق ، فقلت لولا مقال فلان لكان عتبي على تلاميذي في الكويت كبيراً".

وأعطيت الأستاذ السقاف عدة نسخ من الجريدة ، وقد جاء في المقدمة التي كتبها رئيس التحرير رزوق غنام هذه الكلمات " هذا هو صوت الكويت الصادق الذي ينذر فيه كل محتل غاشم في أي جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير . ولابد أن تتحرر سوريا من الغزاة وكذلك كل جزء محتل في ديار العرب مشرقاً ومغرباً ... إلخ ..."

وبعد هذا المقال جاءت مقالات أخرى، ففي سبتمبر من ذلك العام ١٩٤٥ نشرت لي مجلة الرسالة مداخلة في البريد الأدبي على كتاب للأديب المصري طاهر الطناحي ، ومن هناك تطاير النسل كما يقول الناقد العربي الكبير مارون عبود عن تجربته الأولى في ميادين الأدب والنقد، وصدقت أيضاً ظنون الأستاذ السقاف عندما قال لي في تلك الأمسية من عام ١٩٤٥ " وسوف يكون هذا المقال باكورة حياتك الأدبية مستقبلاً" وبعد المداخلة في مجلة الرسالة كتبت في مجلة الكتاب التي صدرت في سنة ١٩٤٥ في القاهرة عدة رسائل نقدية حتى توقفت عن الصدور في عام ١٩٥٣ ، وكانت تصدر عن دار المعارف في القاهرة ، وكان رئيس تحريرها هو الشاعر الأديب عادل الغضبان الذي التقيت به في منزل الأستاذ أحمد حسن الزيات عندما زرت مصر في عام ١٩٥٥ وكان في المجلس بعض الأدباء والشعراء اذكر منهم الأستاذ على الطنطاوي ومحمود الخفيف وحبيب الزحلاوي والسيدة نظلة الحكيم وقد غاب عن ذاكرتي أسماء بعض الأدباء والشعراء الذين كانوا في تلك الجلسة الأدبية.

كما أنني أخذت أراسل مجلة الأديب ومجلة العرفان في لبنان والإذاعات العربية مثل لندن وصوت أمريكا ومحطة الشرق الأدنى.

وعلى ذكر مجلة الكتاب أذكر أن الدكتور عبد الوهاب عزام أصدر كتاباً عنوانه " مهد العرب" فوجدت فيه ملاحظة نشرتها في المجلة المذكورة فتلقيت بعد مدة

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 77 9/5/11 9:28:00 AM

رسالة من أحد رجال الأدب في الكويت وهو عبد الحميد الصانع ، يصحح لي معلومة وردت في تعليقي على ما ورد في مجلة الكتاب عن الدكتور عزام.

ولابد لي هنا من تسجيل حقيقة أدبية أشار إليها الأستاذ السقاف رداً على الشاعر المصري محمود غنيم ، عندما نشر قصيدة عن الصلح مع إسرائيل كما روج له بعض دعاة الاستسلام يقول في أحد أبياتها :

إن تقدموا فبنو الإقدام نحن وان

قلتم سلاماً فبالإكراه نقتنع

وذلك في مجلة الرسالة التي عادت إلى الصدور بعد توقف دام عشر سنوات، وقد عادت بجهود وزارة الثقافة في القاهرة، وكان رئيس تحريرها هو الأستاذ الزيات، فأرسل الأستاذ أحمد السقاف برقية إلى مجلة الرسالة وكان وكيلاً لوزارة الإعلام في الكويت وكان ذلك في عام ١٩٦٣ ، أقول أرسل برقية تقول أخبروا الشاعر محمود غنيم:

إن تقدموا فبنو الإقدام نحن وإن

قلتم سلاماً فلا والله نقتنع

وقبل أن أختم هذه الكلمة أسأل نفسي : هل كان لذلك المقال الذي نشر في جريدة العراق عام ١٩٤٥ بطلب من الأستاذ السقاف تأثير قريب أو بعيد على حياتي الأدبية ومنعرج في مسيرتي مع القلم بوحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى ، على يد أستاذنا الراحل أحمد السقاف ، أقول هل كان لذلك المقال تأثير على وعلى مسيرتي في هذه الدنيا؟ وجوابي هو بكل صدق وتأكيد نعم . فلولا تشجيع فقيدنا الكبير لي وإصراره على طلبه لكتابة ذلك المقال الذي نشر في جريدة (العراق) في بغداد لما تجرأت على حمل القلم والمواظبة بعد ذلك على القراءة وعلى الكتابة فرحمة الله على الأستاذ .. رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 78 9/5/11 9:28:01 AM

الجنس الآخر
رؤية وجودية للأنثى

بقلم: ناصر الملا*

بتصوري أن اقرب كتاب حلل شخصية المرأة تحليلاً شافياً وحاول أن يرفع عنها حصانة الرجل هو كتاب "الجنس الآخر" لفيلسوفة الوجودية "سيمون دي بوفوار" إذ أنها تناولت حياة الكائن الأنثوي من معطيات الحياة، ومن وجهة نظر علم التحليل النفسي، ووجهة نظر المادية التاريخية، إلى مراحل تكوين المرأة والطفولة والفتاة المراهقة والتدريب الجنسي، وأحوال المرأة، وخصوصاً المرأة المتزوجة، وفصول أخرى تقترب فيها الكاتبة بحس الأنثى تارة، وبالقاضي الذي لا يرضى أن يصبح للمرأة دور هزيل أو وطيء بالنسبة للرجل، التحكم بالبراهين الملموسة على أن المرأة جنس مستقل بذاته له خصائصه ومزاياه كما أن المذهب الفكري وكما قدمت الكاتبة في بداية تطرقها لموضوع المرأة لم يقر بوجود جوهر جامد ثابت يحدد نماذج معينة كالمرأة، واليهودي، والزنجي، وعن الرجل فإنها تعتبره معتزاً بجسمه كما لو كان كائناً مستقلاً يتصل مع العالم اتصالاً حراً خاضعاً لإرادته هو.. بينما يعتبر جسم المرأة حافلاً بالقيود التي تعرقل حركة صاحبته، ألم يقل أفلاطون: "الأنثى هي أنثى بسبب نقص في الصفات "! لذلك فأنها عرفت الرجل بأنه مذكر يعتبر نفسه يمثل الجنس الإنساني الحقيقي، أما المرأة فهي في عرفه تمثل الجنس الآخر الصرف، ومن أين أتى للمرأة هذا الرضوخ؟ الكثير من النقاط في بداية تقديم الكتاب ربما كشفت عن واقع مرير حط من قيمة المرأة على مر العصور بسبب تحكم فئة بأخرى خلال فترة من الزمن كما تذكر في بداية الموضوع وتقول: "لم يكن هناك بروليتاريا مضطهدة على حين كان هناك دائماً نساء، إنهن نساء بتكوينهن الفيزيولوجي، ومهما أوغلنا في التاريخ القديم نرى النساء ملحقات بالرجال .. هذه التبعية ليست نتيجة حادث

* كاتب وناقد من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 79 9/5/11 9:28:01 AM

تاريخي وليست بالأمر الطارئ، مما يجعل من المرأة الجنس الآخر بصورة مطلقة! إن نضال المرأة لم يكن قط إلا نضالاً رمزياً ولم تفز إلا بما أراد الرجل التنازل عنه، لم تأخذ شيئاً أبداً بل تسلمت ما أعطى إليها، وتختتم هذه الجزئية موضحة أن المرأة لا تستطيع حتى في الحكم إزالة الذكور، فالعلاقة التي تربطها بمضطهديها لا مثيل لها ذلك أن انقسام الجنس هو في الواقع شيء عضوي محسوس، وليس مرحلة من تاريخ البشر!

والمرأة من وجهة نظري الشخصية يصنف وجودها وتقييم جهودها إلى شيئين اثنين إما الذكاء أو الغباء لا توجد امرأة وسطية، وليس أن تكون المرأة الذكية هي خريجة الجامعة، أو الدكتورة، أو مقدمة نشرة الأخبار، إنما الذكاء ينتج عن تحكم المرأة في بيتها وبكل ما فيه لا عن طريق التسلط ولكن عن طريق إفراغ أنوثتها وعنفوانها بالأخذ والعطاء وقتما تريد وكيفما كانت تريد كما العمل الذي تؤديه بأكمل جاهزية وبأنصع صورة! من تغلب الرجل وتحدّ من استغلاليته لها، هي المرأة التي ذكرتها تلك المرأة الفاعلة التي تدير كل شيء، بينما الرجل يلف حول دائرته في خجل وطاعة! الكتاب يطرح باختصار خضوع المرأة للرجل على مر التاريخ وإن لم تحدد أزماناً بعينها واكتفت بأخذ المعاني من كتابات المفكرين والفلاسفة؟ من تبيان الأسباب المادية والنفسية التي أدت إلى ذلك الحدث؟ كعمل الرجل في كافة المجالات الشاق واليسير منها؟ وعن طريق إثبات نفسه في الميدان الخارجي استطاع أن يمتلك المرأة، ولكن المرأة لها جوانب رمزية أخرى أيضا غلبت الرجل بها وسخرته لها في كثير من الأحيان فهي من تثيره، وتشحن عاطفته، وبالتالي تجعله مندفعاً نحو الحياة العملية، أما مثال أرسطو " في أن المرأة مرآة لنقص فيها، وعليها أن تلزم بيتها كتابعة لزوجها" فإن ذلك يدلل على ما ذكرناه، وعن الأبحاث والدراسات النفسية تذكر الكاتبة دي بوفوار أن بسن (18 إلى 30) السن التي تكون فيه المرأة قد أنهت دراستها، هو السن الذي يدفعها إلى الحياة العملية، وكذلك حياة الاستقرار والزواج، فكثير من النساء ما بين هذا السن يبحثن عن الاستقرار فهي غريزة حيوية بالنسبة لها لذلك لا تجد نساء ما بين (18 و 30) متميزات ومبدعات في عملهن، على عكس أيام الدراسة والتفوق بها.. أو النشاط المتقد الذي كان يتمتعن به بشكل كبير في إبان المراحل الأولى من عمرهن، فالمرأة في هذا السن من سن (18 إلى

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 80 9/5/11 9:28:02 AM

30) تبحث عن أنفاس الراحة والاقتراب من عالم الحياة الذي ينعش وجودها.. الحياة في الطفولة والمراهقة ما هي إلا حياة رعاية .. رعاية روحية .. رومانسية بين فارس الأحلام. الذي تتخيله الفتاة بينما تنظر إلى الرجل المميز؟ و رعاية الأب، أو الأخ.. وحنان الأم، ذلك هو الانتعاش الروحي الذي يسكن حرارة اضطرابها، فهي تريد رجلاً يحمل جميع تلك المواصفات له ذلك الاستقرار الذي يحوي خيالها وفكرها.. ينعشها برجولته لتعود إلى عالمها الأنثوي الهادئ.

الكاتبة ضربت نموذجاً لا يقاس بكل تأكيد على الفئات العمرية للنساء أجمعين، فهناك حالات تطورت وقلبت المعادلة بشكل كبير لأن حركة المادية الاجتماعية متغيرة من فترة وأخرى.

لعل ما استوقفني في الكتاب هو الفصل الأول حينما بدأت به قائلة: "يقول هواة العبارات السهلة: ما هي المرأة؟ هذا شيء بسيط أنها رحم ومبيض، أنها أنثى وهذه الكلمة تكفي لتعريفها، ويلوك الرجل كلمة أنثى كما لو كانت إهانة، ومع ذلك فهو لا يحس بأي خجل من حيوانيته، بل يبدو على العكس فخوراً إذا قيل عنه "أنه ذكر" وليست كلمة "أنثى" مستقبحة لأنها تربط المرأة بالطبيعة وإنما لأنها تقيدها بحدود جنسها؟ ولئن كان هذا الجنس يبدو للرجل أهلاً للاحتقار فمرجع ذلك إلى اضطراب الخصومة التي تخلقها المرأة في نفسه، ألا أنه يريد أن يرى في علم الحياة تبريراً لهذا الإحساس وتتابع:" إذا أردنا الابتعاد عن الأفكار المعادة فإن هناك سؤالين ينتصبان أمامنا:

(١) ماذا تمثل الأنثى في مملكة الحيوان؟

(٢) أي نوع خاص من الأنثى يتحقق في المرأة؟

الكثير من الاستنتاجات التي ذكرتها رائدة المذهب الفلسفي الوجودي دي بوفوار جاء عن طريق متابعة حثيثة لشخصية المرأة، فهي نسبت كثير من طروحاتها إلى العلاقة التي تحدث بين أي رجل وامرأة، ولعلها على قناعة في أن العلاقة المقدسة في ما بينهما أمر محتم لأنها تساعد على "النكاح" أي التكاثر المشروع وسط آلية شرعية وقانونية تحدد ما للطرفين من حقوق وواجبات يتبناها المجتمع بشكل صحيح، ولعل منطق تحليلها كان منصباً على عنفوانية الرجل سواء كان مسالماً أو غير ذلك وبالنهاية هو رجل واستطاع أن يسيطر على المرأة منذ آلاف السنين، علماً بأنها ترى أن المرأة كائن منفصل عن الرجل ولا يعتمد عليه في كثير من لأمور، بل أن الرجل هو من يدفع نفسه للمرأة بغية استلطافها والتعرف عليها،

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 81 9/5/11 9:28:03 AM

أو بعلاقة مشروعة تتخلل بالزواج منها.

تجربة الكتابة عن الجنس الآخر من قبل المؤلفة دي بفوار تجربة رائعة بكل المقاييس ولا يوجد كتاب عن شخصية المرأة يحللها تحليلاً شافياً ووافياً كالذي في الجنس الآخر، إذ أنه اقترب منها وتناول مختلف مراحل عمرها وفرض نتاجات ربما لا نتفق معها، ولكنها استنتاجات حادثة وواقعة بالحياة.. كلاهما يكمل الآخر.. أي المرأة والرجل، وفرضية الاستعباد هي فرضية فاشلة بمقياس أي رجل متخلف تجاه المرأة، وإن رضخت المرأة لمعطيات الرجل المستبد أو المتخلف فهي تكون من صنف الفاشلات اللاتي يعبر عليهن الرجل بقدميه أنى شاء لتكون المرأة وهي بهذا الشكل من أتباع مقولة " جول لا فروغ" الذي ذكرته دي بوفوار في كتابها منتقدة أسلوبه ومنهجيته في التحليل والذي يقول: "لا تربطنا بالمرأة أبداً رابطة الأخوة، فقد جعلنا منها بالخمول والفساد كائناً منعزلاً ليس له من سلاح سوى سحره الجنسي".

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 82 9/5/11 9:28:03 AM

"جمر النكايات" رسالة يوصلها المؤلف للقراء

بقلم:أمل مساعد العبد السلام*

رواية جمر النكايات – لعدنان فرزات هي كتلة من الأحزان المتشعبة من الماضي والحاضر وممتدة إلى المستقبل.

وأريد بداة تناول عنوان الرواية " جمر النكايات " فمن منظور شخصي أرى أن المؤلف لم يوفق في اختيار عنوان روايته، والنكاية هي التي تولد الألم اللامحدود للإنسان – فكيف نطلق كلمة جمر على النكاية – ولكن عنوان الرواية لم يغير النظرة الكلية للرواية ومحتواها ، فهى رواية رائعة المضمون تمتاز بالسرد الجميل والدقيق لأحاسيس الراوي.

كذلك استخدم المؤلف أجمل الصور البلاغية وتم توظيفها توظيفاً فيه اتقان للأدوات الفنية، حتى أنه اقترب كثيراً من نظم الشعر أحيانا كثيرة.

وهذه الرواية في مجملها عبارة عن مشاهد تنطق لغوياً بلغة الأحاسيس الإنسانية – فتأخذك إلى تلك الأماكن والعوالم التي تتكلم عنها الرواية، حتى أنك تشعر أنك أحد تلك الشخصيات ... تتألم لآلامهم... وتغضب لغضبهم.

الرواية تدور حول " عادل " الرجل الأربعيني الذي تغرب عن مسقط رأسه" حي الكجلان " في مدينة دير الزور وعودته بعد مرور أكثر من عشرين عاماً، ومروره على الأماكن التي تضم بين طياتها الذكريات التي كانت تحمل الألم في أحيانٍ كثيرة.

فمشاهد الرواية تتعاقب بذكريات عادل أثناء تجواله مع "نور " ابنة أخته فتراه كلما مر على مكان يتذكر ما يحمله من أحداث وأهمها السيدة (هدايه) التى ترمز في هذه الرواية إلى الثورة على الأمر المفروض والذي يجب أن يستسلم له الإنسان – فنراها تثور على الفقر الذي يعانى منه أهل " حي الكجلان" وتريد من ذلك تحسين أوضاع الناس ورفع المعاناة عنهم، كذلك التماسك وعدم الاستسلام للآلام كمرض ابنتها وفقدها لابنيها.

ثم نرى شخصية " كسار" الشخصية القوية التي أبت إلا أن تحمل معنى الشهامة والثبات على الموقف مهما تعرضت لإغراءات وخصوصا عندما رشحت السيدة "

---

* كاتبة من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 83 9/5/11 9:28:04 AM

هداية " نفسها لمجلس الشعب وكان " كسار " الساعد الأيمن للسيدة " هداية " على الرغم من محاولات الخصوم من شرائه بالمال كي يتراجع عن دعمه للسيدة " هداية ".

ولكن نري بعض مشاهد الرواية وكأنها تقتحم الرواية دون مبرر كذكر " عادل " لشخصية " عصمان بيك " فشخصية كتلك لم تضف شيئاً للرواية ومضمونها ....

كذلك شخصية " رولا " التي كانت كالومضات في هذه الرواية ، فهي لم تأخذ حقها في السرد القصصي حتى أن المؤلف أمدّ بطل الرواية بذلك الإحساس حتى أنه وعد " نور " اينة أخته أنه سوف يحكى لها قصة " رولا " في رواية قادمة.

وهذا يؤكد قرب " رولا" من " عادل " حتى أنه أراد رواية قادمة كي يسهب فيها بوصف مشاعره وأحاسيسه تجاهها.

لذا نراه يعود مرة أخرى للتركيز على شخصية السيدة " هداية " وكأنه يريد أن يبين أن تلك الرواية كأنها رسالة يريد تأديتها – وأمانة يريد توصيلها للقراء – بأن تلك السيدة هي إنسانة جديرة بالاحترام حتى أنها شكلت خطورة على خصومها من الرجال أصحاب النفوذ والسطوة.

وفي المشاهد الأخيرة من الرواية سرعة وتلاحق الأحداث بدءاً من مساندة جميع أهالي "حي الكجلان " للسيدة هداية وجمع التبرعات لعمل الدعاية لحملتها الانتخابية.

إلى المشهد المؤلم والأخير الذي ترجم المعنى الحقيقي للألم بموت حلم هداية قبل موت جسدها – فكل ما رسمته من مستقبل جميل لجميع أهالي مدينتها تلاشى وتبخر وغاب قبل غيابها – فكانت النهاية التي قد جاءت قبل البداية.

فالرواية تعبر عن أحلام ماتت قبل أن تولد وغابت قبل أن تشرق.

وأخيراً أريد ذكر بعض الصور الجمالية التي امتازت بها رواية "جمر النكايات"

فأذكر في مشهد " دموع النهر " ص٤٣

"كان النهر يبدو مثل أغنية شعبية قديمة لا يحفظها إلا الأولون .. ثمة قارب يحز الآن جبهة المهر السائر بخجل شديد كأنه لا يريد أن يغادر المدينة ... يلامس المجداف سطح الماء برقة خشية أن يجرح كبرياءه ، تتقاطر دموع النهر من خشب المجداف .. يلتصق القمر وهو في أفقه البعيد برؤوس الراكبين في القارب ، بدا وكأنه وسادة من الضوء ... يمضى نحو البعيد ... ويبقي القمر وسادة يغفو فوقها عابرون جدد، للحظات ثم يمضون".

إن الفقرة السابقة يمكن لأي رسام محترف ترجمة كلماتها للوحة فنية ناطقة ... حيث إن المؤلف قد تفنن في اختيار كلماته وصوره الجمالية وكأنه يلون بريشته وليس قلمه الذي سطّر أجمل المفردات التي كانت أحاسيسه في أوجها في هذا المشهد على الرغم من الاطار العام وهو الإحساس بالألم الذي لم يفارق الراوي من بداية روايته إلى آخر كلمة سطرها .....

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 84 9/5/11 9:28:04 AM

أبو القاسم الشابي

بقلم :هداية سلطان السالم*

في توزر، في تلك البلدة الجميلة بتونس، في يوم من أيام عام ١٩٠٩، وفي بيت مجد وجاه رزق الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابي طفلاً أسماه "أبا القاسم" متيمناً باسم جده. في هذا اليوم كان ميلاد شاعر عبقري. خلقه الله ليكون شاعراً وحسب. وأوجدته الطبيعة قطعة منها لصيوغها نغماً شجياً. وهتافاً ساحراً على أوتار القلوب الحساسة والعواطف الجياشه.

حفظ أبو القاسم القرآن، شأن كل طفل يولد في بيت إسلامي في ذلك الحين، ولما شب التحق بجامع الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر في تونس.

أخذ شاعرنا يدرس علوم العربية على نظامها البالي العتيق من متن وشرح وحاشية، وسار بخطى موفقة يعززها ذكاء وقاد وميل طبيعي إلى القراءة والاطلاع، حتى نال شهادة التطويع(١) ثم التحق بكلية الحقوق التونسية، ونال أجازتها متفوقاً ، وأراد أن يتم دراسته، فتصدى له مرض الصدر جباراً عنيداً، قائلاً: مكانك، فعكف الفتى على علاجه، ورجع مبتسماً هادئاً يتعلم في مدرسة الحياة- ويكب على القراءة والاطلاع إكباب المنهوم على الطعام يقرأ في الأدب القديم باستيعاب وتفهم ويعب من منبعه الصافي، حتى أسلمت له اللغة قيادها يقبل على الأدب الحديث، إقبال المشوق المستهام، بذهن صاف ومزاج شاعري كأنه المرآة يميز بين الغث والسمين في سهولة ويسر، وكان من نتيجة قراءته للقديم وإقباله على الحديث أن أخرج كتاب (الخيال الشعري عند العرب) وهو وراث للأدب العربي في جميع عصوره على ضوء النقد الحديث، ولم يتعلم أبو القاسم لغة أجنبية، وهو بالرغم من ذلك مجدد. بل زعيم من زعماء المجددين في العصر الحديث، يعرف ذلك كل مطلع على شعره متذوق له. وهي ناحية من نواحي عبقريته هذا الشاعر المجيد.

وكان أبو القاسم مغرماً بأدب المهجر، وبخاصة مدرسة جبران خليل جبران، وما يترجم إلى العربية من الأدب الأجنبي، من مثل المنفلوطي إلى العقاد إلى الصاوي، ومع ذلك فقد كان نسيجاً وحده منفرداً بمدرسته.

---

* كاتبة من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 85 9/5/11 9:28:05 AM

ولقد اشتدت عليه وطأة المرض حتى طواه الردى في فجر يوم ٩ أكتوبر عام ١٩٣٤ ولما يتجاوز الخامسة والعشرين بعد.

كان أبو القاسم- رحمه الله- شاعر طبع رقيق، وعاطفة متقدة، وإحساس نبيل أذاقه المرض من ويلات الحياة الكثير، وقد ظهر أثر ذلك في شعره جلياً فكنت تحس فيه الألم العميق العبقري، والشكوى المريرة التي قنعها بقناع جميل من خياله الفسيح فسمى قصائده. قلب الأم. الحاني السكري. والجنة الضائعة... إلخ، وغير ذلك مما يدفع القارئ أن يظن لأول وهلة أنه إنما كتبها وصفاً لغيره، وما هو في الحقيقة إلا وصف عميق لأغوار نفسه الكبيرة.

ولأبي القاسم أكثر من ناحية في شعره، فهو تارة فيلسوف ساخر، وأخرى ثائر جبار، وثالثة يائس مستسلم، كل ذلك يعبر عنه في همس شاعري رقيق، وأداء نفسي جذاب وتصوير فني ممتاز، فأبو القاسم الفيلسوف الساخر الذي يقول:

لست يا أمي ابكيك لمجد أو لجاه
سلبته مني الدنيا، وبزتني رداء
فأنا أحتقر المجد وأوهام الحياء

هو نفسه أبو القاسم الثائر الجبار الذي يقول في "نشيد الجبار":

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس الكئيبة هازئاً
بالسحب والأمطار والأنواء
وأقول للجمع الذين تجشموا
هدمي وودوا لو يخر بنائي
ورأوا على الأشواك ظلي هامداً
فتوهموا أني قضيت زماني:
إن المعاول لا تهد مناكبي
والنار لا تأتي على الأعضاء

وهو نفسه أبو القاسم البائس المستسلم الذي يقول في قصيدته "في ظل وادي الموت"

قد رتعنا مع الحياة طويلاً
وشدونا مع الطيور سنيناً
وعدونا مع الليالي حفاة
في شعاب الزمان حتى دمينا
وأكلنا التراب حتى مللنا
وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا ها أنذا صرت في الدنيا
بعيداً عن سموها وغناها
في ظلام الفناء أدفن أيا
مي ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوي بصمت
محزن مضجر على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي
أكبالي فهيا يخرب الموت هيا

ويقول في قصيدته: "ألحانى السكرى" معبراً عن حبه العميق للحياة:

أيها الدهر أيها الزمن الجا
ري إلى غير وجهة وقرار
أيها الكون أيها الفلك الدوار
بالفجر والدجى والنهار
أيها الموت أيها القدر الأعمى
قفوا حيث انتموا أو فسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الأحلام
والحب والوجود الكبير

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 86 9/5/11 9:28:05 AM

ولكنه يشعر بقلبه الكبير أن الدهر والزمن والكون والموت لن يتركوه تغني له الأحلام والحب والوجود الكبر فيستدرك استدراك الحسن الرقيق:

وإذا ما أبيتموا فاحملونا

ولهيب الغرام في شفتينا

وزهور الحياة تعبق بالعطر

وبالسحر والصبا في يدينا

حقاً إن كل إنسان محب للحياة.. ولكن هناك تفاوت في سمو الحب بمقدار تفاوت النفوس البشرية.. وأبو القاسم صاحب نفس رقيقة نبيلة بحب الحياة في أرق شيء فيها وأنبله. أنه يحببه في الحب نفسه، فيود أن يموت وعلى شفتيه لهيب الغرام وزهور الحياة والصبا في يديه. ولأبي القاسم ولع بالطبيعة فنفسه الشاعرية مرآة صافية وبيئته سواء في (توزر) أو في (عين دراهم) بيئة طبيعة الجمال، فلا عجب إذا انعكست صورها في مرآة نفسه فاستمد تشبباته منها وصورها لنا تصويراً خليقاً بالإعجاب في جل شعره إن لم يكن في كله..

يقول في قصيدته (صلوات في هيكل الحب)

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورود كابتسام الوليد

والغزل في القصيدة مادي يجري أحياناً رمزاً وأحياناً في وصف حسي.

في فؤادي الرحيب تخلق أكو

ان من السحر ذات حسن فريد

وشموس وضاءة ونجوم

تنثر النور في فضاء مديد

وربيع كأنه حلم الشاعر

في سكرة الشباب السهيد

وحياة شعرية هي عندي

صورة من حياة أهل الخلود

ويقول في قصيدته " قلب الأم":

يصغي لنغمتك الجميلة في خرير الساقية

في آنة المزمار في لغو الطيور الشادية

في ضجة البحر المجلجل في هدير العاصفة

في لجة الغابات في صوت الرعود القاصفة

في فتنة الشفق الوديع وفي النجوم الباسمة

في رقة الفجر البديع وفي الليالي الحالمة

وفي رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم

في سحر أزهار الربيع وفي تهاويل الغيوم

في مشهد الغاب المجرد والورود الهاوية

في ظلمة الليل الحزين، وفي الكهوف العارية

وهكذا- هكذا، صور وتشبيهات خلابة، استمدها من الطبيعة وأضفى عليها من روحه الحية، الكثير ، مما يحمل القارئ إلى الظن بأن هذا اللون من الشعر جديد في بابه بالرغم من ايغاله في القدم.

ووحدة القصيدة من المميزات الواضحة في شعر أبي القاسم، فلا يكاد القارئ يحس من مطلع القصيدة على ختامها لنشاز بيت واحد أو نبوه أثراً، وهو مجدد في تعبيراته فضلاً عن أفكاره، ألمس ذلك في كل شعره، وأحسه كلما أقبلت عليه أقرؤه في أي موضوع كان.

يقول في قصيدته " يا شعر" واصفاً الموت:

يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم

لكن طيف الموت والدجى طيف رحيم

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 87 9/5/11 9:28:06 AM

ويقول فيها أيضاً:

أرأيت ازهار الربيع وقد ذوت أوراقها

فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها

ويقول في "صلوات في هيكل الحب":

وحياة شعرية هي عند

صورة من حياة أهل الخلود

ويقول في "الجنة الضائعة":

لا تسأم اللهو البريء وليس يدركنا الفتور

فكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير

فأجنحة السكون، وصدر التراب، والحياة الشعرية، والأعصاب التي هي من المرح المثير.. كل تلك التعابير رقيقة في ألفاظها تحمل ما تحمل من عمق الفكرة وسمو الأداء..

***

وشعر المناسبات عند أبي القاسم قليل إن لم يكن معدوماً، بيد أن له في الوطنية شعراً رقيقاً قوياً.

ومن أقوى ما قال في شعره الوطني قصيدة "ليتني" التي يقول في مطلعها:

أيها الشعب ليتني كنت حطابا

فأهوى على الجذوع بفاسي

ومن شعره القوي، إرادة الحياة وهي شديدة اللصوق بالفكرة السياسية والنضال السياسي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي

ولابد للقيد أن ينكسر

هذه إشارة عابرة إلى تلك العظمة في عالمها النوراني الساحر، هذا الشاعر الشاب الذي هوى من علياء سمائه، وهو لا يزال في ميعة العمر، وريق الشباب، فأخرج للحياة، " من أغاني الحياة".

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 88 9/5/11 9:28:06 AM

أعلام

شاعر الكويت فهد راشد بروسلي

عبد الله الحاتم الخالد الحاتم

(من تاريخ البيان)

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 89 9/5/11 9:28:07 AM

شاعر الكويت..
فهد بن راشد البورسلي (2-2)

بقلم: عبد الله الخالد الحاتم*

التقيت ذات يوم من أيام عام ١٩٥٤ بالشاعر، وكان الوقت ظهراً وبعد حديث قصير طلب مني أن أصحبه إلى بيته الذي يسكن فيه وحده، وكان قريباً منا، واقتادني إلى غرفة علمت فيما بعد أنها غرفته الخاصة، فإذ هي خالية إلا من حصير مهلهل وفراش مطوي قد أكل الدهر عليه وشرب وظهر حشوه في أنحاء متعددة منه. ثم اتجه الشاعر إلى أقصى الغرفة وعاد يحمل قارورة فيها بقية من خمر تناول جرعة من فمها، ثم التفت إلي وقال اكتب هذه الأبيات:

الدنيا يا طامع فيها
لازم تجفيك أو تجفيها
***

هذي الدنيا اصعد حول
ثبت جدمك لا تتشول
تاليها ألعن من أول
وأولها ألعن من تاليها
***

لا تظن الدين بها السنه
صل وصوم تروح الجنة
الدين كايد واسأل عنه
لازم افروضه تديها
***

* أول رئيس تحرير لمجلة البيان (1916-1995).

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 90 9/5/11 9:28:08 AM

الدنيا والنفس اقرون

من قرن ابليس الملعون

***

لا تخدعنا يا مغرور

ما تدري الأيام تدور

انعيش بفرح وسرور

الزم نفسك لا تطغيها

***

حنا عيال آدم وحوا

والمسلم لا تطفي ضوه

العربي فيه مروه

روحي للعربي أفديها

***

الدنيا يا طامع فيها

لازم تجفيك أو تجفيها

الإرهـاق ظاهر على الشاعر من خلال هذه القصيدة، ولكن على الرغم من هذا الإرهاق وعلى الرغم من كل ما يجب أن نقوله فيها من نقد، فإن قوة مطلعها وجماله طغياً على كل اسفاف وضعف فيها.

ونحن إذا استثنينا هذا البيت وانتحينا به جانباً وانكرناه على هـذه القصيدة فيعني ذلك أننا أفقدناها الفوز وسلبناها الجمال ولم يبق أمامنا سوى أمثال هذا البيت.

نعيش بفرح وسرور

الزم نفسك لا تطغيها

فأي معنى نستطيع أن نستخلص من هذا البيت؟

وأي عملية يمكن اجراؤهـا له ليستقيم أمـره؟ كـان يمكن لمعنى هـذا البيت أن يستقيم لو أن الشاعر قلبه رأساً على عقب وجعل صـدره عجزه. ولـو أنـي لم أنقل هذه القصيدة من الشاعر نفسه، لقلت أنهـا محرفة مـن الـرواة، وكذلك الحال مع هذا البيت:

حنا عيال آدم وحوا

والمسلم لا يطفي ضوه

ثم يـردفـه بهـذا البيت الـذي لا علاقة لـه بالقصيدة كلها لا مـن بعيد ولا من قريب:

العربي فيه مروه

روحي للعربي افديها

جميل لو أنه جاء في محله، ومما يؤخذ على الشاعر فهدٍ أن شعره يغلب عليه التقليد وخصوصاً تقليد اللهجات ويكلف نفسه بتقليدها فتجده في بعض قصائده عـراقي اللهجة مثل قوله فـي قصيدته الـتي يحيي فيها طـلاب البـصـرة عند زيارتهم للكويت في الاحتفال الذي أقيم لهم عام ١٩٥٠ في مدرسة المتنبي:

مرحباً بالزائرين

الشباب الناهضين

الكويت تفوز فيكم

يا سلام الله عليكم

الصدق حنا نبيكم

بالوفا دنيا ودين

وقوله من قصيدته التي يمتدح بها خالد العيسى العمر في حادثة مشهورة:

ألاد سالم بالوفا والمناعة

ما فيهم اللي فزع ورد فشلان

مقلد بها عبيد العلي الرشيد أحد زعماء

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 91 9/5/11 9:28:09 AM

قبيلة شمر، في قوله:

الاد على سلايل كحيلان

ربي خلقهم للسبايا وداعه

وقوله في مطلع قصيدته المهملة:

أحمد المحمود سامع لك دعائي

حكمه الحاكم على كل الورى

مقلداً بها الشاعر محمد بن لعبون في قصيدته المهملة:

أحمد المحمود ما دمع همل

وعدد ما حال وادله وسال

وغير ذلك مما لا يتسع لذكره المقام، وهذا التقليد ظاهر يمكن لأبسط النقاد أن ينتبهوا له، والفترة الأخيرة من حياته مليئة بهذه المعائب التي تحط من قيمة الشاعر وتجعل منه مادة سهلة للنقد، ومهما يكن من أمر فإن لشاعرنا قصائد بمنتهى الروعة والجمال.

ويشكل الجزء الأكبر من شعره لقطات تاريخية هامة، وصوراً واضحة للمجتمع الكويتي القديم والحديث وما فيه من مشاكل وحوادث. فالماء مثلاً مشكلة من أخطر المشاكل التي مرت في تاريخ الكويت وأشدها استعصاء، وكانت تتكرر كل صيف، كالوحش الهائل المتربص الذي يترقب الانقضاض على فريسته في كل ساعة ولحظة فكلما اقترب الصيف كلما اقترب هذا الوحش وكشر بأنيابه، ولقد عانى منها أهل الكويت الأمرين، وصبروا لها طويلاً ووقف المسؤولين منها موقفاً جباراً منذ عهد المرحوم الشيخ مبارك الصباح حتى السنوات الأولى من عهد المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح. وهذه المشكلة ما كانت لتستعصي على المسؤولين في ذلك الوقت لو وجد المال

وكان الشاعر قد عاصر هذه المشكلة وواكبها وتذوق مراراتها وهو من أشد المواطنين إحساساً بها ولا أدل على ذلك من قوله في هذه القصيدة:

ليت ها النفط الغزير

ينقلب ماي الغدير

ما نبي النفط ومعاشه

صرنا للعالم طماشه

أهلها ماتوا عطاشه

ضاع بالطوشه الفقير

أمن الفجر شايل أقربه

بس يبي لو درب يصبه

نفطها غرق أوروبة

والظما بها يستدير

جابو (كنديسه) جديدة

قالوا بالعالم وحيده

قلت خير. الله يزيده

وازرعوا حنطه واشعير

لازرعنا ولا شربنا

كل قبضه انصيح ربنا

من عجمنا ومن عربنا

كل من اصبح خطير

عربا ين ما تبيعك

والمهارا ما تطيعك

من عوينك من قزيعك

نشتكي عند الأمير

ما نلومج يا بلدنا

والسبب كثرة عددنا

شف بلادك يا ولدنا

ما بها مفرش حصير

وقال أيضاً:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 92 9/5/11 9:28:09 AM

الفقير الله يعينه
ما بقت حتى سفينه
حطوا الجهده بضياهم
والظما والقيظ جاهم
وشتفيدك كهرباهم
ماي وين الماي وينه
الضيا يكفي اسراي
ولا نبي سكر وشاي
الحياة تريد ماي
الأصل منه حيينه
مادريتوا الماي كايد
اتلفت منه بدايد
كلما شفنا الشدايد
واعدونا في مكينه
باجر الغجر اتراكل
والحمير أبها اتصاقل
بس مهنتنا نتناقل
من مطينه ليمطينه
ما بها حيله وجاره
العمى يربط وزاره
يقضب أمه في يساره
ويقضب الكوطي بيمينه
لا تضحك يا غشيم
ما هو الوقت القديم
يوم في نقصه اغنيم
تلتقي كل المدينه

وفي الحرب العالمية الثانية نشأت أزمة بسبب نقص المواد الأولية وباتت تهدد السكان بالمجاعة فسارعت الحكومة إلى فرض نظام التموين بالبطاقات واشتد الزحام على دوائر التموين، وصار من العسير على الفرد الحصول على استحقاقه وقال الشاعر بهذه المناسبة:

الله يساعد هالماليه
ما تفرغ صبح وعصريه
يا ما ليتنا عذرينه
وفرتي والا دجينه
ما ها الوقت اللي محدينه
والجوع يكط الفاريه
عفسه وعركسه عند الباب
والعالم من غير احساب
قل للكاتب يا بواب
عمي من احسانك كوينه
اصوت عمي يا خلي
لكن ما يسمع لقوالي
طاح البشت وطاح اعقالي
ما ثمرت حتى انصيفيه
الدنيا علت مرقاها
لكن عندي من يقواها
ما يفك الحاها إلا لحاها
إن طاعت وإلا بالتوثيه
عقب الجنة وعقب الرنه
كل صاير احسن منه
قل الشبعه لو بالجنه
لاطلع وادش المحميه
ضايمينا يا ربي ليش
خل الضيم شويه شويه
ليت الريس يدري عنه
كان ارقد ليلى متهني
من فضل وجوده يعاوني
والصبح انرز الصفريه
ريسنا ونرضى بتدبيره
محمنا من الناس الشتيه

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 93 9/5/11 9:28:10 AM

الله يساعد هالماليه

ما تفرغ صبح وعصريه

ثم ننتقل مع الشاعر لنراه يصور لنا المتاعب والآلام التي صادفته عندما حج عام ١٩٣٦ بسبب ركوب الجمال.. وكانت الجمال يومها هي الواسطة الوحيدة لنقل الحجاج الكويتيين إلى بيت الله الحرام. فإذا كان الشاعر قد بلغ به التعب والغضب إلى الحد الذي صوره لنا في هذه القصيدة، وهو في قوة الشباب فكيف الحال إذاً مع المتقدمين بالسن والمرضى الذين يشكلون الأغلبية الكبرى من الحجاج كل عام. قال:

انصح التاجر نصيحه والفقير
لا يحدونه على ركب البعير
لا يحدونه على ركب الركاب
بالدراهم يشتري ضيم وعذاب
عقب خمسة يسحب وروكه سحاب
من نزل من كورها مثل الكسير
خلفوا بالقلب جرح ما يطيب
والمجرب يالربع غير الطبيب
والسبايب من صدج ومن جريب
شورهم يا لعنبو من يستشير
فرموا (الموتر) وحدوني على
ركب وحشي الصياهد والفلا
من محلة شيلته لينزلا
ما نصفي يوم لي طفل صغير

***

قلت ابي (اكوايه) ترى حيلي ركيك
قالوا استح يا فهد عيب عليك
شوف خالك شوف جدك شوف أبيك
وانت مثلك في سوالفهم خبير

***

حيث ركب (الكور) هو سلم الرجال
أركبه واصبر على ندح "العزال"
ما تعرف الحج في ركب الجمال
بالأجر زايد على ركب "الزفير"

***

قلت أنا أدري ولكن وش يفيد
دام اشوف الحال تنقص ما تزيد
كلما صاح المصوت للشديد
كن واحد جاوي لب الضمير

***

اتركز واصطلب بالشاهدين
ما تحرك لا يسار ولا يمين
بس أحاتي يا امان الخايفين
والجواعد حدرنا شيت سعير

***

حالت حالة رزاله والسلام
طول ليلك ما تهنى في المنام
بس هون ضميهم بان السلام
يوم شفته تمت ادموعي هدير

***

انصح التاجر نصيح والفقير
لا يحدونه على ركب البعير
ما أروح الحج إلا في قطار
أو (زفير) ما تشوف إلا الغبار
جان لزمتوا على اركب حمار
بس افاريح يالربع ركب البعير

***

العدد التاسع – ديسمبر 1966م.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 94 9/5/11 9:28:10 AM

مسرح

مسرحية ((بداية النهاية)) وعناصرها الفنية

د. سيد إبراهيم آرمن، زهرة بندبي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 95 9/5/11 9:28:11 AM

مسرحية "بداية النهاية" وعناصرها الفنية

بقلم: سيدإبراهيم آرمن*
زهرة بندبي**

تعتبر بداية النهاية مسرحية طريفة، كتبها سليمان داود الحزامي عام ١٩٧٣م. وكان تحت تأثير مسرح اللامعقول، وكتبها عندما حصلت مناوشات حدودية بين العراق والكويت، وكان الحزامي آنذاك في بريطانيا، وكان يفكر أنه كيف يمكن لدولة كبرى تغزو دولة صغرى ؟ كما تخيّل مدينتين، مدينة كبر؟، ومدينة صغر؟، والمدينة الكبر؟ تهجم عل؟ المدينة الصغر؟.

كان اسم المسرحية في بداية الأمر (عودة الجبرتي)، وهو الرجل الذي يأتي من الماضي، ليدافع عن الحق والحقيقة، إنه عاصر الغزو، والاحتلال الفرنسي لمصر، وشاهد الأحداث. كتب الحزامي هذه المسرحية وأودعها الدُّرج، وفي عام١٩٩٠م عندما حدث الغزو، واحتل العراق الكويت لمدة سبعة أشهر، قرر أن ينشر المسرحية، فغيّر العنوان من (عودة الجبرتي) إل؟ (بداية النهاية)، وحصل عل؟ هذه المسرحية، عل؟ جائزة الدولة التشجيعية للنص المسرحي من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام ٢٠٠١م.

نشاهد في هذه المسرحية أحداثاً، تبدو للإنسان أنه عاشها حيث يأخذ الإنسان إل؟ عام ١٩٧٣م.وللتأكيد عل؟ هذا نشير بإيجاز شديد إل؟ ملخص المسرحية. ويلقي هذا المقال الضوء عل؟ هذه المسرحية وعناصرها الفنية.

حرص الحزامي في مسرحيته في ظل الواقعية عل؟ تحقيق وحدة الصورة المسرحية picture stage من نص أدبي ومناظر وملابس، وترتب عل؟ هذا أن الجمهور بدأ يحس أنه أمام شيء واقعي حقيقي.

يبني الحزامي مسرحيته المكتوبة؛ عل؟ معايير أدبية مصطلح عليها في الأدب المسرحي وهي: ١.البيئة (الزمان والمكان). ٢.الشخصيات. ٣.الحوار. ٤.الفكرة (الموضوع). ٥.الصراع (الأحداث). ٦.الأزمة. ٧.العقدة ٨.الحل (النهاية).

---

* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في كرج – إيران.
** خريجة ماجستير بجامعة آزاد الإسلامية في كرج.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 96 9/5/11 9:28:11 AM

البيئة (الزمان والمكان) في المسرحية

«المكان يكون عنصراً من عناصر نطاق العمل المسرحي ونقصد به عنصر المسرح، ذلك البناء المسقوف الذي تنحصر فيه مناظر الرواية، وأثاثها، وأضواؤها. وليس من شك في أن وجود هذا البناء بإمكاناته هذه وطاقاته، عامل كبير من العوامل التي تلزم كاتب المسرحية أن يحصر مناظر روايته، وأفعالها داخل حدود هذا البناء المسقوف أو بمعن؟ من الأفعال، يجب أن تتناول الرواية من الأفعال ما يمكن حدوثه داخل الغرف، وأن تهمل من الأفعال ما يحتاج إلى السهول، والميادين الكبيرة، أو العراء المكشوف. فمن الصعب جداً وعل؟ الأخص في المسرح الحديث ظهور الغابات، أو الحقول، أو الجماهير المحتشدة، أو المعارك الضخمة.» (١)

ونر؟ في مسرحية بداية النهاية أن المكان يتغير في المشاهد، لكن ما يتغير فيه هو الإكسسوار وقطع الأثاث الموجودة.

والمكان هو الحيز الذي تجري فيه أحداث المسرحية، حيث يلعب دوراً كبيراً في سلوك وأفعال الشخصيات، ويتحكم إل؟ حد ما بجو المسرحية. والحزامي من خلال إرشاداته المسرحية يحدد لنا طبيعة المكان، ومن خلال الكلمات يرسم لنا صورة لهذا المكان كما يقول: «غرفة جلوس عل؟ شكل صالون فخم مجهز بأحدث الأجهزة تلفزيون... فيديو... فاكس... تلفون...» (٢)

يبدو أن المكان في هذه المسرحية ليس متداخلاً، وكذلك الزمان، ذلك لأن الزمان والمكان فقط يدوران حول الحاضر؛ والحزامي لا يتجسد الماضي من خلال استدعاء الحاضر.

هذا ولم يترك المكان فارغاً، بل ملأه بكل ما يساعد عل؟ توضيح تغيير من الفعل، والحدث (التلفزيون، والتلكس، و...).

وعادة يقسم الزمن إل؟ ثلاثة مستويات (ماض، حاضر، مستقبل) ونر؟ الزمن في هذه المسرحية أشد تأثيراً في الشخصيات لنتعرف عل؟ صراعاتها وأفعالها... وفي مسرحية بداية النهاية لدينا مستو؟ من الزمن (الحاضر والماضي)، فالزمن الحاضر أكثر تأثيراً وأقو؟ حضوراً من الماضي. حيث تجري أحداث المسرحية الهامة في الحاضر، أي بعد بداية عرض أحداث المسرحية عل؟ الخشبة، وفي الزمن الحاضر يزور الجبرتي المؤرخ، كما طلب منه الاطلاع عل؟ الحاضر.

والزمن يتطور وتتحرك معه الشخصيات التي تتطور، وتنمو، وتتغير أوضاعها، ففي البداية يختلف الوضع عن النهاية (في البداية يبدو كل شيء عل؟ ما يرام) أما في الفصل الثاني فهناك نهاية تختلف عن البداية إذ ألق؟ الضابط سلو؟ وقتل الصبي، وينازع الحاكم الجبرتي وأخيرا يظفر الشعب.

الشخصية في المسرحية

«إذا كانت الشخصيات في المسرحية هي عنصر التوصيل بين الكاتب والجمهور فإن التركيز عليها يغدو غاية حت؟ تصير مقنعة بأفعالها، وتصرفاتها، ومشاعرها في العرض المسرحي.» (٣)

لم يركز الحزامي على بطل المسرحية لأن الأشخاص فيها كلهم أبطال (الجبرتي-

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 97 9/5/11 9:28:12 AM

الحاكم ...). «لما كان بناء المسرحية، ووقت عرضها المحدود، وإمكانات حركتها المقيدة بطبيعة المسرح لاتتيح للمشاهد المسرحي أن يراقب الشخصية، ويرصد نشاطها عل؟ مدى طويل وفي مواقف متباينة كما يمكن أن يفعل في الحياة، فإن الكاتب يحاول قدر المستطاع أن يبلور تلك المواقف، ويكثف سلوك الشخصية بحيث تبرز سماتها المقصودة في أوضح صورها استجابة لتلك المواقف المتبلورة المتواترة.» (٤)

والحزامي في هذه المسرحية يستطيع أن يصور هذا التناقض بين الباطن، والظاهر؛ ويكشف عن حقيقة تلك الشخصية عل؟ ذلك المدى الطويل الممتد، وفي تلك المواقف الكثيرة المختلفة، كما يمكن أن يحدث في الحياة؛ لذلك يخلق لتلك الشخصية من المواقف القليلة المتواترة ما يضطرها إلي الإفصاح عن وجودها الحقيقي في مواجهة الأزمات التي تدفعها إلي أنواع من السلوك، والحديث ما كانت لتصدر عنها في ظروف عادية.

لكل شخصية في مسرحية بداية النهاية حكاية صغيرة، يقدمها الحزامي في مشاهد متتالية تصور جزئيات ممتدة في مشهد واحد كبير.

فالشخصيات التي يقدمها الحزامي شخصيات مستمدة من الوسط السياسي والاجتماعي حيث تعيش في علاقة جدلية مع هذا الواقع من خلال وضعها الطبقي، وعلاقتها بالمشاكل الاجتماعية لهذا الواقع، دون أن يقضي هذا التكوين عل؟ واقعها النفسي أي فرديتها الإنسانية.

يقدِّم الحزامي في شخصياته التصوير الشامل عن الإطار التاريخي، مثل فساد الأوضاع السياسية، وتخريب الأوضاع الاقتصادية، ورواج الطمع، والقتل، والاضطراب، والفقر.

إن بداية النهاية تعرض للقارئ - عن طريق الحوار- مسرحية وحادثة حدثت من قبل؛ فإنها لابد بالضرورة أن تشتمل عل؟ شخصية تحدث وقائع هذه القصة أو تحدث لها بعض وقائعها. فليس هناك أحداث مجردة عن الشخصيات.

وندرك أن الشخصية المسرحية هي الوجود الحي الملموس الذي يراه المشاهدون ويتابعونه من خلال سلوكه، وانفعالاته، وحواره كل المعاني التي يحملها الحدث المسرحي.

الشخصيات الأصلية في المسرحية

الشخصية الأصلية التي تمثل إنسان العصر بكل مشكلاته الواقعية، ولم يعد البطل يستأثر بإدارة أحداث المسرحية، وكشف ما فيها من صراع عل؟ هذا النحو. بل في هذه المسرحية أصبحت الشخصية الأصلية في كثير من الأحيان نصيباً مشتركاً بين كثير من الشخصيات بحيث يصعب أحياناً أن نقرر من هو بطل المسرحية عل؟ وجه التحقيق.

والشخصيات هم النماذج البشرية التي يرسمها الكاتب المسرحي بقلمه، أو خياله في النص المسرحي، منهم الشخصيات الأساسية أو المحورية (الأبطال)، ومنهم الشخصيات المساعدة، النماذج الثانوية، أو الهامشية. وتنهض تكلم الشخصيات بأدوارها أثناء المسرحية، وفقاً للنّص

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 98 9/5/11 9:28:12 AM

المكتوب في الأساس، مع إضافة رؤية لما يراه مناسباً لأداء، وحركة، وحياة أو ممات تلك الشخصيات من الممثلين، والممثلات.

«واختيار نمط الشخصية يخضع لاعتبارات عملية هي: ١. هيئة (شكل) الممثل أو الممثلة، أي الكيان المادي العضوي. ٢. البعد الاجتماعي للشخصية (في كيانها، وطبقتها، وتفكيرها، وتعليمها، وسلوكها الاجتماعي). ٣. نفسية الشخصية (مزاجها، وميولها، وقدراتها، وعقدها و...).» (٥)

والشخصيتان الأصليتان في مسرحية بداية النهاية، هما الشخصيتان اللتان تدور حولهما معظم الأحداث، وتؤثران في الأحداث، أو تتأثران بهما أكثر من غيرهما من شخصيات المسرحية، وتستمد معظم الشخصيات وجودهما من مقدار صلتهما بهما، ومن طبيعة تلك الصلة. فالشخصيات الأصلية (الجبرتي والحاكم) هما المحرك الأول لأحداث المسرحية، وهما اللذان يبقيان- في أغلب الأحوال- أطول مدة عل؟ خشبة المسرح، ويتمثل في سلوكهما، ومصيرهما موضوع المسرحية الرئيس.

وإذا كان من الطبيعي أن تستأثر الشخصيتان الرئيسيتان في المسرحية، وهما الجبرتي، والحاكم بأكبر قدر من اهتمام المؤلف، لأنهما طرفا الصراع الأساسي فيها، فقد كان من الواجب أن تنال بقية شخصيات المسرحية قدراً معقولاً عل؟ مساندة الأبطال، وإتاحة فرص الأداء الانفرادي لكل منهما ... والمفروض أن المسرحية عمل جماعي متكامل، قد تبرز بعض عناصره، لكن دون أن تطمس بقية العناصر.

وتكون شخصيات بداية النهاية قريبةً من مسرحية الواقع الاجتماعي.إن الشخصيات في هذه المسرحية لاتخوض نقاشات طويلة، ولأنها خصومة وقودها الدسيسة، والانتقام، والظلم، فلا وقت لديها لكي تحاجج بعضها كما في مُنَمنَمات تاريخية.

شخصية الجبرتي والحاكم

قبل أن ندخل في صلب الموضوع لابد من كلمة حول الشخوص الأصلية في المسرحية: الجبرتي، والحاكم.

شخصية الجبرتي هنا شخصية أخلاقية، تتمتع بعدد من الفضائل الأخلاقية، والاجتماعية، وفي مقدمتها صدق الإخاء.

شخصية الجبرتي أيضاً دائماً يدافع عن مهنته التي كشفت عن الحقيقة. وبث المواعظ، والنصائح، وهكذا يعيش الجبرتي في شخصيته وفي صراعاته مع الشخصيات الأخر؟ عن وعي بانعدام العدالة الاجتماعية في المسرح الاجتماعي.

وفي مقابل هذه الشخصية، تقوم شخصية حاكم ساسا، وهي شخصية لامبادئ لها ولا خلق.وأما الجبرتي كشخصية محورية فيشعر بالغربة دائماً في المواقف الكثيرة، وهي التوكيد عل؟ أنه يعيش خارج الزمن.

نر؟ في أثناء المسرحية، نوعاً من التقلب في شخصية الجبرتي، فقد كان تارة ذكياً (عن طريق حواره مع الفرج، والحاكم)

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 99 9/5/11 9:28:13 AM

وتارة نراه بسيطاً عفوياً (حواره مع الصبي). وهناك إشارة إلى معرفة شخصية الجبرتي، وأن يكون الوسيلة في يد المؤلف يحركها كيف ما يشاء. وأما شخصية الجبرتي فتعتبر أهم الشخصيات في هذه المسرحية.

لقد استطاع المؤلف أن يشيع عن طريق الجبرتي سلوكاً وأداء، وفكراً في أثناء المسرحية بأسلوب عفوي جميل. تمثل شخصية الجبرتي في الإنسان العربي الذي يكشف الحقيقة.

إن الجبرتي هو ذلك الذي يحمل صفاء الإنسان، والذي لم يتلوث بالوجه الزائف فيها. إنه رمز الإنسان الذي يحمل الصدق، والوفاء، والرجولة، إنه رمز الإنسان الذي يعشق الناس، ويأمل الحياة الحرة والمستقبل السعيد. لقد كشف الكاتب ميزات هذه الشخصية من خلال الأفعال التي وردت أثناء المسرحية.

وشخصية الحاكم متكبرة وله حب الدنيا كثيراً. يفتخر بقدرته ولايعتقد أن لكل عمل جزاء. هو شخصية تعكس صورة الحاكم المستبد. إنه يقتل لأجل الوصول إلى المجد الزائل.

تدور مسرحية بداية النهاية حول حياة الحاكم الجبار، يعيش سادراً في غيّه، لايلقي بالاً لنصائح المؤرخ الذي جاء من الماضي (الجبرتي)، ولا لنصائح الآخرين، ويستمر في هذه الحياة الباطلة الفاسدة.

باستثناء شخصيتي الجبرتي والحاكم، نجد سائر شخصيات المسرحية ويكون دورهم فيها سطحياً وبسيطاً.

الشخصيات الثانوية في المسرحية

ومن الشخصيات الثانوية في هذه المسرحية المرأة التي تكون لعبة ف؟ يد غضبان. والكاتب عن طريق وصفها يشير إلى فساد المجتمع، وقلّة الأهمية للمرأة عندهم، ووجود العلاقات غير الأخلاقية. كما يقول: «امرأة متبرجة بيدها كأس ومعها أحدهم بملابس النوم.»

وأيضاً هناك المرأة، الشخصية التي باعت نفسها بثمن رخيص. حينما قال غضبان لها بوجود صفقة، وهي بوابتها. «غضبان: موضوع الوزير أدهم، سآخذك إليه... هناك صفقة لابد أن تصل لي وأنت البوابة.

المرأة: أنا دائماً بوابة يا خبيث.

غضبان: قلت لك استمعي إلي حتى النهاية... بشيء من الغزل والحب...

المرأة: (مقاطعة) إلى؟ آخر القصة.

غضبان: نعم إلى؟ آخر القصة، أقيمي معه علاقة، وادخلي معه إلى؟ أقص؟ مكان تستطيعين، وعندها سنفوز بما نريد.» (٦)

هنا يوجد في شخصية المرأة إشارة إلى؟ الموضوعات الأخلاقية في عصرنا الحاضر. أي هي المثال الأخلاقي الذي نحتاج إليه في زمننا ويتطلب منا كثيرا من الجهد. وهذه الشخصية تطرح للبحث قضية أخلاقية باللغة الأدبية.

وشخصية غضبان هو الذي يستفيد من المرأة للوصول إلى؟ أهدافه مع الخدعة. ولم يقصد زواجها.الفرج هو الذي يريد كل شيء لنفسه، ويعمل العمل الذي يصل

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 100 9/5/11 9:28:13 AM

إليه المنافع. هو الشخصية التي يدافع عن الآخرين للوصول إل؟ أهدافه، ومنافعه.

الحوار في المسرحية

لعل أول ما نلاحظ في المسرحية كشكل أدبي هو الحوار. حت؟ ينمو الحدث من خلال ذلك الحوار، والمواقف التي يجري الحوار فيها.

«والحوار المسرحي فوق خشبة المسرح من أهم العوامل التي يبدأ عندها الإحساس بأن الحوار اللغوي التأليفي يتحول عند (العرض) إل؟ دراما تمثيلية، في مقدمة عناصرها الحوار أو التخاطب بين العناصر البشرية فوق خشبة المسرح، مما يكشف عن المعاني أو الحقائق.» (٧)

«لابد من الإشارة إل؟ أن حوار المسرح ليس هو حوار الحياة العادية، ومهما أوْغَلَتْ المسرحية في الواقعية فلن يكون حوارها بأي حال مطابقاً لحوار الحياة اليومية. وهناك لابد من الإشاره إل؟ خصائص الحوار الجيد بشكلٍ ملخص: ١. الوضوح والصحة لغة ونطقاً. ٢. تضمين الفكرة أو الموضوع مما يستأهل العرض. ٣. الإيجاز والاختصار في الجمل اللغوية / الأدائية. ٤. الإيقاع والأسلوب في صياغة الحوار. ٥. يسهم في ترابط الأحداث، والأفكار، والشخصيات، والمناخ الفني للعرض. ٦. التنويع الفني الملائم لنوع النص.

وهناك من الملاحظات العامة التي لابدّ أن يلتزمها كتّاب المسرح في نسيج حوارهم. والحوار يشرح لقارئ المسرح كيفية ترتيب الممثلين، ويحدد درجة الصوت، والحالة النفيسة للشخصية، والإيقاعات الحركية التي تصاحب الشخصية وهي تتحدث.» (٨)

والحوار في هذه المسرحية سلس، لايثقله السجع المتكلف، ولا الصور البيانية المصطنعة. وقد اضطر المؤلف إل؟ إدخال بعض المواقف التي تساعد عل؟ تصوير الجو، وتعبّر عن بعض الانفعالات، كما جاء.

الفكرة (الموضوع)

تعكس هذه المسرحية الانعكاس الطبيعي للموضوعات الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، ويستهدف الربط بين عناصر العمل المسرحي، وعلاقات الواقع التاريخي في سياق يلتهب بالحقيقة الجوهرية.

في هذه المسرحية يتجه الحزامي الأديب إل؟ الشعب، وأخذ يرتب هذه الحركات الجديدة، الناشئة عن ظهور الوعي الاجتماعي الجديد، والصراع بين الطبقات، أو الصراع بين الناس، والحاكم الظالم. وقد ساهم الأدب بفنونه المختلفة في هذه الاتجاهات. يمكن أن نقول إن مسرحية بداية النهاية من ناحية أخر؟ تكون المسرحية الاجتماعية التي انبثقتْ من الحياة الاجتماعية الجديدة، وما انتزعت موضوعاتها من الحياة المعاصرة، وحاولت أن تعرض المشكلات وأن تبين الحلول في بعض المواقف.

يحاول الحزامي نقل قطاع الحياة إل؟ خشبة المسرح نقلاً أميناً دون تَزْييف. ويسخّر الكاتب عناصر المسرحية لكي تنتج في نفس المتفرج هذا الأثر. فالشخصيات التي يقدمها لاتختلف في

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 101 9/5/11 9:28:14 AM

شيء عن الشخصيات التي نقابلها في الحياة اليومية. والمواقف التي يضع فيها هذه الشخصيات، عادية أيضاً، ليس فيها ما هو خارج عن المألوف، والحوار أيضاً عادي ليس به ما يميزه عن الحوار اليومي وفي كل مسرحية من مسرحيات الحزامي، نجد- غالباً - موضوعاً للمناقشة حول فساد الحكم، والسياسة، ونكبة الشعب، والصراع بين القدرة.

وهذه المسرحية نوع من المسرحيات التي تهدف إل؟ إثارة الانفعالات الشديدة بين الفصلين، تنتهي إل؟ نهاية سعيدة أي انهدام الظلم، وظفر الحقيقة.

ولهذا تحقق الميلودرامية عنصر الإشارة الذي هو من أخص خصائص المسرحية الجيدة، ولكنها معيبة من ناحية أخرة؟، وهي أنها لاتعمق الحوادث، والأشخاص، ولاتتيح لك عرضاً عن الإنسان في تعقيده، وتشعب مشكلاته، فهي تأخذ عنصراً واحداً من عناصر المسرح، وتتمسك به؛ وهو عنصر الإثارة مضحية بعناصر أخرة؟، ومن ثم اتسمت بالخفة، والضجيج أكثر مما اتسمت بالعمق، والدراسة.

كشف الحزامي لنا عن الحدث في المسرحية بشكل تدريجي من خلال حوار بين الجبرتي، والعالم المعاصر. كما أن كل شخصية من شخصيات المسرحية تلقي الضوء عل؟ هذا الحدث فمن خلال الفعل أو الحوار، نتمكن من الوصول لمعرفة الحقائق بالتدريج، كما أننا لن نتمكن من معرفة الأحداث من بدايتها دفعة واحدة.

ومن جهة كانت هذه المسرحية ذات بعد سياسي يتناول قصة الظلم، وفساد الحكم داخل البلاد. وداخل الإطار السياسي للمسرحية أدار المؤلف قضيتين، الأول؟ فكرية، والثانية اجتماعية.

«عل؟ أن ما طرأ عل؟ حياة المجتمع الإنساني من تطور اقتصادي، وسياسي، وفكري منذ مطلع هذا القرن، وما امتحنت به الإنسانية من حروب عالمية، ومحلية، وما وجد من نظم سياسة في بعض دول العالم، وما خاضته كثير من البلاد من صراع في سبيل الحرية والاستقلال، كل ذلك فرض أن يكون للأديب دور فعال في المجتمع الذي يعيش فيه ومشاركة في قضايا، وبخاصة تلك التي تمثل تيارات التقدم في الفكر، والاقتصاد، والاجتماع، وكل مقومات الحضارة (بالقياس مع الماضي). من جهة نظر حرية الفكر حريصة عل؟ قيام العدالة، والمساواة، والحرية في وطن الأديب، وفي جميع الأرض.»(٩)

تكون مسرحية بداية النهاية عل؟ النظم التقليدية، والحزامي فيها التزم بالأصول الدرامية التي عرضها المسرح، مثل الاهتمام بوحدة الحدث، أو خط الفعل المتصل، أو اختيار مشكلة، أو قضية يركز عليها الكاتب، ويواجهها بطل المسرحية من أول العمل إل؟ آخره، كما هي العادة المألوفة في المسرح التقليدي.

كان الحزامي يختار شريحته من الحياة من حوله بكل ما فيها من وقائع، ومواقف، وأحداث، ويحاول أن يرسم من خلالها صورة لواقع الحياة كما يجري في مجتمعه.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 102 9/5/11 9:28:15 AM

وهو يشير من خلال عرضه لهذه الشريحة العريضة من المجتمع بأشخاصها، وأحداثها، وواقع حياتها إل؟ تجسيد حالة التذمر، والرفض، ثم اليأس، تلك الحالة التي كانت تجتاح نفوس الناس في مجتمعه حين يرفضون قسوة الواقع وبشاعته.

الصراع (الأحداث)

ولما كان الصراع هو جوهر المسرح، وقوامه، وهو أساس هام في تحقيق بناء المسرحية، ونجاحها فلننظر إل؟ نوعية الصراع الذي اختارها الكاتب سليمان الحزامي.

فمسرحية بداية النهاية تشتمل عل؟ حدث رئيس، تنبع منه مواقفها، وشخصياتها يعرض الحزامي من خلاله ما يريد أن ينقل إل؟ المشاهدين من مشاعره، وأفكاره. وهذا الحدث الرئيس يكون وجود الظلم، والسلطة في الأرض؛ أما نهايته تتجل؟ ف؟ انهدام الظلم. لكن الاكتفاء بهذا الحدث الرئيس قد يجعل مجال الإبداع، والعرض ضيقاً أمامه في بعض الأحيان، وقد يشعر المشاهد بأن المسرحية تمضي في خط مستقيم يبعد كثيراً عن طبيعة الحياة.

وقداستطاع أن يشير إليه بصورة موجزة. وقد يشعر المشاهد بأن المسرحية تمضي في خط مستقيم للوصول إل؟ الحدث الرئيس.

يريد الحزامي أحياناً أن يكون إل؟ جانب الحدث الرئيس، الأحداث الثانوية، أو الإشارة إل؟ المشاهد التي تقرب المسرحية من الحياة الواقعية، ويضفي عل؟ مشاهدها بعض الشخصيات الثانوية، لرسم الحدث الثانوي.

ومن خلال هذه الشخصيات، وعلاقاتها، ومعايشتها للحدث المسرحي ينشأ صراع فيما بينهم. وعن طريق هذه المواقف المتوترة في صراعات بينهم، تبرز سمات شخصية الجبرتي، والحاكم، وتفصح عن الدلالات المختلفة التي أراد الحزامي أن يحملها.

يتجلي في هذه المسرحية الصراع بين الخير والشر، قوة الخير يمثلها الجبرتي، وقوة الشر يمثلها الحاكم، وغضبان. أي تقوم بين شخصيتين مركزتين، فهو الحاكم المستبد، والمؤرخ الصالح الذي جاء من الماضي (الجبرتي).

يكون أحد الطرفين في الصراع مهاجماً، وهو الحاكم، والآخر في موضع الدفاع، وهو الجبرتي. يدافع الجبرتي عن حقوق الناس في المجتمع. ويجري الحوادث بينهم ويدافعان عن عقائدهم حت؟ تصل الحكاية إل؟ النهاية بتحقيق الهدف.

الحزامي في المسرحية يعتقد اعتقاداً جازماً بأن النصر في النهاية يكون لقوي الخير. فنر؟ الجبرتي يعاني من شقاء المحرومين، والخارجين. وفي المقابل، يعيش الحاكم، وفرج في الرخاء، فترمز إل؟ طبقة اجتماعية عليا.

ودائماً يباحث، ويناقش مع الحاكم، ويدعوه إل؟ الرحمة، والعطف، والعدالة في حكمه. أما عل؟ رغم نصح الجبرتي، فتظل شخصية الحاكم عل؟ حالها لم يتغير منطقها النفسي، والأخلاقي.

الحدث مع ذلك لايمكن أن يكون شيئاً

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 103 9/5/11 9:28:15 AM

مجرداً، بل هو مظهر من مظاهر النشاط الإنساني، ونتيجة للسلوك الإنساني النفسي، والاجتماعي، وعلاقاته مع بيئته، ومجتمعه. لذلك لابّد أن تكون في المسرحية- بالطبع- شخصيات يحدث لها هذا الحدث، وبهذا يمكن أن نعد الشخصية العنصر الثاني من عناصر المسرحية.

يقدس الجبرتي الحق، والعدل، وينفر من الجور، والظلم؛ لكن الحاكم يقتل الناس، ويملك كل شيء دون أن يتجه إل؟ جانب الحق، والعدالة.

الأزمة

استخدم الحزامي في مسرحيته الموضوعات الإنسانية التي طرحها المسرح العالمي قروناً وراء قرون، مثلا: الفقر، والظلم، والفساد، والسلطة، وحقوق الآخرين؛ فإن أزمة النص، هي أزمة مواجهة للأوضاع الاجتماعية، المرتبطة بالضرورة بالأوضاع السياسية، فإذا كان لزاماً عل؟ الكاتب أن يصل إل؟ جمهوره، كان لزاماً عليه أن يناقش مشكلاته الاجتماعية من ناحية، وأن يواجه الأوضاع السياسية من ناحية أخر؟.

فالحزامي يقدم من خلالها صورة اجتماعية عريضة تتحرك فيها شخصيات يميل بعضها إل؟ المزاج الرومانسي، والبعض الآخر إل؟ المزاج الواقعي، وبينما يتردد البعض بين الرومانسية، والواقعية عل؟ نحو ما نر؟ في شخصية الجبرتي.

وتعتمد مسرحية بداية النهاية اعتماداً كبيراً عل؟ الأزمات الكثيرة، ففي الفصل الأول يعلن التلفزيون قتل حاكم مدينة ساسا، وفي الفصل الثاني قتل الصبي، وقتل المرأة.

الأزمة في هذه المسرحية كما هي أزمة سياسة في البلاد (الحاكم الذي يكون نموذجاً للحاكم المستبد، وقتلُ الحاكم عن الطريق نائبه)، وأزمة السوق (عمل الصبي لاكتساب الرزق)، والأزمات الأخر؟ الصغيرة (الفساد في أعمال المرأة والحرص عند غضبان)، وهي مترابطة مع بعضها، وتشكل بالتالي -كما أرى- الأزمة التي واجهتها الكويت في الزمن الذي يشير إليه الكاتب. (مناوشات حدودية بين العراق والكويت)

فالمسرحية تعتمد عل؟ إثارة القضية الاجتماعية، ومناقشتها من خلال تأزم الأحداث ثم التبشير بضرورة التغيير في نهاية المسرحية.

وتتحرك هذه القضية في العادة من خلال شخصيات أقرب في تكوينها إل؟ الشخصيات النمطية التي تمثل نماذج معينة داخل المجتمع تسعى إلى التعبير عن تناقضات الواقع الاجتماعي.

يمكننا أن نر؟ في هذه المسرحية الموقف بطبيعة الحال- هنا- لم يبخل المؤلف عل؟ مسرحيته فزودها بمناقشات فكرية، واجتماعية كما نر؟ في الفصل التمهيدي في المناقشات الجدلية التي قامت بين الجبرتي الرجل الذي يأتي من الماضي لكشف الحقيقة، والحاكم الذي يقتل، ويكبر.

العقدة

في هذه المسرحية نشاهد التعقيدات

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 104 9/5/11 9:28:16 AM

الكثيرة من خلال الموضوع. العقدة الأساسية فيها أن يكون الصراع بين الجبرتي والحاكم.

ومن أبرز السمات التي تتسم بها مسرحية بداية النهاية التزامها بالعقدة الواحدة الرئيسة منذ بداية العمل إل؟ النهاية، وهو الظلم، والفساد في المجتمع، والطمع، والتناقض بين أهداف الحاكم، والجبرتي. هذه المشاكل الموجودة في المجتمع تطالع القارئ المشكلة أو القضية منذ السطور الأول؟ للمسرحية، والحوادث التي تجري عن طريقها ثم الانحدار السريع إل؟ النهاية.

ويتميز الحزامي في مسرحيته بالعقدة البسيطة إذ لايحتاج القارئ فيها إل؟ التعمق. كان يطرح في مسرحه الواقعي الصراع بين الحكام الظالمين، والناس كوجهين لعملة واحدة. وجهها للحق، والآخر للظلم.

إن اكتشاف العقدة بين القضية التي بنيت عليها المسرحية هو ظروف التطور الاجتماعي، أو السياسي، أو الحضاري بوجه عام، الدافع الأول لتوجيه اختيار النص، أي هدف الكاتب لكتابة المسرحية أنه أراد أن يُصوِّر صورة شاملة لمناوشات حدودية بين العراق والكويت، والتي تولّد الكثير من المشاق، كالفقر، والقتل، والفساد. وقد خرجت المسرحية من بين يدي الكاتب، خليطاً من الحوادث المختلفة، التّي يكون كل منها موضوعاً لمسرحية مستقلة بذاتها. وقد بسط المؤلف الأفكار، والحوادث التي بنيت عليها المسرحية.

الحل (النهاية)

إن مهمة الراوي في مسرحية بداية النهاية تكون تقديم صورة عن الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. هذه المسائل تكون جزءاً أساسياً في القضية التي يستخدمها الحزامي لأغراض متعددة. في هذا المجال تتيح للكاتب فرصة ليضعَ أمامَنا حصيلة الأحداث قبل وقوعها عل؟ المسرح.

كل العناصر التي تحدثنا عنها في المسرحية، من حدث، وشخصية، وفكرة، وصراع، وحوار، و... ليست عل؟ هذا النحو من الانفصال، ولكنها تقوم في المسرحية للوصول إل؟ أهدافها العليا. وليست غاية المسرحي الحزامي من هذه العناصر أن يستخدمها لذاتها، ولكنه يهدف من ورائها إل؟ خلق بناء مسرحي كامل، خطوة خطوة منذ بداية المسرحية حت؟ نهايتها.

والحل فيها كان موتاً للحاكم، وانهدام الظلم، والظفر للشعب. وفي رأينا نقطة الحل في المسرحية كانت قتل المتسول، وقتل الصبي لأن الجبرتي فهم أنه لايرحم أحداً في طريقه للوصول إل؟ أهدافه. وقصد الجبرتي إرشاد الشعب، وإفناء الحاكم.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 105 9/5/11 9:28:16 AM

المصادر والهوامش

(١) العشماوي، محمد زكي: المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، لاتا، ص ٢٣.

(٢) الحزامي، سليمان: مجموعة الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ١٠٥.

(٣) الخواجة، هيثم يحي؟: إشكاليات التأصيل في المسرح العربي، مركز الحضارة العربية،القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٦٥.

(٤) القط، عبدالقادر: من فنون الأدب (المسرحية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢١.

(٥) زلط، أحمد: مدخل إل؟ علوم المسرح (دراسة أدبية فنية)، دار الوفاء، اسكندرية، ١٩٩٩م، ص ١٥٨.

(٦) الحزامي، سليمان: مجموعة الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، ص ١١٥.

(٧) زلط، أحمد: مدخل إل؟ علوم المسرح (دراسة أدبية فنية)، ص١٥١.

(٨) المصدر السابق، ص١٥٢.

(٩) القط، عبدالقادر: من فنون الأدب (المسرحية)، ص٣٠.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 106 9/5/11 9:28:17 AM

حوار

ماريو فارجاس يوسا

حاوره: وليامز ريمون ليزلي ترجمة: حسين عيد

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 107 9/5/11 9:28:18 AM

حوار

ماريو فارجاس يوسا: (الحاصل على جائزة نوبل ٢٠١٠) رحلة إلى قبر وليام فوكنر!

حاوره : وليامز ريمون ليزلي *
ترجمة: حسين عيد **

الروائي البيرو ماريو بارجاس يوسا، هو مؤلف رواية "حرب نهاية العالم" (١٩٨١)، "قصة اليخاندرو ماتيا الحمراء" (١٩٨٤)، وست روايات أخرى. زار ماريو قبر وليام فوكنر بأوكسفورد، ميسيسبي في ٢٠ ابريل ١٩٨٦ تكريما له. استقبله "دل توماس فيريش" مدير المجموعات الخاصة بجامعة الميسيسبي، والبروفيسور فردريك كارل، أستاذ اللغة الانجليزية في جامعة نيويورك الذي كان مقيما في أكسفورد، ويعدّ سيرة نقدية لفوكنر. وقد اطلع فارجاس خلال هذه الزيارة على المجموعة الخاصة بفوكنر في جامعة الميسيسبي، وقام بجولة في "أوك روان"، بيت فوكنر، ووضع باقة من زهور الجرانيوم الحمراء على قبر فوكنر. وعندما كان في "أوك روان" اقترب منه سائحان من هولندا، أوضحا له أنهما يقومان على وجه التحديد بزيارة بيت فوكنر لأنهما قرأ روايات ماريو بارجاس، ثم قرأ ما أورده في وقت لاحق في مقابلة صحفية، تحدّث فيها بحماس شديد حول فوكنر.

جرى الحوار التالي معه أثناء ركوب سيارة على امتداد دلتا نهر الميسيسبي من أكسفورد الي سانت جيوفاني بولاية ميسوري.

التقشف المحيط به

■ ماريو، كنت دائماً حريصاً ومصمماً على القيام بهذه الرحلة أثناء فترة إقامتك بالغرب الأوسط. الآن، وقد انتهى الأمر، ما اللحظة التي تعتقد أنها كانت الأفضل بالنسبة لك خلال اليوم بأكمله؟

– لقد تأثرت جداً عند زيارة قبر فوكنر، من التقشف الكبير المحيط به. صحيح أنّه كان هناك ما يشير حقاً إلى أن شخصاً عظيما قد دفن هناك، بالاضافة إلى أنّ كلّ منطقة أكسفورد كانت شديدة الجمال. أنّه حقاً مكان جميل، بأشجاره وبيوته. ومن المحتمل أنه لم يتغيّر كثيراً. يمكنك أن ترى الكثيرمما كان موجود خلال حياة

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 108 9/5/11 9:28:18 AM

فوكنر. وكما تعرف، فإنني مولع بالكتّاب كثيرا: وبالنسبة لي أثرت كثيراً رؤية كتبه، مخطوطاته، والأشياء الأخرى. كما أعجبت جداً بحقيقة أنه وعلى العكس ممّا يحدث عادة، في أكسفورد بوجه خاص عند رؤية سراي الأقليم والبيوت، فقد أمكنني أن أرى كم كانت الرواية قريبة من الواقع. لقد كانت تجربة رائعة. وربّما كان من الصعب بطبيعة الحال، أن أشرح ذلك الآن، لكن بالنسبة لي كانت اللحظة الأكثر إثارة للمشاعر، عندما قال الشائي الهولندي "نحن هنا لأننا قرأنا رواياتك. وقررنا أن نبدأ بقراءة فوكنر بعد قراءة تعقيبك حوله في الصحيفة"

■ أودّ أن أتابع أكثر قليلاً صورة فوكنر الخاصة والعامة التي تكوّنت لديك. وأفترض أنك قرأت سيرة فوكنر التي وضعها "يوسف بلوتنر"، إضافة إلى ما تكوّن لديك من صور أخرى من الماضي والحاضر.

– نعم، لقد قرأت كتاب "بلوتنر" المعروف. لكن ربما تمنحك زيارة كهذه مشاهد بصرية وعاطفية أخرى للأشياء. وككاتب أحبّ دائما الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول حياة المؤلفين. أعتقد أن ذلك وَلَعٌ صرف، وربّما هي محاولة لا واعية للانخداع والتأثر بهم.

نص خفي

■ دعنا ننتقل من شخصية الرجل إلى كتبه. هل تتذكّر أول مرّة قرأت فيها فوكنر؟ هل كانت تلك حدثاً دراميا مثلما جرى مع قراءتك العاطفية لـ"مدام بوفاري"؟

– أتذكّر ذلك جيداً، كان ذلك عام ١٩٥٣، في عامي الأول في جامعة سان ماركوس في ليما. وكان أول كتاب هو "ابسالوم! ابسالوم!". وكنت قد قرأت قصصه القصيرة مبكراً من عمر الثالثة عشرة أيضاً. كنت أقرأ فوكنر في تلك الأيام في ترجمات بالأسبانية والفرنسية. كانت ترجمة "موريس كوندرو" رائعة. لقد كان مترجماً رائعاً، قرأت ترجمته الممتازة لرواية "المحراب" مع مقدمة لأندريه مارلو، فاستوقفتني فجأة عبقرية فوكنر. وأعتقد أنني اكتشفت عندئذ فقط أهمية الشكل في الأدب. أراني فوكنر كيف يعطي تنظيماً معيناً من الزمن لوجهة نظر أساسية تحديداً، وتصميماً، سواء أكان النصّ خفياً، أو غامضاً، أو خاماً، أو سطحياً. لقد اكتشفت كيف أن الشكل نفسه يمكن أن يكون شخصية أو تيمة في رواية. ما أتذكره أيضا جيدا، وهذا من المهم ملاحظته كي تفهم علاقتي مع

● "كانت اللحظة الأكثر إثارة للمشاعر، عندما قال الشائي الهولندي "نحن هنا لأننا قرأنا رواياتك. وقررنا أن نبدأ بقراءة فوكنر بعد قراءة تعقيبك حوله في الصحيفة"!

● "ككاتب أحبّ دائماً الحصول على أكبر ممكن من المعلومات حول حياة المؤلفين. أعتقد أن ذلك ولع صرف، وربّما هي محاولة لا واعية للانخداع والتأثر بهم!"

● "كان أول كتاب قرأته لفوكنر هو "ابسالوم! ابسالوم!". وكنت قد قرأت قصصه القصيرة مبكراً من عمر الثالثة عشرة أيضاً!"

● "كان فوكنر أول كاتب قرأت له بقلم في يدي وورقة إلى جانب الكتاب!"

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 109 9/5/11 9:28:19 AM

- **"فوكنر هو الكاتب الوحيد الذي لم أتوقف عن قراءته. إنني أقرأه طوال الوقت!"**
- **"ان الكاتبين اللذين أقرأهما وأعيد قراءتهما أكثر من غيرهما، هما فوكنر وفلوبير!"**
- **" أشعر بأنني مدين لفوكنر وفلوبير بالكثير، وأشعر بقربي الشديد منهما!"**
- **"أن فوكنر هو الكاتب الأكثر أهمية في أوروبا وأمريكا اللاتينية خلال الأربعين أو الخمسين سنة الماضية!"**

فوكنر، من أنه كان أول كاتب قرأت له بقلم في يدي وورقة إلى جانب الكتاب.

اكتشاف الشكل

■ **هل يمكن أن توضح لنا بالضبط ماذا كنت تفعل بقلم في اليد؟**

– نعم. كنت أبحث عن أساس منطقي، بناء. كنت قد كتبت في ذلك الوقت بعض أشياء، لكن قراءة فوكنر فتحت عيني إلى اكتشاف الشكل. وكم كنت مستثاراً بسبب تلك الفكرة. كما منحني فوكنر اقتناعاً راسخاً بأن الشكل ينبغي أن يكون دائماً مرتبطاً بقصة لا يمكن تجاهلها. ولا يمكن أن يكون الشكل هدفاً، نهاية في حدّ ذاته. أعتقد أن الرواية ينبغي أن تتضمن دائماً تجربة بشرية. وكما ترى، فأنا ما أزال مخلصاً تماماً فكرة فوكنر حول الرواية.

■ **هل يمكن أن تخبرني بالمزيد عن تجربة القراءة؟ هل قرأت فوكنر بشكل مستحوذ كما أوضحت في كتابك عن "مدام بوفاري"؟**

– ليس تماماً، لأنني في البداية لم أستطع قراءته باللغة الانجليزية. حين بدأت أقرأ فوكنر بالانجليزية كان ذلك حوالي عام ١٩٦٢ أو ١٩٦٣ وبجانبي ترجمة فرنسية. لكن فوكنر هو الكاتب الوحيد الذي لم أتوقف عن قراءته. إنني أقرأه طوال الوقت. أعتقد أنني قرأت رواية "الضوء في أغسطس" أكثر من عشر مرات على الأقل. وهناك فقرة جليلة سامية يعظ فيها "جو كريسماس" خالطاً الكتاب المقدس في خطبته بإتقان ومشوّها الكتاب بشكل غير عادي. إن الكاتبين اللذين أقرأهما وأعيد قراءتهما أكثر من غيرهما، هما فوكنر وفلوبير.

■ **أعتقد أن هذا هو السبب في أنك أخبرتني عندما كنا نغادر قبر فوكنر بأن ذلك هو التكريم الأخير بزهور تقدمها، وهو ما سبق أن فعلته مع فلوبير؟**

– تحديداً كما تعرف، فإنني أشعر بأنني مدين لهما بالكثير، وأشعر بقربي الشديد منهما. ولا أشعر بضرورة تقديم هذا النوع من التكريم لكتاب آخرين، ولو حتى لكاتب أعجب به كثيرا، هو هوجو.

الأكثر أهمية

■ **هل فوكنر، في رأيك هو الكاتب الأكثر أهمية في أمريكا اللاتينية، هو الكاتب الأكثر تأثيرا؟**

– أعتقد أن هذا الرأي يمكن أن يقال. الكاتب الآخر الوحيد الذي يمكن وضعه في المقارنة، هو همنجواي. ومع ذلك، فإنني لا أعتقد أن همنجواي سيستمر تأثيره مثل فوكنر. وقد أقول أيضاً أن فوكنر هو الكاتب الأكثر أهمية في أوروبا وأمريكا اللاتينية خلال الأربعين أو الخمسين سنة الماضية.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 110 9/5/11 9:28:20 AM

■ **وماذا عن بيرو على وجه التحديد؟ لقد وثّقت بنفسك تأثير فوكنر في كولومبيا. هل كان له نفس التأثير في بيرو؟**

– في بيرو، كان شديد الأهمية بالنسبة لجيلي. كتب "كارلوس زافليتا"، على سبيل المثال، أطروحته عن فوكنر. ترجمت "The Marble Faun"، ونشرت في بيرو. حتى الكاتب آرجيداس الأقل تأثراً بفوكنر عن الغالبية، لديه آثار من فوكنر. ومع ذلك، يظلّ البلدين اللذين بدا ظل فوكنر فيهما أكثر حضوراً من غيرهما، هما أرجواي والأرجنتين.

■ **غالبا ما يقول الكتاب الكولومبيون أنهم قرأوا فوكنر لأنّهم ينتمون للعالم الخيالي لبلدة "يوكناباتاوافا". هل تعتقد أن البيرويين قرأوه أيضاً لأنّ منطقة المسيسبي تشبه بيرو بشكل ما؟**

– نعم، هذا عامل مهم. يتشابه به المجتمعان لأنّ كلاً منهما لديه حضارتان أساسيتان: تلك الخاصة بالقاهر والأخرى الخاصة بالمقهور، اللذين يشتبكان دائماً، ويخلقان توتراً باستمرار. وهو ما يصعب التعايش معه. كما أن حضور الماضي يعتبر أيضاً قاسياً جداً في أمريكا اللاتينية وفي جنوب فوكنر. إنها ظاهرة، للمثال، ليست لها وجود في الجزء الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية. يعتبر فوكنر عالماً تقليدياً، تماماً مثل المجتمع البيروي أو الكولومبي. إن التقسيم الطبقي هو أمريكي لاتيني كليّة. وقد ابتكر فوكنر أداة تقنة لمنح حياة لهذا العالم. كان هذا الابتكار شديد الأهمية لنا نحن كتاب أمريكا اللاتينية الذين كانا نبحث عن وسيلة للقيام بنفس الشيء. أنت تحتاج إلى نوع من البساطة، مطابق تماما لهذه المجتمعات، كي تجرؤ على محاولة أن

● "قرأت ترجمته الممتازة لرواية "المحراب" مع مقدمة لأندريه مارلو، فاستوقفتني فجأة عبقرية فوكنر. وأعتقد أنني اكتشفت عندئذ فقط أهمية الشكل في الأدب!"

● "قراءة فوكنر فتحت عيني إلى اكتشاف الشكل. وكم كنت مستثاراً بسبب تلك الفكرة. كما منحني فوكنر اقتناعا راسخاً بأن الشكل ينبغي أن يكون دائماً مرتبطاً بقصة لا يمكن تجاهلها!"

● "أعتقد أن الرواية ينبغي أن تتضمن دائماً تجربة بشرية!"

تصبح بلزاك القرن العشرين. وكان هذا شديد الأهمية لكثير من كتاب أمريكا اللاتينية.

رواية ضعيفة

■ **أودّ الانتقال إلى بعض نصوص محددة. ما هي الرواية الأكثر أهمية بالنسبة لك؟**

– "النور في أغسطس"، ربّما تكون هي الرواية التي أفضلها. ومع ذلك أعتقد أن تناول كلّ أعمال فوكنر أفضل من أي عمل يؤخذ بمفرده. للمثال، فإن رواية ضعيفة، مثل "البعوض" تصبح أكثر إثارة للاهتمام عندما ينظر إليها في سياق مجمل أعماله. حاول فوكنر الشاب في "البعوض" أن يكون مثقفاً، بدلاً من المبدع، كي يكتب مزيداً من أفكاره بدلاً من ترك فطرته تعمل. وقد فشل، وأعتقد أن فشله كان مفيداً جداً بالنسبة

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 111 9/5/11 9:28:20 AM

● "ابتكر فوكنر أداة تقنية لمنح حياة لهذا العالم. كان هذا الابتكار شديد الأهمية لنا نحن كتاب أمريكا اللاتينية الذين كنا نبحث عن وسيلة للقيام بنفس الشيء!"
● "النور في أغسطس"، ربّما تكون هي الرواية التي أفضلها!"
● "أحبّ بشدة كتاب "الصخب والعنف"، على الرغم من أنه ليس تحفة أدبية!"

له: فقد تعلم أن عليه أن يعود إلى أرضه الخاصة. ربما كانت منطقة أكسفورد نوعاً من السجن بالنسبة إليه، لكن البقاء في أكسفورد، هو المكان الذي يدفعه إلى كتابة روائعه. كان هذا الأمر كله مثيراً للاهتمام بالنسبة لي.

■ **بسبب مَنْ شعرتَ بالتماثل؟**

– من بعض النواحي. أحيانا أكره بيرو، لكنني أعرف أنه حتى على الرغم من أنني أكرهها، فإنني أحتاج إلى هذا البلد، وهو ما شعرت به حين كنت في أوروبا. عرفت أنني لو لم أعد إلى بيرو، سأكون قد انتهيت. على عكس كتاب آخرين – مثل كورتاثار – فان بيرو تحفزني حتى مع كل مشاكلها.

■ **لم تقل كثيراً حول رواية هامة مثل "الصخب والعنف"**

– إنه الكتاب الذي أحبّه بشدة، على الرغم من أنه ليس تحفة أدبية. هنا، ينكسر التوازن بين الشكل والمضمون. من وقت الى آخر يسود الشكل على ما تم سرده. لا تشبه "الصخب والعنف" رواية "النور في أغسطس". يقترب فوكنر من مخاطر جويس، الذي هزمه الانغماس في الشكل.

عقل أحمق

■ **لكن شيئاً من قبيل جزء "بنجي" في تلك الرواية لابد أن يكون شديد التأثير بالنسبة لكاتب شاب.**

– حسنا، انّ من المؤثر جداً اكتشاف أنك تدخل إلى عقل أحمق. لقد كنت مشوشاً ومستثاراً في المرّة الأولى لقراءتها. لكنني أعتقد أن فوكنر قد تمادى في التوجّه الشكلي.

■ **هل كانت رواية "بينما أرقد أحتضر" أكثر نجاحاً؟**

– بالتأكيد. هنا شكل ينسجم مع القصة.

■ **معروف ما قلته في اعترافاتك الصريحة حول ما يجذبك كقارئ – العنف والجنس اللذين ذكرتهما في كتاب مدام بوفاري – لذلك أعتقد أن تكون رواية "المحراب" واحدة من روايات فوكنر العزيزة لديك؟**

– لقد دخلت فعلاً إلى هذا الكتاب متأخراً نسبياً. وقد قرأت النسخة الأصلية بالانجليزية، وأحببتها.

■ **لاحظت بعض أوجه التشابه بين قصة فوكنر "وردة لاميلي" مع بعض قصصك المبكرة بما تحتويه من ترويع ونهاية صارمة. هل تعتقد أنّ تلك القصة كانت نوعاً من نموذج للشاب الناضج فارجاس يوسا وهو يكتب قصصه الأولى؟**

– أعتقد أنها كانت نوعاً من نموذج. لقد قرأتها مراراً وتكراراً، وكنت أنبهر في كل مرة بتركيزها الاستثنائي، وتأليفها

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 112 9/5/11 9:28:21 AM

الشديد الاتساع المركز في عدة صفحات. كم كان من الصعوبة بمكان سرد مثل هذه الميلودراما الرهيبة في عدة صفحات. لكن جرى سردها بأسلوب غير مباشر لدرجة أنك ما إن تكتشف فعلاً حقيقة ما حدث، يكون ذلك بعد فوات الأوان. إنها إحدى روائع وليام فوكنر. إن ما يدهشني في تلك القصة، إنها ليست فقط قصة جريمة مرتكبة بواسطة السيدة اميلي الجميلة، لكنها في نفس الوقت تمثل كلّ تاريخ البلدة التي عاشت فيها السيدة قصة حبها وزواجها المروع مع جثة حبيبها. وفعلاً ترى الوقت في النص ينقضي حرفياً وينمو سكان القرية الصغيرة وتتزايد أعمارهم. كما أن خلفية القصة – كما هو الحال في أغلب أعمال فوكنر – لها نفس أهمية القصة نفسها.

■ **هل تعتقد أنك كنت تستطيع كتابة رواياتك المبكرة: "زمن البطل"، "البيت الأخضر"، و"مقابلة في الكاتدرائية"، لو لم تكن قد قرأت فوكنر؟**

– أشك في ذلك كثيراً. فلو لم أكن قرأت فوكنر لم أكن أستطيع كتابتها، أو على الأقل لم أكن أستطيع كتابتها بالشكل الذي تمت به. وكما ذكرت آنفاً، كان فوكنر هو أول كاتب أقرأه بقلم في يدي وورقة إلى جانبي.

■ **هل تعتقد ان تقديمك لشخصية "بوا" في رواية "زمن البطل" كان لها مصدرها الخاص من شخصية "بنجي" في رواية "الصخب والعنف"؟**

– هذا ممكن تماماً. على الأقل حقيقة، إنني قررت أن أقدم إحدى الشخصيات باتساق من الداخل: من خلال عقله،

● "حاول فوكنر الشاب في "البعوض" أن يكون مثقفاً، بدلاً من المبدع، كي يكتب مزيداً من أفكاره بدلاً من ترك فطرته تعمل!"

● "أحياناً أكره بيرو، لكنني أعرف أنه حتى على الرغم من أنني أكرهها، فإنني أحتاج إلى هذا البلد، وهو ما شعرت به حين كنت في أوروبا!"

شهواته، وغرائزه. وربما أكون قد فعلت ذلك بتلك الطريقة لأنني قرأت تقديم شخصية مثل "بنجي".

لغة ملحمية

■ **والآن ماذا عن مقاطع "بيورا" في رواية "البيت الأخضر"؟ هل تعتقد أن ذلك الأسلوب المختلف يمكن أن يعزى إلى فوكنر أيضاً؟**

– أعتقد أن ذلك جاء من مصادر مختلفة. أحد هذه المصادر أن روايات الفروسية تلك هي أيضا سينمائية. كما أمكنني أن أستخدم عمداً لغة ملحمية في تلك المقاطع. لقد أردت في هذا الجزء من رواية "البيت الأخضر" أن أنأى عن القارئ. إنها ترد إلى القارئ من خلال وسيط هو البلدة. أعتقد أن من حقي أن أطلق عناني هنا.

■ **هل تعتقد أنك قد استنفدت فوكنر بانتهائك من رواية "مقابلة في الكاتدرائية"؟**

– لقد اكتشفت ذلك في وقت لاحق، فأنا

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 113 9/5/11 9:28:21 AM

- **"قرأت قصة "وردة لاميلي" مراراً وتكراراً، وكنت أنبهر في كل مرة بتركيزها الاستثنائي، وتأليفها الشديد الاتساع المركز في عدة صفحات!"**
- **"اذاً لو لم أكن قرأت فوكنر لم أكن أستطيع كتابة رواياتي المبكرة الثلاث، أو على الأقل لم أكن أستطيع كتابتها بالشكل الذي تمت به!"**
- **"يمكن للوضوح أن يكون أفضل من الصعوبة، ويساعد في نفس الوقت على سرد قصة جديرة بالاهتمام!"**

أعتقد أنني عندما أنجزت "مقابلة في الكاتدرائية" كنت قد وصلت إلى نقطة اكتشفت عندها أنّ الخفاء هدف مرغوب أكثر مما كان عليه الأمر من قبل.

■ **لم تعد، إذن، مهتماً بالشكل أكثر من ذلك؟**

– لم أعد مهتماً أكثر من ذلك بهدف وضوح الشكل في ذاته. الآن أعرف أن الوضوح يمكن أن يكون أفضل من الصعوبة، وفي نفس الوقت يساعد على سرد قصة جديرة بالاهتمام. كان ذلك درساً تعلمته من واقع الخبرة، ربما مقارنة بالحاجة الى علاقة غرامية خاطئة من أجل أن تكون قادراً على تقدير زواج جيد.

كاتب حاد

■ **لقد أصررت كثيراً على فوكنر اليوم لأسباب واضحة. ماذا عن الكتاب الآخرين؟ هل هناك أي كتاب آخرين كانوا مهمين بالنسبة لك؟**

– لقد قرأت بإعجاب هائل "بو" أيضاً. وكل الجيل الضائع: "همنجواي"، "دوس باسوس"، "كالدويل"، و"شتاينبك". كم أعدت قراءة "هوثورن" مع مجموعة من الأصدقاء في الستينات. لكني كنت غير صبور دائماً مع "هنري جيمس". كما قرأت كتب "كابوت" المبكرة بسرور بالغ. وكنت مندهشاً دائماً من أن "بول بوولز" لم يكن معروفاً أكثر. لقد كتب عدداً من قصص أعتبرها بالغة الجودة. وأحب "كارسون ماكلر" فهو كاتب حاد الذهن بشدة، رقيق، شديد الحساسية لعنف العلاقات الإنسانية. كما قرأت مرة للناقد "ادموند ويلسون" بهوى عظيم. أعتقد أن مقالته "محطة إلى فنلاند" تعتبر مثل رواية عظيمة. كم كنت معجباً بـ"ادموند ويلسون" في منتصف الستينات لدرجة أنني ذهبت إلى المتحف البريطاني يوميا لمدة ستة أشهر كي أقرأه.

■ **أود أن أختتم اللقاء بسؤال حول فوكنر. هل تتذكر ردّ فعلك عند سماع نبأ موته؟**

– نعم، كنت في لندن وقرأت الخبر في جريدة "ذا تايمز". قرأت هناك ذات صباح أنه مات. ومنذ ذلك الصباح فصاعدا كم رغبت دائما في أن آتي الى الجنوب كي أزور قبره في أكسفورد. وكما قلت سابقا، فقد كانت تجربة رائعة.

■ **أجرى هذا الحوار وليامز ريمون ليزلي، بقسم اللغات الرومانسية والآداب بجامعة واشنطون، والحوار منشور على موقع الكلية في "النت".**

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 114 9/5/11 9:28:22 AM

قصة

عندما يورق الشوق

إسماعيل فهد إسماعيل (من تاريخ البيان)

المطر يموت متسولاً

عبد الله خليفة

اللهاث الأول

إبتسام إبراهيم تريسي

الحُلم

حسنى نديم

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 115 9/5/11 9:28:23 AM

عندما يورق الشوق

بقلم :إسماعيل فهد إسماعيل*

لعقت شفتها بلسانها.

"هنا كان!"

ودفق في صدرها إحساس غامض.

"كنت أقف أمام هذه المرآة. وكان خلفي المزهرية

التي ضربني بها شرخت الجزء الأسفل من المرآة

هو خلفي وتمتد يداه .. تمتد.."

– ماما!

فاستدارت ناحية ابنتها.

"عندما كانت في الرابعة كانت تصر على أن تتعلق برجليه.."

– بابا سأل عنك.

تتحرك ذراعها في الهواء راسمة دفاعاً صادراً عن لا وعي.

– أين هو؟.

– "راح".

اللهفة تشوب صوت الأم:

– إلى أين؟!

– السوق.

– ليذهب إلى أي مكان. هو كذب عليها. أرادت أن تتعلق به .. " سأعود بعد قليل".. لكنه لا يعود.

لا يريد إعادة القيد إلى رقبته.

وتكاد تعض شفتها.

"صورته تحفر مكاناً في رأسي!"

– أبي قال.. " سأعود بعد قليل.. أريد شاياً من صنع يديك".

تضحك الطفلة وتستطرد:

– يحسبني أحسن صنع الشاي؟!

---

* قاص وكاتب من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 116 9/5/11 9:28:24 AM

"الشيطان!"

وتسارع لخنق ما تهمس به لنفسها.

"لا أستطيع شتمه رغم ادانتي إياه!"

ويرتج صوته داخل رأسها تغلفه شرنقة من الغموض والإبهام:

-" قررت بيع نفسي لنفسي.."

"كان ذلك قبل أربع سنوات.. لازلت أذكر ما قاله.....:

- "منذ سنة وأنا أعيش على أعصابي.. تصوري أن يتناول الإنسان أعصابه ضمن ثلاث وجبات يومياً..

- ....

- "لا أستطيع احتمال طيبتك وبساطتك أكثر مما احتملت- كما لا أستطيع أن أناقض نفسي ومشاعري بتصرفات مفتعلة. آن لي أن أنفصل عما يربطني بالآخرين.

- ...

"كدت أنسى ما أجبته به.. أظني أغضبته.

اذكر أنه .....:

- "لا فائدة من تعلقك بي. أنا أحبك وأحب ابنتنا أيضاً. بيد إني لا أدري ما الذي حدث لي؟!

- "لعلك لم تجربي إحساساً مثل هذا.. هو إحساس غريب. التمزق يحز في نفسي متلبساً صورة المسؤولية التي يجب أن أنوء بحملها تجاه الآخرين...

-...

- لك الحق أن تقولي مجنون.. أظن نفسي كذلك.. وأنت لا تفهمين!.. أحس بنفسي مستعبداً .. أحس بحبك يستنزف إنسانيتي.. أنت.. أنتم تعطونني دائماً دون أن أحس بحاجة للأخذ.. لا أريد عطاء من الآخرين أكثر من اعطائي لهم..

- ...

- "أعرف بأنك لا تفهمين .. ولهذا السبب أحدثك بطلاقة- لست وحدك من لا يفهمني...

- ...

- "بدأت اضيق بكلمة مجنون.. لا تدفعيني لاحتقارك!.

-...

- " لا .. أنا لم أحتقرك بعد.. سأنتشل إنسانيتي قبل بلوغي هذه المرحلة . يجب أن تحتفظ ابنتنا بأم لا تسام بالاحتقار من ..

- ...

- " ليست ابنتي!.. لا بأس.. هي قيد أيضاً..

"كان حديثه!!".

تمتمت مع نفسها. وانفجر في داخلها سؤال:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 117 9/5/11 9:28:24 AM

– لماذا؟؟

لكنها تصطدم بصمت سنوات أربع.

"هو هناك!".

تمتزج " هو" في "هناك" بصورة عجيبة. العالم الذي يجب أن تسارع بالذهاب إليه.. هناك.

الرغبة الملائكية المغمسة بالشوق العارم إلى "الرجل السوق".. إلى المزهرية التي شرخت الجزء الأسفل من المرآة.. تشدها إلى ... هناك.

"علية اللعنة!.. يتعمد أن يلتقي بابنته أكثر من مرة في الأسبوع. يختلس النظر من بعيد البعيد. ترى لو أنه فكر.. "لم لا أتعمد اللقاء بها؟".. لو أنه فعل فما الذي منعه من المسارعة؟!.. كرامته؟..

هو لا يعترف بالكرامات الزائفة. وجولته؟.. تلك سخافة.. ماذا إذا ؟! .. لعلي لازلت ذلك القيد الذي ألقاه من رقبته.."

وتململت قدماها.

"ماذا لو أنه الليلة.. الليلة.."

تم بلعن نسها.

"أحبه لا زال زوجي.. لن أحتمل ظلام هذه الليلة وهو في السوق!"

صوته المبهم يشدها إليه:

– "أنت مجنونة!!.. يجب أن توافقيني على قرار الطلاق. أنت أصغر من أن تكرسي حياتك بأمل أن يعود إنسان شاذ إلى رشده!!".

وتتساءل:

"لماذا يتضاعف حبنا للذين ليس بمقدورهم أن يمنحونا حبهم؟!. هو رغم كل الذي فعله لم يستطع أن يحول حبي له إلى مقت. ظل مؤطراً بإنسانيته. وبقي مواظباً على إبلاغ تحياته لي بطريقة ودية غير مباشرة.

تصلني تحيته – التي قد لا تخلو من سخرية حاملها– بذرة صغيرة لأمل أصغر. أحتضنها بوجل بادئ الأمر.. لكن الأمل سرعان ما يزدهر في الليل، وتورق شجرة الشوق، فيضيق الليل بي.. المسافة قصيرة إلى السوق.. الكلمة يمكن أن تقال.. الكرامة الزائفة يمكن التغاضي عنها.."

فراغ حلو.. ممتلىء بالشوق المجنون يتفجر ضمن جميع أجزاء جسدها.

"سأسعى لاستعباده.. سأغلف علاقتي به بشيء قد ينسجم وشذوذه. سأستغنى عن كرامتي.. سأعامله كما لا يجب أن أعامل نفسي.

– ماما .. أين نذهب؟

ابتسامة متحدية ترتسم على فم الأمم وهي تمد يدها – أثناء سيرها – لتمسك باليد الصغيرة.

– إلى السوق.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 118 9/5/11 9:28:25 AM

المطرُ يموتُ متسولاً

بقلم: عبدالله خليفة*

البناياتُ هائلةٌ تمتدُ إلى السماءِ الغائمةِ الحارةِ سيوفاً من القبائل الراقدة. مكعباتٌ من الزجاجِ والحديد ، كائناتٌ متجهمةٌ مغلقة ، نوافذُ صغيرةٌ لا تَسمحُ للعصافير والحمامِ بالدخولِ والتبييض، أجهزةُ المكيفاتِ الصدئةِ تنتأُ من الجدران ، يحطُ عليها يمامٌ قذرٌ يطيرُ بجنونٍ في المساحات المحدودة بين العمارات.

السيارةُ تأخذهُ ، يقودها أجنبيٌّ شبهُ أخرس ، المدينةُ قنفذٌ هائلٌ من العمارات . حجزَ من بلدهِ عبرَ الهاتف ، أرقامٌ كثيرةٌ تحولتْ ، أصواتٌ عديدةٌ غيرُ مفهومةٍ انفجرتْ حتى استقرَ قربَ سطحِ فندقٍ من الدرجة الثالثة ، بصعوبةٍ استطاعَ أن يقبضَ على أسنانِ لغة الضاد ، وأن ينسابَ بين الحواشي المحترقةِ والكائناتِ الحجريةِ المهدمةِ والصاعدة والأنقاض والغبار الكثيف وغابة الوجوه الغريبة.

الفندقُ القزمُ بين العمالقةِ أخرجَ مناديلَهُ السحريةَ واحتواهُ ، ثم طواهُ في ممراتهِ المعتمة، ووضعهُ في غرفةٍ تطلُ على غابةٍ من البناياتِ المتلصصةِ على وحدته.

الوحشةُ أكبرُ أعدائه . الشارعُ الحارُ وألوانُ البشرِ المحروقةِ بالأسعار ، والمطباتُ الهوائية والخنادقُ المحفورة لالتهام مزيدٍ من العظام ، والجرائد الخاوية إلا من المذابح وسهرات القُبلِ المطاطية ، تحاصرهُ بغربةٍ كاوية.

يخافَ أن يقتربَ من الحاناتِ في الصباحِ الباكر ، أجنحتهُ تحترقُ وهو في الصالةِ الصغيرةِ للفندق ، ينحني ليلتقط أسياخاً ، ثمة صحفٌ مخنوقةٌ بين قضبانٍ حديدية يبحثُ فيها عن صديقهِ الشاعر . كلُ سيخٍ ممتلئ بورقٍ كثيف فارغ.

سيف الرجلُ الذي ملأ الدنيا وشغلَ الناس ، لا عنوان له ، الثائر المُطَّارد في الجبال ، ذو اللحية الكثة ، الصارخُ في الصفحات الأولى ، الذي احتفظ بعمامةِ الحجاج ، ذاب في النثر اليومي.

---

* كاتب وقاص من البحرين

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 119 9/5/11 9:28:26 AM

الأرقامُ هي التي تتكلمُ ، الأصدقاءُ القدامى الندامى ، كبروا وتواروا ، كانوا لغات البراءة ، صراخاتُ الطفولةِ المتدفقةِ بين الأوجار ، هنا في دفترهِ الكثيف بالورقِ المهلهل حبراً ، الذائبِ من لعابِ السنين ، هنا تتحشرجُ أرقامُهم ، في خطوطٍ تشقلبُ بها الزمانُ ، يرفعُ السماعات مراراً ، لغاتٍ أجنبية ، حتى بدأ يعثرُ على الطرقِ الصحراويةِ العربية الضارية:

- أهذا هاتفُ مطر؟

- لا! أَمَطرٌ في هذا القيظ؟

- آسف، لقد أخطأتُ في الاسم أسألُ عن أحمد عمران.

- ....

توقف عند راوي الشاعر أحمد عمران ، جاءهُ صوتهُ من الغمام ، هادئاً فيه جمالُ السنينِ الماضياتِ ، حين جمعتهم عواصفُ البيرة والرغوةِ والفنادقِ العابرةِ واللوبياتِ الثائرةِ ، في كلِ بلدٍ لهم ضجةٌ وصحبةٌ وهجمةٌ ، وأحمدٌ نديمُ الشاعر سيف، محارةٌ وسطَ تلك الزوبعة ، يشربُ ويشربُ ويدخن ، محتفظاً بوجهه الصغير الأسمر ، الذي لم يخطُ شَعراً ، لكنه عادة ينفجرُ في مكانٍ ما من سيرِ القافلة السكرى في طعوسِ الكلامِ والختانِ والحفرِ عن الماءِ الزلال، يلمعُ بقوةٍ تاركاً صدىً غريباً وجذوراً محروقةً وسكاكينَ مضيئة.

الآن يعثرُ عليه وسطَ وسطٍ تجاري عارم . احتضانٌ مروع ، ذلك الفتى ، هذا الرجل ، برقانِ من الزمانِ غيرِ المكتملِ ، ازدادَ هدواً قريباً من الصمتِ المروع ، والتواضع الجم ، تجمعهما القهوة غير المستحبة عند خيمة الظهيرة ، ودارتْ أسئلةُ الأخبار وتتبعتْ المناجلُ مصائرَ الرفاق ، ظهر بدايةً شبح الذي تهاوى من السيارة خوفاً من جِمال الصحراء المندفعة بشراسة نحو الحديد ، ثم الذي اختطفتهُ التجارة ، والذي صار جزءاً من الإمارة ، والمريض النفسي الذي صار طبيباً ثم انتحر، وتراكضتْ الأنصالُ والأشباحُ حتى توقفتْ الأسئلةُ خوفاً . أحمد الخافت الآن يذكرُ يومياتهِ المتواضعةَ ؛ الأسرة الصغيرة ، ومشاغل الأولاد ، وسرقة دقائق في جوف الليل والوزارة ليخطو على البياض الجميل ، يكتبُ عن أوجاع المقاهي وانتشار السرطان المريع.

قال:

- جئتُ من أجلِ سيف!

حدقَ فيه بدهشةٍ:

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 120 9/5/11 9:28:26 AM

– سيف؟! الآن؟ ماذا تريدُ منه؟!

– غرضٌ قديم.

– أي غرضٍ؟ حددْ بدقة؟!

– مسألةٌ صارتْ لها سنوات ، تلكأتُ في تنفيذها.

– تكلم بدقة يا سند!؟

– ماذا بك؟! لماذا انفجرتَ بهذه الصورة؟ هل ارتكبتُ . . جريمةً؟!

– أنت تتكلمُ بالألغاز ولم تعدْ الأمورُ تحتملُ إلا الوضوح الصارم!

ثياتُ ثوبهِ استعادتْ وضعَها المستقيم ، وجهه بدا كعمارةٍ طوليةٍ صارمة ، شعرهُ وقفَ كغابةِ دبابيس وكادتْ أن تطيحَ بالعقال.

– هل يمكن أن أحصلَ على رقمِ سيف أو أن نذهب إليه معاً؟

– إذا حددتَ المهمةَ يمكنني أن أتصلَ به وأستأذنه ، لم يعدْ من السهل مقابلته!

– له بعض الشعر الآن لكن . .

لم يكن لدى أحمد وقت له ، فراحَ يتدلى في أشداقِ الفندقِ الذي صارَ حوتاً . من بين أسنانه الكبيرةِ شربَ ولم يتحدثْ بلغاتٍ لا يعرفها . ورقصتْ الفتياتُ الهنديات بروعةٍ شعبيةٍ مُباعةٍ لكن الضجيجَ كان يضربُ القاعةَ شبهَ العاريةِ بقوةٍ رهيبة.

ترنحَ على الفراش ، أطبقتْ الغرفةُ الضيقةُ على ضلوعهِ النثرية الهاربة ، جاءتهُ صرخةُ سيف: أنا مطرٌ ماذا تريد؟ امتدتْ يدَهُ نحو الزجاج ، ووجد نفسه يتدلى من فوق البناية العالية!

مطرٌ ، مطرٌ . . في الغيمِ الواقفِ فوق السواعدِ مطرٌ ، في الجلسةِ العربيةِ المضريةِ في الفندق تتدفقُ المشروباتُ على حسابِ سيف ، ثلةٌ من الشاربين الفرحين ، مطرٌ مطرٌ ، مجلةٌ مفتوحةٌ للكلمات اسمها (مطر) ، تنتشرُ في كلِ مكان ، تحملُ عواصفَ الشعر ، تعري المدنَ الكبرى ، وعملَ النساءِ الخفي في البيوت الكبيرة ، وتُظهرُ العمولاتُ والاختناقاتُ والزواحف والأرجلُ المعلقةُ والرقابُ المكسورة ، وتُوقفُ المجلةُ في مطارٍ هنا ، وفي مكتباتٍ هناك ، وإعلانات الكتب والأبحاث تتوقف ، مطرٌ مطرٌ ، كان هو مندوبُ المجلةِ في بلده ، استكتبَ العديدَ من الكُتاب ، حالما يتحدثُ معهم يتحمسون وتتدفقُ الحروفُ ، مطرٌ مطرٌ ، ويرسلُها ، ويصحح ، ويجلسُ مطولاً مع موهبين صغار ، وتغدو (مطر) دائرةً من الطمي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 121 9/5/11 9:28:27 AM

السائر نحو المحابرِ والشفاهِ ، هنا تعرياتٌ للسرقاتِ وفضائحُ خانقي الأرواح ، ويأتي المراقبون إلى شقتهِ يعيثونَ فساداً في أوراقهِ ، ويضعونهُ وراء السور ، ومطرٌ تضعهُ على الغلاف ، يرى النهرَ يمشي وجثَ المقاتلين تطفو ، والخنادقَ التي أسروا فيها المزارعين وحولوهم إلى قططٍ متوحشةٍ تلبسُ أرديةَ الطينِ تحلقُ ملاحمَ ، ومطرُ الرصاصِ والكيمياءِ يتدفقُ عليهم ، وينسلُ الماءُ من القرى ، وينتشرُ الرمادُ في المدن ، مطرٌ مطرٌ ، لا تتوقفُ قبضاتُنا ، سنمشي في ضبابِ الأزقةِ ، يظهرُ الصبيةُ الصغارُ يحولون الطائرات إلى مطر ، ولا يقبضُ شيئاً لخبزهِ ، وينتظرُ ويصبرُ ، والمستأجرون يدقون جبهتَهُ بقبضاتهم الثقيلة ، ويستلفُ من النهرِ ومن الشجرِ الرابضِ بلا ثمرٍ ولا سعفٍ ، والحبيبةُ التي ذابتْ في شراشفهِ مَرضتْ وتبخرتْ مثل ضبابَ الصباح ، يتساءلُ: ماذا حدث؟ يأتيه صوتُ سيف: ملاحقاتٌ ، هجماتٌ ، محاكماتٌ ، والدمُ يتسربُ ، والكُتابُ يَسألون عن الدراهم ، وتتوقفُ الحروفُ والمطابعُ والأنينُ والصراخُ حسبَ المعدن المنسحب من العروق ، أفواهٌ تتحدثُ بأعذارٍ شتى ؛ (لم تُخرجْ قصيدتي بشكلٍ لائق) ، (هناك أخطاءٌ مطبعيةٌ كارثيةٌ في مقالتي) ، (كيف تسمحون لأنفسكم بتشويهي؟!) (بصراحةٍ أنتم لا تدفعون!).

ويداهُ تتخللان الموجَ المعاديَّ والمحارُ يتحولُ لأنصالٍ ، أصابعهُ تقتربُ من سيف وهو بين تلالٍ من الورقِ المشتعل والممزق والمُكَّهرب بين الجدران والشوارع ، لا تكاد شفتا سند تتدحرجان على أسفلتِ الكلام ، والدخان ، والسعال ، يخافُ أن يسألَهُ عن الحسابات ، وهو يكاد أن يلتقطَ دمَهُ في الأسلاك ، وفي تطايرِ الحروف ، يخبره سيفٌ إنهُ سيذهبُ للمؤتمر ، يصرخُ فيه: كيف تذهب لهؤلاء؟ أنت أدنتهم وعريتَ ساحتهم ، وتمضي بنفسك ، يكادُ يترنح ، ويطالعُ العملاتِ الحقيقيةَ والمزيفةَ وهي تلعبُ بقمار روحهِ ، يتوقف ، وضرباتُ المؤجرين تقتحمُ عظامَ رأسه ، والشعراءُ الصغارُ الذين احترقتْ أعشاشُهم في المقهى يطلون في ورقهِ ويعجزُ عن حلِ كلماتهم المتقاطعة ، ويكتشفُ فروقَ الحبر ونزولَ المطرِ بغبارِ الصحارى وزيتها، وانتظرَ وانتظرَ مُراقباً الشاشات ، يحدقُ في التلفزيون الوطني الأسود ، يرى سَيفاً وهو يدخلُ القاعةَ الكبرى ويصافحُ كائناتِ السيركِ العربي ، يقبلُ أظافرَها ، ويوقعُ على مخالبها!

انتظرْ انتظرْ! علَّ شتاءً جميلاً يأتي ، علَّ (مطر) ترتعشُ بالسحبِ والعواصفِ والبروقِ مرةً أخرى ، إنها تجرجرُ قدميها بين الورقِ ، تتسولُ وتتبرجُ وتتنزلُ للعطاء قرب الأسوار والدواوين ، ويسمع صرخات أعطيناك ألفَ..!

ويتقلبُ في فراشهِ وهو يرى نفسَهُ يسيرُ في الدهناء ببعيرهِ ، وراءه فراخُ الأطفالِ

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 122 9/5/11 9:28:27 AM

تجأرُ بصرخاتِ الجوع ، يشدُ الصغارُ لحيتَهُ وهو يقبضُ على ضميرهِ ويضعهُ في برميلِ القمامة ، ويطلقُ أساريرَهُ البلاستيكيةَ المطاطيةَ في الديوانِ ويفجرُ الكلمات بالوناتٍ من الحمم المنطفئة. وسيف يصححُ الكلماتِ الهرمةَ التي تساقطتْ أسنانُها في فناجين القهوةَ ، يرقصُ في المجلةِ بين الإعلاناتِ الملونةِ وقد أزالَ لحيتَهُ وشحمَهُ وعـرّضَ نفسَهُ لتخسيسٍ قاس ، ودُعـي لأكثر من مهرجان ، ويمشي متبختراً بين الحسناوات وسحب العطور والبخور السام.

يصرخُ في سيف: ابعثْ شيئاً لهؤلاء العفاريتِ التي تنتحرُ واحداً بعد آخر ، في كلِ أزمةٍ ينكسرُ قلمٌ ويتحولُ الدجاجُ إلى ناطقٍ رسمي للبيان العربي.

سيفٌ غارقٌ في السَكرِ وعناقِ الحسناواتِ والسفرِ والاستعراض في المهرجاناتِ ، ومصارينُ الشعراءِ تتقطعُ من الفولِ والخبزِ اليابس ، والدخانُ يلوثُ المدنَ ، والمقاهي الجميلةُ المفتوحةُ على المطر والخطر والضباب والنهر تصيرُ محلات ألعاب وشيشٌ تشقُ الجماجمَ بأسياخِ الدخان ، والصرخاتُ تغدو أناشيدَ مُنظَّمة مظلمةً ، والنهرُ الذي كانوا يربتون على أكتافِه مثل الكلاب الوديعة يتمردُ ويطالبُ بحصتهِ من الغنائم.

يتوقفُ عن الإرسالِ والنحيبِ وخداعِ الفتيان بالأسمالِ ، وسيفٌ بعدَ كلِ مدةٍ نافقةٍ يتصل ، ويصرخ أين المواد؟ مطرٌ يموتُ، مطرٌ يتحولُ إلى شحاذٍ يتسولُ الحبرَ ، بل صارتْ منتفخةً مثلَ جثةٍ تُركتْ في الشارعِ للمطر ، وجاءتْ الكلابُ الوحشيةُ تبحثُ عن نصيبها من اللون والعيون ، مطرٌ تتبدلُ ، تغدو فساتينَ وعطوراً وفضائحَ متبلةً ببهاراتِ العضِ وأكل اللحم الحي ، ويرى أصابعَهُ المنسحبةَ مقطعةً ولا تزالُ تنزفُ بين ورقِها ، يظهرُ اسمهُ خطأً ، ويُشنقُ على عمودٍ ، وهو يجري راكضاً في الصحراء والناقةُ تهربُ للقصر ، مطرٌ مطرٌ أسود.

الفتيةُ على المقهى كبروا ووصلوا لورقٍ جديد ، خرجَ لهم من وراءِ السور والمطابعِ الصدئةِ ومن قبضاتِ النهار ، يرونه نصوصَهم ، فيفرغُ عليها عشاءَه ، يصرخُ ملتاعاً.

اكتشفَ في رحلتهِ سيفاً بنفسه . مكتبٌ فرعي لجريدةٍ تائهةٍ بين الأدغال الحجرية . ظلماتٌ تعقبُها ظلمات . عربٌ تائهون من بلدانهم ، ببنطلوناتهم وقمصانهم المكوية بالحر والغربة. أصابعُهم اللطيفة المسودة تقوده إلى سيف في مكتبهِ يحبرُ الأخبارَ المحليةَ البائتة.

كان قد استبشرَ شراً . وهو سقطَ على المقعد . مسافةٌ قصيرةٌ وحرٌ لطيفٌ لكن صدرَهُ أُصيبَ بدوي غامض . سيف يبتسمُ له ، نحفَ ولم يفقدْ كثيراً من وسامته ، لكنه بدا غير أسمر الجبال بدا كأشقر وزاهي الجلد كأنه احترقَ وكُشط شَعر جسمه.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 123 9/5/11 9:28:28 AM

كان حميمياً، اقترب منه، ضحكَ معه، به دهشةٌ خفيةٌ غريبةٌ كبيرةٌ تطشُ في زيتهِ المقلي ، ثم انفجر في تساؤله:

– ماذا لديك لي؟

– . . . .

– تقطع كل هذه المسافة ، وبهذه التكاليف ، لكي تراني؟

– ألا تستحق تلك الرفقة . . زيارة؟!

– الله يطولُ عمركَ ويخليك!

في الزمنِ المعتقِ في زجاجته، كانت اتصالاتهُ عبر خطوط النايلون والنار تتفجر ، وفي شقتهِ تدوي ، تمشي تماسيحُ اللغةِ على جلده .

يصرخ سيف:

– أبحثُ عن قصيدتي ، إنها ملحمةٌ كاملة!

وينفجرُ الضوء ويطالع الأوراق ، ويصرخ:(سأبحثُ عنها ، لا تقلق!) ، ليستْ الحبيبة الجميلة التي كانت تتغلغلُ في لحيةِ سيفٍ الكثة ، ولا مجلد المجلة الأول ، ولا روايتهُ هو الشخصية التي نشرها مسلسلةً في مطر ، منتوفةَ الأظافرِ ، وجاءتْ صرخاتهُ لسيف: كيف تفعل ذلك؟ بأي حق؟ وسيف هادئ يقول: مشاهدٌ كثيرةٌ خطرة ، عدةُ دولٍ مستاءة من هذا الحفر بالسكاكين ، لا نستطيع أن نفعل ذلك يا سند.

جسدهُ كان يتدحرجُ في براميلِ اللغة من الطابقِ السابع ، يسقطُ بقوةٍ ، ويهتزُ برعبٍ ، ثم يعثرُ على قصيدةِ سيفٍ ويحلقُ بمظلةٍ ويرتفع ، قذيفةٌ قويةٌ للأعلى السبع، لكن فجأة أوراقها تتبعثر مع الأحذية المقتحمة.

بعد زمنٍ معتم ، من وراءِ الأسوار جاء سندٌ لجبلهِ الورقي المبعثر بين أخيه ورفيقه ، جلسوا يفرزون الكتبَ والكراسات والأوراق ويبحثون عن قصيدةِ سيف التائهة ، عن ملحمتهِ النارية .

في رسائلهِ من الغرفِ العارية أشار لأخيه عنها ، في كوابيسهِ كانت تمشي وتدقُ حداءً صحراوياً في رأسهِ ويخرجُ من المفازاتِ والاعتذاراتِ والخيامِ والقصورِ وأسواقِ النقائضِ طيراً في قفص.

يأخذ الهاتفُ سيفاً وسنداً إلى ظهيرة القيامة ، السيارةُ كانت هودجاً آلياً جميلاً

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 124 9/5/11 9:28:28 AM

مريحاً ، وتدفقَ سيفٌ في الهاتف بثرثرةٍ مطولة مع كائناتٍ غائبةٍ مزعجة ، وينظرُ إلى سند باستغرابٍ وكأنه يودُ أن يسأله من هو ، قال سيفٌ إنه أُصيبَ في حادث ، وفقدَ ذاكرتهُ لبضعةِ أشهر ، وحصلَ على مكرمةِ علاج ومساندة أهلية كبيرة ، جعلته يدركُ قيمةَ الوطنِ والقبيلة ، ورن الهاتف مرة أخرى وجاءَ صوتٌ نسائي واندمج في فاصلٍ فكاهي غنائي مرح ، توقف هذا وسند في ضيقٍ متصاعدٍ ، يذكرهُ بطيورِ البنايات المحلقة بوحشة ، وفجأة سأله:

– حتى الآن لم أعرف ما هو القصد من الزيارة؟ هل تريد عملاً؟ أعرفُ أنك تعاني في بلدك ، وأنت شبه مشرد ، لكن بصراحةٍ الأعمال هنا غدت صعبة ، خاصة بعد الأزمة ... وإنقطعَ ثانيةً بالاتصال وصاح فرحاً:

– هذه فرصة جميلة ، فندق . .

وراح يضحك بهستيريا ، واندفعتْ السيارةُ قذيفة في الشارع المفزوع ، وتفجرت الأبواقُ قريبةً من ظهرِ سند ، ولمحَ قطعاً من وجهِ سيف ومن الإشارات الحمراء ، والمارة المفزوعين ، حتى أناخت تحت المظلات وبين الشجر ، ولا يزال الهاتفُ في بصره والشمسُ جالسةٌ على قفاه ، وانفتحتْ أبوابٌ آلية وجاءت فصولُ الربيع والشتاء دفعةً واحدة ، ويُذهل كيف يتمكن سيف من التقاط الكلمات في كل هذا السير والضجيج ، ومن تجنبِ الصحونِ الطائرة والخرافِ النائمة على الأرز ، وإذا بصالةٍ واسعةٍ وزجاج يتكئ على البحر والفضاء ، وثلة مفتوحة الصدور والأكتاف لهما ، والضحك والشرب نوافير هادرة ، وجلسَ سند غريباً منفياً في الضيافة ، والوجوهُ ليست غريبة ، إنها تثرثرُ في الصفحاتِ الأولى ، وتعقدُ الصفقاتِ في اليخوت ، والأعراسَ في القصور ، ومكالماتها لا تتوقف تطيحُ بهدوءٍ وبجزر وأخرجَ سند نسخاً من الديوان الذي طبعه لسيف ، ووضعها بصعوبة على الطاولة المزحومة وصرخات قربه لا تتوقف:

– كلّ يا أخي..

– أنتم أحبابنا أهل ..

– أيش هالقراطيس؟

انتبهوا له فجأة ، تجمعتْ الرؤوسُ والأشمغةُ، وتساؤلُ الأدمغة التائهة تتركز على هذا الشخص الغريب المندس، لا أحَد يتذكر من أحضره واستضافه، وكلٌ منهم يسألُ الآخرَ، وسيوفُ الصرخاتِ والضحكات والاتصالات تتصادمُ في سماءِ الطاولة ، حتى طلبَ كبيرهم

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 125 9/5/11 9:28:28 AM

أن يسكتوا ويتم سؤال الضيف الغريب وتتم إزاحة غابة العلب وأصابع النادلات المحتكات بالإيدي والشرشف والأطباق ، فتركزتْ العيونُ على سند الذي راح يوزعُ نسخَ الديوان على الحضورِ المندهش الذي راح يقرأُ العنوانَ ثم بعضَ الفقرات الشعرية المكثفة المتأججة بالنيران والعفاريت ، لكن النسخةَ التي تاهتْ حتى استقرتْ بين أصابعِ سيف أحدثتْ زلزالاً صغيراً في محيطه، راح يحدقُ في الاسم، ثم يصفعُ الصفحات بسرعة، وظن سند إنه سوف يقفزُ فرحاً ، وابتسمَ ابتسامةً شبه بلهاء فيما كانت رؤوسُ القومِ تصطدمُ في مدٍ سونامي ، صرخ سيف:

– ما هذا؟ لماذا تضع اسمي فوق هذا الكلام؟

كان قد أدخل أكلاً في فمه ، وراحَ يمضغُ بصعوبة ، ويصبُ سائلاً ، وتابع:

– من أنت؟ أي كلام . .

عيونهُ على السطور ، شراراتٌ تتشكلُ في وجهه ، يتذكر شيئاً من غناء ، نارٌ جبليةٌ تومضُ في الجريدة، بحةُ صوتهِ تختنق، ساقُ دجاجةٍ تغلغلَ في بلعومه، ابتسامةٌ تنفجرُ من فقرة ، الجسمُ يختنق ، والوجوهُ تاهتْ عن بقيةِ الخطبة ، وينهضُ سندٌ لإسعافه ، لكن حدثَ زحامٌ بين القوم ، ثم انفجار أكبر قد جرى ، رئيس الجماعة صُدم بخبر وراح يصرخ، سيف تشنج واقفاً ، ينتفضُ ، يسقطُ على المقعد بلا حراك.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 126 9/5/11 9:28:29 AM

اللهاث الأوّل

بقلم: إبتسام إبراهيم تريسي*

* الإهداء

كما أهدي سلامي إلى جميع المعتقلين في السجون العربية، أنا بخير، طمنوني عنكم!

توقفتْ الحافلة، هدأ الضجيج، وعلت صرخات الفرح، لم أستطع التّصديق أنّ الرائحة، هي نفسها تلك الّتي سكنتْ أنفي طيلة أعوامي الثلاثين الماضية، لم أصدّق أذني وأنا أسمع الزغاريد، العناق، هسيس الدّمع، وصوت أمُّي الملهوف يسأل عني. أخيراً أنا في النبطية! يستقبلني صوت الضابط الإسرائيلي في مكبر الصوت (الحمد لله على سلامتكم. كلّ عام وأنتم بخير بمناسبة عيد الأضحى المبارك، أخيراً أخذ العدل مجراه، ولو متأخراً!).

ما أشبه اليوم بالأمس، ثلاثة أشهر مضت على حشر جسدي في حافلة مماثلة، أتنشقُ رائحة الفضاء علّني أعرفُ إلى أين يسير بي قدري هذه المرّة! رائحة العرق والحديد الحامي لصق أنفي، النوافذ المغلقة والسواتر تمنعني من تمييز رائحة المكان. صاح الكابتن أوفر:

. رأسكَ تحت الحديد .

أخفض رأسي بين المقعدين بحيث تلامس أرض الحافلة، الهراوة لا تجد مشقة في نبش الرعب الكامن في الضلوع، واستنفار الأعصاب والصراخ. سلكُ الكهرباء الذي ألهب ظهري ومزق الجلد . مثيراً شهوة الكابتن وتلذذه . لم يستطع دفع الصوت الأخرس إلى حنجرتي؛ بقي كما في رحم أمه صامتاً، عائماً في بحيرة لزجة من العرق والدم والذهول. يستمرُّ الضرب على الظهر وبين الكتفين، أشعر بالاختناق، لا منفذ للهواء، هراوة الكابتن ترسلُ لهيباً في الضلوع، تصدر حنجرته صوتَ تكسر وفحيح، أودّ لو أستطيع رفع رأسي قليلاً. مرّة أخرى أحاول حصر أحاسيسي في معرفة المكان. (يداكَ خلفَ ظهركَ) يصرخ الكابتن مؤكداً تحفزه لعقاب المخالف.

صوت الكابتن الملوّن باللذة يطلب منا شتم الرئيس، نفعل بصوت عالٍ طلباً للهواء.

* كاتبة قصة وروائية من سوريا.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 127 9/5/11 9:28:29 AM

صوت الكابتن يصرخ بلزوجة تلامس أذنيّ: اهتفوا: يعيش الكابتن أوفر. صوته مقيم حيث تنزع الروح إلى الانعتاق من أسرها.

بنفس النغمة يطلب التطاول على المقدسات. يعترض السائق بالعبرية (ربّما تأخذهم الحمية الطائفية، ويقتلوننا). الكابتن يستجيب لرفيقه، ويدير الراديو، تنطلق موسيقى عبرية، تعبر أذني بصخبها، فيلتصق الرأس بالحديد الحامي! من يخاف من؟

تجاوزت الحافلة الأسلاك الشائكة إلى نهاريا، لم أكن أعرف عنها شيئاً سوى وقوعها على البحر، بعد ثلاث ساعات ونصف، أبقونا معصوبي العيون ومشدودي الوثاق، أمرونا بالنزول، تلقّانا الجنود بالركل والضرب، وعبارة واحدة تصرعني (وجهكَ إلى الحائط). نزعوا قميصي الداخلي، وحولوه إلى عصابة، وضعوها على عيني! عصابة!. الجندي لم يعرف معنى كوني بعصابة رافقت عينيّ منذ صراخي الأوّل وحتّى اللحظة! المضحك أنّي لم أكن أملك نقوداً ولا حلية مما أغاظ الجندي، فرفسني في خاصرتي جزاء ما جنت يداي!. قادني الشاويش، ورماني على طبق متعة الجنود المفضل، الضرب بالهراوة. عيناي المطفأتان تمنعاني من تجنب الضرب، عجزي يشهر خوفي سلاحاً، الخوف! كثيراً ما تساءلتُ عن ماهيته، كنتُ أعتقد أنّ الدروب المجهولة هي مصدره، لكنّ غرفة الزنك غيّرت مفاهيمي، فعرفت رائحةً جديدة للخوف، صفيحها يشوي جسدي مع ارتفاع شمس تموز في السّماء، يرافقه فهمٌ مفاجئ لمعنى الموت. لم تكن الأسلاك الشائكة المحيطة بالجورة لتشعرني بالأسر، منظر عريي غرز أنيابه في صدري، فأدماه! العفونة المنبعثة من أمعائي واحتباس الماء، جعل مثانتي تنفجر احتجاجاً على إهانة إنسانيتي.

(وجهكَ والجدار، يداكَ خلف ظهرك)

يداي ورقة يابسة أعطت لجسدي شكل الذل، وطواعية الهزيمة. يفكُّون وثاقي، جنديٌ يعريني، يرش جسدي ب د. د. ت، تتشبث يدي بما رماه، بطانية وجورب وحذاء قديم، وأجلس للعشاء في مجموعتي، حبة بندورة وقطعة خبز عفنة، رفيق لي في السبعين من عمره يبدي انزعاجاً (زلخيم لطوف)× عبارته العبرية تلك كانت قدره الذي حمله لمواجهة عفريت الموت.

أسبوع الضيافة مرّ ويداي خلف ظهري! بعدها أصبحت من أهل البيت! فاتّخذتا شكلاً جديداً لحريتي. البرد الشديد ليلاً، والنّدى يغطيني ساعات الفجر الأولى، وكأنّ لتموز ثأراً مع جسدي، متى يطلع الصباح؟ مع خيوط الشمس الأولى، ينسيني نباح الكلاب المشدودة إلى أيديهم بالجنازير حاجتي للشمس والدفء، وأبقي سمعي في حالة تأهب قصوى!

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 128 9/5/11 9:28:30 AM

في العاشرة صباحاً طلبوا منا التقدم في مجموعات مؤلفة من خمسة أشخاص، راحوا يدونون بالعبرية، الاسم والجنسية، والعمر والتاريخ، وصنّفنا (أسرى حرب)! بماذا أحارب؟ حتّى عصاي مُنعتْ من تلمس الطريق قبل إيقاع خطواتي فيه!

صوت الضابط الإسرائيلي يرن عالياً بنبرات موزونة في أذني: لقد انتهت الحرب بالنسبة لكم، عيّنا عليكم مختاراً، هو صلة الوصل بين شاويش خيمتكم وبيننا. وله حريّة القصاص من المخالف.

اختار الضابط شاويشاً لكلّ مجموعة، العشاء كان لقمة من علبة حلاوة مع قليل من الخبز، صدر أمر المختار بعدها بالنوم.

مع خيوط الفجر، ارتجّ المخيّم لصوته الخشن آمراً بالاستيقاظ، هذه المرّة فوجئت باختراع عربي ابتدعه المختار، وضع الأيدي على شكل جناحي طائرة بشكل مستقيم، هراوته تسرع بقصاصها من كلّ يد لا تعرف شكل جناحي الطائرة، من أين أبتدع طائرتي؟ حتّى الطائرة الورقية لم يتحقق حلمي باللعب بها!

البعض حاول الوصول إلى بوابة المعتقل ليحتج لدى الإسرائيليين، الهراوة كانت بالمرصاد. زلمه يسيطرون على التموين، ويرمون لنا الفتات، الهتاف الواجب علينا بحياته يجعلنا نثور ضدّ وجوده (يعيش المختار، يعيش الشاويش، تعيش السلطة). نهتف في حال الحريّة، وحال الأسر! معتقلٌ داخلي يبحث عن نور الحريّة، الحريّة تبدت في قتال عنيف دار بيننا وبين المختار وحاشيته، تعلو قهقهة الجنود وقد اختلط الحابل بالنابل ووقع الكثير من الجرحى، يتوقف سائق البلدوزر× ليتفرج على حلبة المصارعة المجانية تلك. الدم المسفوح أعطى المخيّم حريته بانتخاب مختار آخر منا. الوضع الجديد، ترفٌ لم أحلم به وأنا في الجورة، رفيقي قال لي:

. نحن محظوظون، إقامتنا فيها رائحة الوطن، على الخيمة كتابة تقول إنّها صنعت في مصانع الجيش العربي في ٩ ، ٢ ، ١٩٦٦ ، يا له من تاريخ!

كم مرّة سألتُ نفسي إلى متى؟ وكم هوة وجدار تصدى للسؤال فأخرسه، وردّه إلى حنجرتي؟).

أستلم تصريحي، وثيقة حريتي، نسائم رطبة، وصوت أمّي، يفكّان عن حنجرتي حصار الصمت. لقد وصلتُ أخيراً دكان الحاج حسين، لكنّي أفتقد صوته، هدوء مريب يعيد إلى ذاكرتي مشهد البداية!

قبل أن أصل معمل (صفا) في الغازية، كنتُ واقفاً أمام دكان الحاج حسين وزجاجة البيبسي تتدفق باردة في حلقي، تقتل العطش. اقتربت الحافلة، تدفق في سمعي صوت رفاقي، انبسطت أساريري، ناديتهم، صوتٌ مبهم قال لي: ابتعد. دفعني لهاثي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 129 9/5/11 9:28:31 AM

وراء الصحبة لألحق الحافلة، تسلّقت درجاتها من دون عناء، ويد قاسية تدفعني للصعود، فجأة فهمت الفخ المتربص بي، وكانت زجاجة البيبسي الباردة لا تزال في يدي، لم أفرغ من شربها، حتّى وصلت أنصار!.

- الإهداء من رسم كاريكاتوري للشهيد ناجي العلي
- الجورة : مكان مخصص للتعذيب .
- العبارة تعني، أنّ الخبز غير صالح للأكل، وجريمة الأسير أنّه لم يعلن عن معرفته بالعبرية عند سؤاله.
- عند وصول الأسرى إلى معتقل أنصار كان العمل لا يزال جاريا فيه. يقع المعتقل بين أنصار، البلدة غرباً، والدوير شرقاً.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 130 9/5/11 9:28:31 AM

الحلم

بقلم: حسنى نديم*

تَمثَّلَ لي في صورة جميلة كنت أظنه أبشع من ذلك، نظرته كانت بهية، حدقت به طويلاً لكن كلانا لم ينطق بحرف!

تعانقت أعيننا لكن لم نلقِ التحية .. كم كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن بعيد .. جف ريقي وحاولت ابتلاعه دون جدوى .. شعرت بأن حرارةً لاتطاق طافت بي دون وعي .. استجمعت قواي وحاولت التحدث، عقد لساني فلم استطع البوح بكلمة!

رأيته فقط مرتين .. بعد أن تخرجنا في الجامعة، لكن الحب العميق الذي كنت أُكنّه له منذ أن كنا نحبو معاً ونلهو بالقرب من فناء المنزل الكبير الذي كنا نسكنه دب في قلبي من جديد فور أن رأيته... أجل لقد كان جارنا.

شجرة التوت الكبيرة كانت محطة لهونا...كنا نخط أحرفنا ورموز الطفولة البريئة على سيقان الأشجار الضخمة.. أذكر كيف بكينا عندما قطعوا شجرة الزيتون العظيمة .. التي كانت مهبط حبنا وملتقى غرامنا الطفولي..

بشرته التي غدت سمراء.. بعد أن أحرقت الشمس جلده الذي كان ناعماً كحديثه يوماً ما.

كان في كل مرة يبدو جذاباً أكثر مما كان في السابق .. نظرة عينيه الكسيرة صارت الآن نظرة واثقة وثاقبة!

لقد كان في الماضي القريب (يحبني) ولا أدري إن كان لازال أم لا ...لكنني على يقين أن أوصاله ارتبكت بمجرد رؤيتي، فلقد حدث أكثر من ذلك بي!!

آآآآآآآآه....من الحب وأحاسيسه...آ

آآآآآآآه .. وا.. حر قلبي من الاشتياق! ولوعة الحب ....كنا نظن أن من لا يحب ولم يجرب طعم الحب فهو للآن لم يعش معنى الحياة!

نظرته التي كانت كسيرة صارت كسهام حُب صوبت نحوي تجرد قلبي من مشاعره كجهاز الكشف عن المكنون ..وإخراج المستور،شردت طويلاً... في حكايتنا.. عدت بذاكرتي لأيام الطفولة..البريئة ..وذكريات حديقة منزلنا الذي جمعنا لسنوات معا...

---

* كاتبة من مصر مقيمة في الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 131 9/5/11 9:28:32 AM

تذكرت الأرجوحة التي صنعناها سوياً بمساعدة سالم ابن الجيران الذي كان يكبرنا بسنوات..

هناك كانت أجمل الأيام....كان يختبئ مني، وأبحث عنه، فتتعانق أعيننا ببراءة ونركض، كنا نسرق الرُطب الأخضر قبل أن ينضج من شباك صنعتها والدتي وجدته حتى لا تأكله الطيور لكننا كنا أذكى من الطيور!

كنا كالفراش نركض ببراءة في خفة ورشاقة نصطاد الصيصان الملونة من أعشاشها في حظيرة العم خلدون ...فيصرخ في وجهنا ويدعونا للانصراف مايلبث أن يطعمنا مكسرات جميلة محمصة من يد زوجته ، كان رجلاً طيباً جداً وفوق ذلك كان رحيماً بنا، فإذا وجدنا على هذا الحال نلهو دون عناء ...أقسم أننا سنكون زوجين!

بينما كنت كذلك ....أجول في ذكريات الطفولة السكرية ..التي خبأتها للأيام العلقمية ...نظرت حولي أبحث عنه ...ثم كيف بكينا عندما كبرنا قليلاً وذهبنا لمدارس مختلفة ... تفرقت أيدينا عند الصباح عندما كنا نذهب للمدرسة سيراً على الأقدام...تذكرت تلك الأيام ومقلتي مليئة بالدموع.

نظرت حولي أتفقده بقلب الطفلة فوجدته شارداً مثلي تماماً، سرحت من جديد في هيامنا الطفولي البريء ثم كيف انتزعوا منا أجمل أيامنا الوردية.

كان يوم نحيبنا يوم انتقلنا نحن لمنزل آخر وبقي هو وأهله في نفس المنزل، أذكر تماماً كيف تأثرت دراستنا وماعدنا نلتقي أثناء العودة من المدرسة أو حتى نرى بعضنا صباحاً.. لكن الزيارات العائلية المتقطعة والبعيدة كانت عزاءنا الوحيد!

أذكر أيضاً أنني تحجبت منه فور دخولي المتوسطة ...لأنني كبرت، كما يزعمون، رغم أن روح الطفولة وحاجاتها لازالت تلازمني حتى يومي هذا ،أذكر يومها أنني وصفته بأنه أحمق...لأنه وعدني بأنه في يوم ما سنكون تحت سقف واحد ..لكن ذلك لم يتحقق!

وجدت نفسي أتذكر يوم أن زارنا، ووجدته في غرفتي، وكنت أضرب نفسي يومها لأتاكد من أنها لازالت مستيقظة ، ولست كعادتي في حلم ...لحظتها شعرت بأن يده احتضنت يدي، صرخت، ففزع وهرب من غرفتي حتى لا يكتشف أمره ...تأكدت بأنني كنت أحلم، لكنني على يقين أنني الآن لا أحلم غير أنني الآن بدأت أشك في قواي العقلية لأنني لاأكاد أراه...فهل كنتُ أحلم حقاً؟!

وبعد مضي كل تلك الأعوام ألم يحن الوقت ليدرك الكبار أن تصرفات الأطفال لا تعد كما يظنها ويفسرها الصغار؟ فالحب الطفولي بريء ولن يصبح غير ذاك طال الزمان أو قصر، لكن هيهات هيهات لمن يعتبر.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 132 9/5/11 9:28:32 AM

شعر

عزف على أوتار ميديا

فاضل السفان

مومياء تحاوره وردة مراوغة

كريمة ثابت

قم نغني معاً

فهد العسكر

لؤلؤة الخليج

محمود شوقي الأيوبي

المهلب

د. خليفة الوقيان

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 133 9/5/11 9:28:33 AM

عزف على أوتار "ميديا"

شعر: فاضل السفّان*

أنـت ارتـعـاشـةُ قـلـبٍ صـيـغَ مـن عَـبَـقِ
أنـسـامُـه تـرتـمـي طـيـبـاً عـلـى الـورَقِ
مـن بَـوْحِ مُـعْـتَـكِـفٍ صَـبٍّ تُـغـازِلُـه
حـورُ الجِـنـانِ عـلـى وَعْـدِ الـلـقـاءِ نَـقِـي
و أنـت فـي زَحْـمـة الأنـواءِ داليـةٌ
تـظـلِّـلُ الـنـفـسَ فـي مُـسْـتَـوْحَـشِ الـطُّـرُقِ
حـبـاكِ يـا " مِـيـديـا "ربُّ الـسَّـمـاءِ رِضَـىً
كـي تـغـمـري وجـهَ هـذا الـكـونِ بـالألَـقِ

* * *

أسـرى بـيَ الـشـوقُ لمّـا رحـتُ أنْـثـرُهُ
عـلـى الـسُّـطـورِ الـسُّـكـارى فـي مَـدىً طَـلَـقِ
حـمـلـتُ طـيـفَـكِ كـي أسـتـافَ نـسـمَـتَـه
مُـضـمَّـخـاً بـعـبـيـر الـوجـدِ و الأرقِ
أضـمُّـه و صـلاةُ الـطُّـهـر تـرشـقُـنـي
بـوابـل مـن مـعـيـن الـلـه مـنـبـثـقِ
يـضـوعُ كـلَّ مـسـاءٍ حـيـنَ أحـمـلُـه
بـخـاطـرٍ زادُهُ مـن حـمـأة الـشَّـبَـقِ
طـفـولـةُ الـحـرفِ فـوق الـسَّـطـرِ غـافـيـةٌ

* شاعر من سوريا.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 134 9/5/11 9:28:33 AM

بنُعميات الصِّبا أشفتْ على الغَرَقِ
أولَيْتُها مِقَتي كي تستعيدَ رؤىً
زهراءَ لم تكترثْ في كافرٍ و تقيْ
* * *
ناشدتُك الوصلَ من ريّاك نفحتُه
ومن مَطاف الهدى في المحمَل الزَّلِق
أوليك مِن ظمئي وجداً و أسألُه
وعداً ترقرقَ مثلَ السِّحْر في الشَّفَق
أحيا عليه و في وجدٍ أعانقُه
إذا تماثلت في صَمْتي وفي نَزَقي
أحلامُ نجواك في عينيَّ باقيةٌ
تعودني كلّما أسرى بها قَلَقي
تعبتُ يا "ميديا "هذا الفؤادُ غدا
موزَّعاً بين مسبوقٍ ومستبقِ
* * *

قرأتُ بَوْحَك أسراراً لمُلهَمةٍ
في مثلها تتدانى حَيْرَةُ الحدَقِ
إنّي لأعطيك من أنوار مجمرتي
قطوفَ قلبٍ بنار الشوق محترقِ
هذي رؤاك سأرويها مُقايَضَةً
من سَرْحة الهُدْب أو من لفتة العُنُق
كذا يرودُ الهوى مثلي و يحملُه
بين الضلوع بلا مَنٍّ و لا ملَقِ
في القلب يا حلوتي ريّاك أعرفُها
عندَ الأصائل ترعى دوحةَ الحَبَقِ

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 135 9/5/11 9:28:34 AM

يـزفّ فـي وصلـها مـوجُ الـفـرات هـوىً
يـــرودُ حـافـةَ شـطـآنـي بـلا سَـــبَـق
مـرَّت على سـاحـة الـذِّكرى مخايلُها
ولوَّحتْ مثْلَ همْسِ الفجْرِ في الغَسَق
بـالـروح أحـمـلُـهـا شـــعـراً وأكـتـبـهـا
بـالـدَّمْـع خـاطـرةً تُـطوى على حُـرَقـي
لـم يبقَ غيرُ لظىً فـي الـصَّـدْرِ أكتُمُه
آنـــاً وأســـكـبـه آنـــاً عـلـــى الـــورق
فـحـاذري سـاعـةً أن تـزحـمـي سُفنـي
أو تـعـبـثـي بسـنـا نـاري فـتـحـتـرقـي
* * *
إلـيـك خـــالـصـةً أنـغـــامُ قـافـيـتـي
تنهالُ مثلَ ضياءِ الشَّمْسِ في الأفق
قـلـبُ المعـنّى ريـاحُ الـكـونِ تـعـزفُـه
تـصـبُّـه رشـــفـةً فـي كـلِّ مُـفْـتَـرَق
مـازال بـي أمـلٌ كـالسَّـيْـل يـزحـمـني
يـهـلُّ بـارقـــةً تـهـمـي عـلـى طُـرُقـي
لابـدَّ يـا زهـرةَ الـفـيـحـاء مـن زمَـنٍ
كـي تـرشـفـي شَـهْـد مـوّالـي فتأتلقي

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 136 9/5/11 9:28:35 AM

قصائد الغياب

مومياء تحاور وردة مراوغة!

شعر: كريمة ثابت*

١

حينما
يهل
فصل التوهج
وأنت تمارس الذبول منذ آخر اغتيالٍ
تستدفئُ بالأكفان
تخبئ عريك وتخجل من دمك!
هل تمد من الكفن يدا محنطةً
وأنت ممددٌ
كمومياء تحاور الفناء ؟!
وتلقف وردةً
حتى لو كان الرحيقُ مزيفاً!!

٢

الثعبانُ
منسابٌ كليلٍ
وناعمٌ كنسيم
مرنٌ كالطيبةً
ومفعمٌ بالمراوغة!

* شاعرة من مصر مقيمة بالكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 137 9/5/11 9:28:35 AM

لكنه
إذا اشتهى حمامةً
ليس لها من نابه مفرّ!!
٣
تتهجّى غيابك
إغماءةً إغماءةً!
تحاور الخرس
إنها لغة الظامئين
حروفها بلا ألوان !
وجوهها بلا ملامح!
٤
القصيدة فارغة العروق
تبحث عن دمائها
حين مرقتَ؛
توجّست
لكنها
لم تجر التحاليل اللازمة
أصابها إيدز المشاعر!!
٥
يا الله
ذلك التاريخ العميق للشجن
رحلت يمامةٌ بطوله وعرضه
أما آن أن تخلع البكاء
وترتدي ابتسامةً
ولو
لحلم!
٦
أرفض أن أكون دميةً
وقتما تشاء

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 138 9/5/11 9:28:36 AM

تخرجها من صندوقها
تغني ،وترقصُ
وتنشر العبير حولك
ثم تغيب
إذا أغلقت الصندوق!

٧

سأظل لغزاً
فاهنأ برشف الشاي المعتّق
ولا تحلم ببرتقالي!

٨

هوائيات قلبي
تجمدت عروقها
تراكمت الأتربة على أسطحها
فما عادت
صالحةً للاستخدام
استقر الجليد في الأرجاء
متربعاً
يدخن أوردتي بشراهة
ويصطلي بخلاياي
فجأة
ظهرت ذبذبات فوق الشاشة
ارتجت الأجواء
وسرى الدفءُ
واغتسل الهواء بالنور
لكن قلبي
مازال ميتا
ما أسعد الكفن!

٩

هل يعقلُ

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 139 9/5/11 9:28:36 AM

أن تُمنح دماً
فتسكبه في الصحراء
وتمشي بردانا
تلتحف جوعك
وتستجدي نبضك؟!
هل يعقل
أن تخشى جلاديك
فتعفيهم من المهمة وتقوم بها أنت
حتى تدمن جَلدك
فتتعاطاه
قبل الحلم وبعده؟!

١٠
حدائقك مجدبةٌ
وجداولك جافةٌ
والحرس أشداء
يقفون على حافة الأوردة
يتلصصون على دمي
ويدسّون الجواسيس
تسلبني عفوية الفكرة
أليس جديراً بي
أن أترك لك لحمي ودمي
وأفر إلى السماء؟!

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 140 9/5/11 9:28:36 AM

قم نغني معاً

شعر :فهد العسكر*

"بعث إلينا الأستاذ الشاعر أحمد محمد آل خليفة، بهذه القصيدة النادرة لشاعر الكويت المرحوم فهد العسكر، وقد سبق أن نشرها في جريدة " البحرين" في العدد الصادر بتاريخ 15/10/1939، ونحن بدورنا ننشر هذه القصيدة، شاكرين للأستاذ الخليفة اهتمامه وغيرته على تراث الخليج الأدبي".

"البيان" 1966

أسفر الصبح قم نحيي الصباحا
يا منى القلب واترع الأقداحا
واصح وافتح طرفا مريضاً صحيحاً
إن قلبي يهوى المراض الصحاحا
وأعر طلعة الصباح ضياء
من محياك، كم أعرت الصباحا
يا حبيبي: كفى مناماً فهيا
نتساقى على الرمال الراحا
أطفأت الصحو مشعلي فاسكب الزيت
وأشعل بريك المصباحا
وادرها على جهرا فإن الرا
ح أمست للعاشقين مباحا
خمرة تملأ النفوس سروراً
واغتباطاً وتطرد الأتراحا
زعموا أنها فساد فلولا
أترعوا جامها لشاموا الصلاحا

* شاعر من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 141 9/5/11 9:28:37 AM

كذبوا فالفساد ما اقترفوه
جهرة لم يروا عليهم جناحا
يا ملاكي والصحو قصص جناحي
واصطباحي منها بريش الجناحا
اسقنيها فالصحو شرد احلام
فؤادي وما بلغت نجاحا
اسقنيها فالصحو بعثر آمالي
وأدنى العذال والنصاحا
ها هي (الشمس) يا حبيبي أطلت
قم نغني ونعش الأرواحا
فضياها الوهاج ذهب خديك
وأندى جبينك الوضاحا
أسفر الصبح قم نحي الصباحا
يا منى القلب واترع الأقداحا
واصح وافتح طرفا مريضاً صحيحاً
إن قلبي يهوى المراض الصحاحا
وأعر طلعة الصباح ضياء
من محياك، كم أعرت الصباحا
يا حبيبي: كفى مناماً فهيا
نتساقى على الرمال الراحا
أطفأت الصحو مشعلي فاسكب الزيت
وأشعل بربك المصباحا
وادرها على جهرا فإن الرا
ح أمست للعاشقين مباحا
خمرة تملأ النفوس سروراً
واغتباطاً وتطرد الاتراحا
ونسيم الصباح في الروض يسري
عطراً من عبيرك الفواحا

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 142 9/5/11 9:28:37 AM

قم نغني معاً نشيد هوانا
وننـاجي الشويطىء الصداحا
وننـاغي الطيور وهي على الشاطئ
تشدو وتعلن الافراحا
ثم نلهو على الرما ل كطفلين
ونهتز نشوة ومراحا
وإذا ما افترشت يا حلو احضاني
وصيرت ساعدي وشاحا
نم وضع رأسك الجميل على
صدري لاجني شقائقا واقاحا
يا صغيرا أطل من كوة الرؤيا
على مهجتي ولاح صباحا
أنا بالصحو يا ملاكي جموح
آه ما ضر لو كبحت الجماحا
يا حبيبي: والشمس في كبد الأفق
سئمت النداء والألحاحا
أزفت ساعة الرحيل وقد ودع
مهد الصبا الظبا والملاحا
أنا أخشى عليك من أهلك
السوء فهلا جعلتني مرتاحا
يا حبيبي: تغلغل الألم اللاذع
في مهجتي وانكا الجراحا
يا حبيبي: تأصل الداء بالروح
وعز الدواء فناح وباحا
يا حبيبي: تمركز الشجن الصارخ
بالقلب عنوة واستباحا
قم أثر غافي المخاوف أني
بت أعشق الأسى والنواحا

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 143 9/5/11 9:28:37 AM

قم أثرها حربا على عوانا
ثم دعني معذباً ملتاحا
فأنا شاعر خلقت لأشقى
لا لألقى سعادة وفلاحا
خار عزمي مذ ضارعتني الليالي
ثم القيت رغم أنفي السلاحا
ما الذي أبقت المصائب مني
من حياة حتى أوالي الكفاحا
ايه ربان زورقي هاك قلبي
إنني قد جعلته ملاحا
إنني ها هنا على شاطئ الرمل
أشاكي النوى مساء صباحا
وأنا ههنا مقيم على العهد
أناجي الأوهام والأشباحا
ما أعرنا عذل العواذل أننا
إذ سمعنا عواءهم والنباحا

* العدد التاسع ١٩٦٦م.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 144 9/5/11 9:28:38 AM

لؤلؤة الخليج

شعر :محمود شوقي الأيوبي*

آه يا مسقط رأسي ... ذكريات لك أمس
حلوة تبعث أنسى ... تنعش الروح الشجيا

ناديت!.. لؤلؤة الخليج فداك ... روحي وروحي بعض من يهواك
نظرت تخازر للمعاني سرها ... عيناي!.. في سكر الهوى لرضاك
وثبت بين أضالعي نغم الهوى ... لما لمست بمهجتي رياك
أنا في مغانيك استعدت صبابتي ... فشدوت لما أن وطئت ثراك
يا قبلة السحر الذي نسيمه ... عانقت فيك أحبتي بلقاك
مغنى الأحبة رحمة بمتيم ... يسمو بحبك ماخر ألاحلاك
بعثتني الأيام فيك قصيدة ... للمجد تبعث في دمي نجواك
لك من بنيك على فؤادي رحمة ... كالطر تهطل من ربا مرعاك
شعر بارواح الأباة مفجر ... متدفق الأنوار في معناك
وبشاشة تصبي النفوس يلفها ... سحر الجمال منسق لمناك
أنا فيك شعلة عابد متحنث ... كم ليلة قضيتها أرعاك
أنفاس جوك في حجاي قصائد ... غراء تلمع في نمير سناك

*شاعر من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 145 9/5/11 9:28:38 AM

حورية "الجون" المضيء أللهوي رخمت؟.. أم هز الهوى أبناك؟
فتواثبوا للمجد سيلا جارفا متجسا من راحتي نعماك
دنياك "عذراء الجزيرة" ترتقي درج الحياة لحومه الأفلاك
وأعز ما ألقاه فيك مكارما ببنيك شتى أشرقت لعلاك
يا دوحة الشعراء والحلم الذي عبرته : عزا يفيض رؤاك
ذا المسرح الرنان يصطفق الحيا العذب فيه لدى مثار ضياك
والأنس اضحى في حماك بحيرة زرقاء فيها يلتقي شعراك
بالعلم والخلق النبيل تزملوا وهم النجوم تألقت بحماك
رهط يجنحه السمو ولا يني يهتز شوقاً.. ثائراً لعراك
فمثارهم سلم تشبع رحمة ومقالهم لصدى التضامن حاكي
مجد يسطره بنوك بانمل سحرية، خفيت على أعداك
بك في زواياك النبوغ ملثم لم يرنه بين الظلام سواك
تهموك إذ عابوك بالجهل الذي برئت منه وفيك فيك نهاك
لك من شبابك عفة وكرامة هم للعلا عند الطموح حلاك
ومن الشيوخ الصيد فيك فضائل عليا تعطر بالرجا دنياك
عيشي بعصر النور نعمة عصبة لم يعشقوا في ذي الدنا إلاك
ببنيك "لؤلؤة الخليج" ألا انعمي ذا الحق يشدو للعلاك : بشراك

* * *

آليت لا القاك إلا ثائراً أشدو بشعري معلنا معناك
يحميك ربك من خيانة غاصب مستعمر متعمر فتاك

* * *

ايه يا مرج الظباء والأسود الاقويـاء
بك علقت رجائي ها أنا، لبيك.. هيا!

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 146 9/5/11 9:28:39 AM

المهلب

شعر :د. خليفة الوقيان*

عصف الجوى بفؤاده فتذكرا ... ولوى الأسى بزمامه فتكدرا
قد راعه ليل النوى لما دنا ... فهوى كنسر من منيعات الذرى
ومضى يجر جناحه جرا كما ... زحف الجريح على التراب معفرا
يدنو فيسحب خلفه في عزة ... أذيال ثوب بالمهابة عطرا
وثوى كصب مدنف قد ساءه ... أن الاحبة قد نأوا فتحسرا
لا خل بعد اليوم يشفي وجده ... لا وصل في ليل التباعد يشترى
البعد أطبق والحياة كئيبة ... وغدا الخضم من الأحبة مقفرا
كم غاية خلف المحيط سعى لها ... تدنو البحار له ويقترب الثرى
كم صارع الأمواج في ترحاله ... كم طوع الأقدار في ليل السرى
الريح تكبو دونه في رهبة ... إن شقها يوماً وأن هو أدبرا
كم صفحة للمجد قد خطت على ... ألواحه في كل صوب لو درى
عالي الجبين سما على أترابه ... كالنجم في عليائه لما سرى
وتخاله حصنا منيعاً شامخاً ... لما جثا فوق الثرى وتسمرا
لما مررت على الشواطئ ساءني ... أن المهلب في الرمال تحجرا
وكأنه ما كان في صولاته ... بين الكماة الخالدين مظفرا
وكأنه أشلاء أخشاب على ... صخر الخليج غدت حطاما كسرا

*باحث وشاعر وأكاديمي من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 147 9/5/11 9:28:39 AM

وسجل مجد حافل قد مزقت صفحاته وجبين صرح دمرا
فسألته هل قد أناخ به الونى أم للعهود وللجدود تنكرا
فترقرقت في مقلتيه دمعة لما رآني مطرقا واستعبرا
وأجابني أني على عهد الهدى لكن خلي خانني وتغيرا
أين الألى كم صارعوا ليل الردى بل أين فوق الموج آساد الثرى
فوق الثريا أشرقت راياتهم عربية خفاقة بين الورى
كم ليلة شقوا بها جنح الدجى ما حالفت أجفانهم طيف الكرى
فأجبته يا صرح مجد غابر قد فاح في الآفاق مسكاً أذفرا
أنا على العهد القديم نصونه مهما تغير دهرنا وتطورا

العدد التاسع 1966م.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 148 9/5/11 9:28:40 AM

دراسة عن الشاعر عبدالرزاق العدساني

للباحث: د.إبراهيم آرمن

صدر عن جامعة آزاد في جمهورية إيران الإسلامية كتاب يتضمن رسالة دكتوراه للباحث سيد إبراهيم آرمن بعنوان " عبدالرزاق محمد صالح العدساني:حياته و شعره ، دراسة تحليلية و نقد "، و قد أشرف عليها الأستاذ الدكتور محمود شكيب ، و الأستاذ المساعد فيروز حريرجي ، نال على إثرها الباحث درجة الدكتورا ه.

يفصل الباحث في دراسته بحثه على ثلاثة أبواب :-

الباب الأول: الكويت تاريخاً وأدباً

حيث يبحث في الفصل الأول منه تاريخ الكويت سياسياً و اقتصادياً واجتماعياً كي يصل إلى الظروف المحيطة بنشأة الثقافة والأدب في الكويت و هذا ما يبحثه في الفصل الثاني و يخص به الشعر الفصيح ، حيث يقسم هذا الفصل إلى الشعراء الرواد كعثمان بن سند و عبدالجليل الطبطبائي ، ثم الشعراء المخضرمين كالأستاذ أحمد آل سقاف والدكتور خليفة الوقيان و الشعراء الشباب كالدكتور سالم خداده و الأستاذ وليد القلاف.

الباب الثاني: سيرة الشاعر و أدبه :

ينتقل في الباب الثاني إلى مسيرة الشاعر العدساني و أدبه ، ابتداء بأسرة العدساني الكريمة ثم يعرج على نشأة الأستاذ عبدالرزاق العدساني منذ ميلاده عام ١٩٣٦ في الحي القبلي و مروراً بمراحل دراسته المختلفة ،حتى هواياته التي كان يمارسها و يذكر الشعراء الذي كان يخالط في بداياته كالأستاذ خالد سعود الزيد .

ويفرد الكاتب حيزاً من الباب لذكر قصة ترك الشاعر الدراسة و انتقاله إلى الحياة العملية برغم رفض والده ابتداء بالتحاقه بجمال باشي ثم بدائرة الكهرباء ثم المكتبات، ويذكر الباحث شيئاً عن تعلم الشاعر العزف على العود و أسفاره بحثاً عن الفن وما أسفر عن ذلك من تلحينه بعض الألحان و ذكر شيئاً من آرائه الفنية.

* باحثة من الكويت.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 149 9/5/11 9:28:40 AM

ثم يذكر رحلته الأدبية من خلال ثلاثية الأدب والنقد و الفن، والتي يلقي الضوء الباحث فيها على بحث الشاعر عن الجديد في علم العروض وآرائه الجريئة في هذا الباب ، و بحثه عن الشاعر محمد بن لعبون ، و الشاعر ضويحي بن رميح الهرشاني وما اكتشفه الشاعر من بحور فريدة في شعر الهرشاني ، ثم كتابه في جديد العروض بالشعر الشعبي الكويتي، و تاج اللغة الذي يدعي الكاتب فيه ايجاد "جديد" سابع للغة العربية بعد ما طرأ على اللغة ست جديدات أثرت بها هي مراحل مرت بها اللغة من حداء و رجز و شعر ثم النحو و التنقيط والعروض، و ملحمة الأسير الشعرية و زهيرياته ، و قصة غدير و سراب، وحقائق تنسى الكتاب الذي يبحث في التراث الكويتي و البحث عن حقائق في من تاريخ الكويت و تراثه ليثبتها.

الباب الثالث : شعر العدساني :تأثره بالتراث و دراسته مضموناً.

يفرد الباحث فصلاً للجانب التراقي و أثره على شعر العدساني من مصادر إسلامية وتاريخية وأدبية، أما الإسلامية فهي القرآن و السنة النبوية و قصص الأنبياء، وأما التاريخية فيقصد الباحث بها الشخصيات و الأحداث التاريخية، والأدبية هي تأثر الشاعر بالشعر العربي القديم ، و يفصل القول في كل واحدة من هذه الجوانب على حدة مع ضرب الأمثال.

ثم يتطرق إلى الموضوعات المختلفة في شعر العدساني إسلاميات، قومية، الوطن، الحكمة بين ثنايا قصائده، الحب، الرثاء، المناسبات و الاجتماعيات.

قام الباحث سيد إبراهيم أرمن بجهد كبير من جمع المادة و التوفيق بين الموضوعات واستخراج كنه النصوص، والبحث يعتبر الأول في بابه عن الأستاذ عبدالرزاق العدساني و شاملاً جميع نواحي حياته.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 150 9/5/11 9:28:41 AM

المكينزي يصدر "لا تحدث أحداً"

في أسلوب مباشر يتعاطى مع مستويات معرفية متنوعة قدّم الكاتب "عبدالوهاب المكينزي" مجموعته القصصية الأولى مبرزاً صوراً من الممارسات الاجتماعية النمطية الخاطئة التي اعتاد الناس قبولها بل وتعزيز وجودها أحياناً!

ورغم أن صفحات المجموعة لا تتعدى التسعين صفحة من القطع الصغير إلا أنها استطاعت الكشف عن ملامح من غلبة العادات السلبية في التعامل مع اسم المرأة كما في قصة "جواز سفر"، ومن جشع العقاريين وماديتهم الطاغية كما في قصة "قطعة أرض".

كذلك استطاعت أن تنقل تجارب إنسانية وجد المكينزي في تفاصيلها ثغرات مناسبة لإسقاطات نقدية مثل قصة "ابحث عن إعلان" التي دللت حواراتها عن مدى تحكم الاستثمار المادي بالمهنّية الصحفية وسوء تقديره لمضامينها الفكرية، ومثل قصة "أمل" التي وصفت أحداثها المتسارعة تسامح أسرة مرعوبة مع جندي مأمور في جيش غزا وطنها، وقصة "أزمة منتصف العمر" التي حملت جدلياتها رسائل مركزة عن طبيعة حاجات الرجل العاطفية في سن الأربعين.

وفي بعد آخر أثارت بعض قصص المجموعة أسئلة شتّى حول حقيقة ما يتوارى خلف ظلال المنظومات الوظيفية كما في قصتي "مؤتمر الموهوبين" و"عين لا تبصر" مبينة مدى مكابدة المبدعين والمجتهدين في التعايش مع الأوضاع الإدارية السائدة.

لقد استثمر المكينزي فنّيات القصة القصيرة في إبهار القارئ وإحداث مفاجآت غير متوقعة لديه كما في قصتي "حفلة طلاق" و"اخرج من بيتنا". كما استثمر إمكاناته اللغوية وخياله الخصب في تحريك الحكايات والربط بين فقراتها.. كل ذلك دون أن يتجاوز المنطق العقلاني لتداعي الأحداث ومسبباتها ودون أن يستهلك الأسطر باستعراضات لغوية ومشاهد مجتزأة لا طائل منها.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 151 9/5/11 9:28:41 AM

إن الانطباع الذي يمكن أن يخرج به القارئ بعد مطالعته لـ"لا تحدث أحداً" الصادرة عن دار الكفاح للنشر والتوزيع في أكتوبر 2010م أن ثمة دعوة مبثوثة بين صفحاتها إلى ضرورة الانعتاق من ترف الاستهلاك والخروج من سباق الاستحواذ وحمى المنافسة.. وإلى أن القصة القصيرة قادمة بقوة كجنس أدبي منافس للراوية.

Bayan Dec 2010 Insideindd.indd 152 9/5/11 9:28:42 AM